ابريل (نيسان) ١٩٨١ ـ جماد الثاني ١٤٠١

المختار

من ريدرز دايجست

انسان الصين ١٤
عبر من ٦٠٠٠ طلاق ١٩
كابوس ليلة شتاء (مأساة واقعية) ٢٤
فن الاصفاء ٢٩
عصر الليزر ٣٤
السوق الاوروبية المشتركة ٣٩
الساحر ٤٥
ماذا ينقصنا حتى يطول عمرنا؟ ٥١
الفردوس ٥٨
هيلين كيلر المرأة المعجزة ٦٦
جبل اوليمبوس الاغريقي ٧٠
اللبوءة والنعاج ٧٦
١٢ تمريناً لتنحيف الوركين ٨٢
سنديانة الشتاء ٨٧
رهان طبيب ٩١
من اخترع السندويش؟ ٩٧
الطاعون الابيض ١٠٢
الرسالة الاخيرة (كتاب الشهر) ١١١
ذلك الرمل العجيب ٧

اكتب واربح ١ ـ بين السطور ٤ ـ اصداء من عالم الطب ١٣ ـ الضحك خير دواء ٣٣ ـ تأملات معاصرة ٦٥ ـ حديقة افكار ٨١ ـ دائرة المعارف ١٠٩

الزواج: احبّوا وان خسرتم

(ص ١٩)

قصة بطولية من الحرب الثانية

(ص ١١١)

ماذا ينقصنا حتى يطول عمرنا

(ص ٥١)

لبنان ٤٥٠ق ـ سورية ٦٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٦٠٠ف تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٤د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د

AL MUKHTAR min Reader's Digest April 1981 No 29

الهدّافون

اصبحت شركة جي· في· سي المجهز الرسمي بالادوات السمعية والفيديو لجميع المباريات النهائية الرئيسية لبطولة العالم في كرة القدم·

هذا بلا شك مقام رفيع احرزناه بمثل العزم والثبات اللذين يتحلى بهما لاعبو كرة القدم· انه رمز لتصميمنا على انتاج الاجهزة السباقة في عالم الترفيه·

لقد اعتادت جي· في· سي اصابة الاهداف· فهي اول من انتهج جهازاً يستعمل فيه شريط الكاسيت المعدني، وهي التي ابتكرت نظامي الفيديو ـ كاسيت والفيديو ـ ديسك للاستعمال المنزلي، محققة تقدما ثورياً في التكنولوجيا وضعها في الطليعة·

ان هذه المنجزات كانت ستفوتنا لولا العمل الشاق الذي بذلناه خلال السنوات الثلاث والخمسين الماضية· انها منجزات مستعصية الا على الذين حددوا اهدافهم منذ امد بعيد·

جي ڤي سي

JVC

VICTOR COMPANY OF JAPAN, LIMITED

تم تخويل جي ڤي سي كمورد رسمي للانظمة السمعية والبصرية لهذا المباريات .

اكتبْ واربحْ

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية.

□ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

□ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا اباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

□ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

□ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

□ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

□ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك حديقة أفكار...).
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

مجلة المختار من ريدرز دايجست
شارع المقدسي - بناية الشرتوني
ص.ب ٨٧٠٧ - بيروت - لبنان.

الاختيار الأفضل : هوندا اكورد

هوندا "اكورد" ـ ٤ ابواب ـ تمثل الاختيار الحكيم والاناقة الكاملة للسيارة العائلية المثلى في يومنا هذا. فهي مجموعة في مظهرها الخارجي، واسعة في داخلها. محركها فعال اقتصادي وعملي جداً. مدروسة ليكون مظهرها الخارجي عنوان الذوق والاناقة، وهي تتسع في داخلها لعائلة من خمسة اشخاص براحة كلية.

وهوندا "اكورد" مجهزة بكل وسائل الراحة المطلوبة في السيارة العصرية، لتكون مكتملة فتعطي مثالا عن أمتياز النوعية وأتقان الصنع. وصانعوها يفتخرون بها لانها موضع ثقة ويمكن الاعتماد عليها. ولا عجب ان الناس في العالم كله يقبلون على شراء هوندا "اكورد" فيكون اختيارهم حكيماً ـ فليكن أختياركم كذلك.

يختلف التجهيز في بعض البلدان

HONDA
ACCORD

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب
رئيس التحرير المعاون: رمزي بخعازي
امانة التحرير: راغدة حداد
الاخراج: امل الزين عيد

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
رئيس التحرير: ادوار ت٠ طومسون
مدير التحرير: آلان دوليرو٠
المدير العام: جون أ٠ اوهارا٠

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس٠

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ـ بيروت

الخدمات الصحافية:
شركة النهار ش٠ت٠م٠ل٠ بيروت٠

التحرير:
شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية، ص٠ب ٢٢٦ ـ ١٠١ التلكس (الموقت) LE ٢٢٣٢٢ ANAHAR بيروت٠ التلفون ٣٤٠٥٥٦ ـ ٣٤٠٠٤٤

الادارة والاعلانات والاشتراكات:
شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص٠ب ٨٧٠٧ ـ ١١، التلكس LE ٢٢٢٨٨ التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٣١

مكتب باريس:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE.

الصف والتنفيذ:
المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت٠

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات٠ بيروت٠

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية اضافة الى العربية٠

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة٠ يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منه في اي شكل كان، جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى٠ وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية، وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية٠

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: قرية في الريف الفرنسي (نات مير)

AL MUKHTAR min Reader's Digest

April 1981 No 29 (New Series). Vol 3.

© 1981 BY AN NAHAR P.I. S A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN INC.

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ١٦ لغة

الموعد الدائم

لا بد ان يكون بين قرائنا من هم عاتبون علينا، لاننا مقلون جداً في نشر ما يرسلون الى باب "اكتب واربح". وهم ربما كانوا على حق، الا اننا معذورون! فنحن لا نزال نجد صعوبة فائقة في استخلاص مواد صالحة للنشر مما يرسلون. ذلك ان أكثر الذين يتعاملون مع هذا الباب يلتفتون الى المكافآت اكثر من التفاتهم الى الغاية التي من أجلها فتح الباب، وهي: تعميم المعرفة على أكبر عدد ممكن من القراء من خلال نشر مقتطفات من مطالعات عربية هم يقومون بها ويجدون فائدة - بل متعة - في نقلها الى الآخرين. ونحن اذا كنا نعرض مالا على هؤلاء فلكي نحفزهم على مشاركتنا في توسيع آفاق قرائنا واغناء معارفهم. وان المكافآت التي نعرضها هي من مال القراء انفسهم، لانهم هم اصحاب المجلة الحقيقيون.

... ولا نزال نتابع فرز الرسائل ومطالعتها تكراراً علّنا نجد فيها ما يصلح، للنشر ليس في "المختار" فحسب بل كذلك في الطبعات الدولية الاخرى لدى "ريدرز دايجست". وقد تقرر أخيراً ان توزع على هذه الطبعات، لتنشر بلغات عدة، ثلاث قطع قصيرة بعث بها القراء الينا. ونترك اسماء اصحابها مفاجأة. كما ان هناك مساهمات أخرى في الطريق.

وما دام الكلام هنا على المساهمات والمكافآت، فيسرنا ان نعلن ان سحباً بالقرعة أجري لقسائم اشتراك ارسلها القراء خلال العام ١٩٨٠ وأسفرت عن الآتي:

- الجائزة الاولى: ١٠٠٠ دولار.

فاز بها حسين علي بوعلي - الظهران، المملكة العربية السعودية.

- الجائزة الثانية: ٥٠٠ دولار.

علي سايس - دمشق، سورية.

- الجائزة الثالثة: ٣٠٠ دولار.

سامي حجار - مشغرة، لبنان.

عايدة ارصفلي، المحررة المشاركة، تسحب احدى القسائم. وبدا رئيس التحرير.

- الجائزة الرابعة: ٢٠٠ دولار.
عبد الرضا احمد - صفاه، الكويت.
- الجائزة الخامسة: ١٠٠ دولار.
خيري احمد - الدار البيضاء، المغرب.
- الجائزة السادسة: ١٠٠ دولار.
كريمة محمد عبد العزيز السليمان - الشارقة، الامارات العربية المتحدة.
- الجائزة السابعة: ١٠٠ دولار.
عصام غطاس - عمان، الاردن.

تضاف الى هذه الجوائز ١٠٠ اشتراك مجاني في "المختار".

ولان السحب أجري في شهر فبراير (شباط) فيفترض في دائرة الاشتراكات ان تكون اتصلت بالفائزين واتفقت واياهم على طريقة تسليمهم جوائزهم.

تبقى كلمة أخيرة: اننا على الدوام في انتظاركم، فلا تبخلوا علينا بالانتقادات والاقتراحات لانها مصدر فرح لنا.

رئيس التحرير

أمّنوا لأولادِكُم نُموًّا صَحيحًا

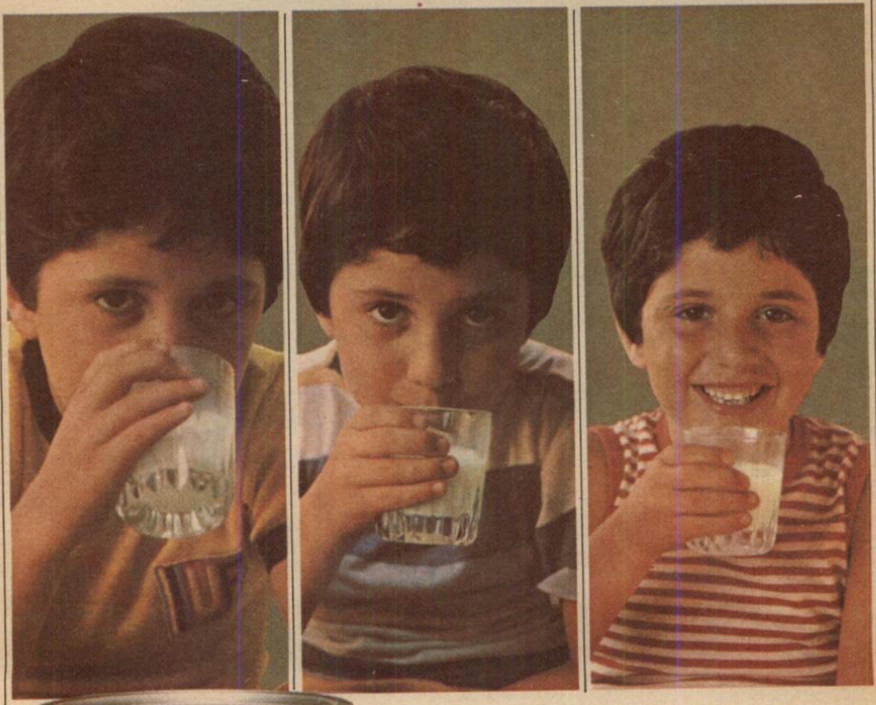

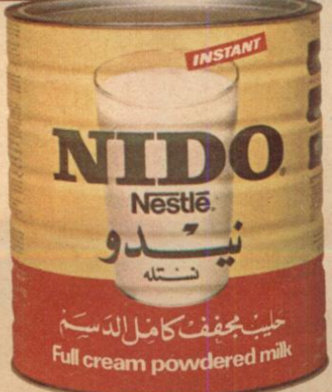

نيدو السّريع الذوبان هو حليبٌ كامل الدّسم يحتوي على كافّة العَناصِر الغذائية التي توفّر لأولادكم نموًّا متكاملاً . فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضروريّة المتوفّرة في نيدو السّريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قويّة .

نيدو السّريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم ، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدّة تحليلاتٍ مخبريّة دقيقة ليُصبح خاليًا مِن كل شائبة .

نيدو السّريع الذوبان طعمُه لذيذ ، يحضر بسرعة ، ويحبّه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح وفي المساء وفي أيّ وقتٍ من النهار .

نيدو السَريع الذوبان

ليَنموَ اولادكم ويَنعموا بالعافية

Nestlé. تضمنه نستله

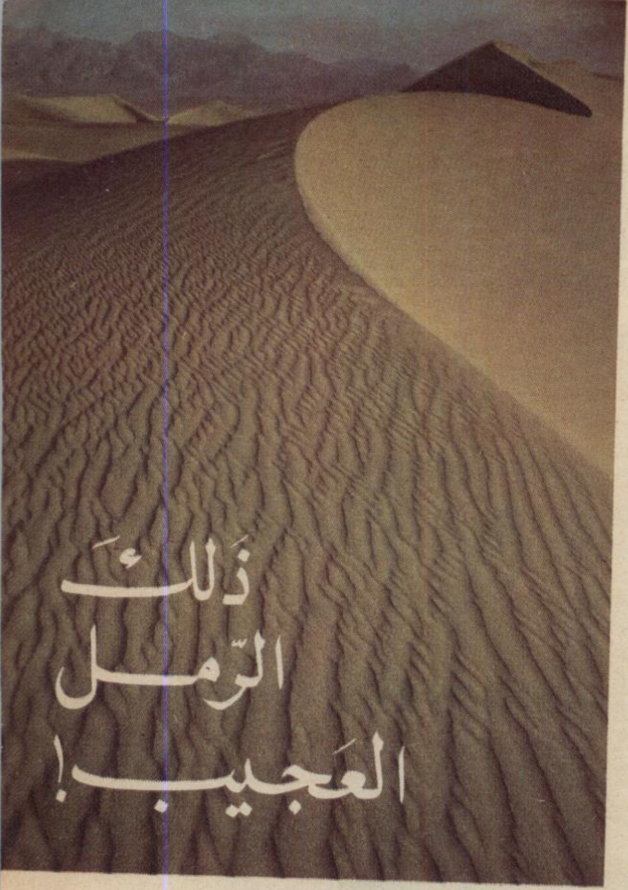

Photo: David Muench

ذلكَ الرّمل العَجيب!

لم يتجاوز الشاعر وليم بليك الحقيقة عندما قال انه يمكن "ان ترى العالم في حبة رمل". فهذه المادة تدخل في تكوين جميع المصنوعات العصرية، من رقاقات الادمغة الالكترونية الى زجاجات الشراب الى ناطحات السحاب

لقد اعتاد عشاق الشاطىء ان يتنزهوا عليه، وبنى منه الحالمون قصوراً، ودرس علماء الطبيعة أسباب انجرافه الى الساحل، وعبأه اجدادنا في اوعية زجاج خاصة من أجل قياس الوقت بواسطة ما سموه "الساعة الرملية".

أجل، انه الرمل. وهو أحد مواد قليلة في العالم يكثر وجودها وتعقيدها في آن، كما تكثر الحاجة اليها. وهو يفوق جميع المعادن غير الوقودية في العالم من حيث الحجم. وقد استخرجت منه الولايات المتحدة وحدها عام ١٩٧٩ نحو مليار طن بلغ ثمنها مليارين و٣٠٠ مليون دولار.

وفي الولايات المتحدة ٦٠٠٠ شركة خاصة تعنى باستخراج الرمل وتصنيعه، ومن أهمها "شركة دوفر للحجار والرمل" في ولاية نيويورك. ولدى الشركة ١٥ موظفاً يعملون على

١٢٥ مليونًا

العبها واربح معها

أضخم يانصيب

من نوعه في اوروبا

يفتح أمامك

فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون. لكن هذا اليانصيب يفتح أمامك أبواب الحظ:

- عدد البطاقات المبيعة ٤٠٠ ألف فقط.
- من هذه البطاقات، هناك ٢٠٠٤٨٥ بطاقة رابحة حتما.
- كل بطاقة ثانية تشتريها تحمل معها جائزة.
- الربح الاجمالي هو ١٢٥،١٣ مليون مارك الماني.
- هناك خمس جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك.
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك.

اليانصيب الالماني "كلاس لوتيري" أسس قبل ٣٥٠ سنة.

ولأكثر من ثلاثين سنة، جعل من أمثالك أصحاب ملايين. ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة.

هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث أن ريعه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية، بل الى المشتركين انفسهم. وغني عن القول ان المارك الالماني هو من أقوى العملات العالمية رسوخا.

الضمان

ان دفع هذه المبالغ مضمون في الدورة الواحدة (نصف عام)

١ × ١،٥ مليون	= ١٥٠٠٠٠٠ مارك
٥ × ١ مليون	= ٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٨ × ١/٢مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ١/٤ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠ مارك
٦ × ١٠٠٠٠٠مارك	= ٦٠٠٠٠٠ مارك
١٤ × ٨٠٠٠٠م	= ١١٢٠٠٠٠ مارك
١٨ × ٥٠٠٠٠م	= ٩٠٠٠٠٠ مارك
٢٢ × ٤٠٠٠٠م	= ٨٨٠٠٠٠ مارك
٢٦ × ٣٠٠٠٠م	= ٧٨٠٠٠٠ مارك
٣٠ × ٢٠٠٠٠م	= ٦٠٠٠٠٠ مارك
٣٠٣ × ١٠٠٠٠م	= ٣٠٣٠٠٠٠ مارك
٤٤٠ × ٥٠٠٠م	= ٢٢٠٠٠٠٠ مارك
١٦٨٠ × ٢٠٠٠م	= ٣٣٦٠٠٠٠ مارك
١٣١٢٠ × ١٠٠٠	= ١٣١٢٠٠٠٠ مارك
١٨٤٨٠٠ × حتى ٨٠٠م	= ٨٥٠٤٠٠٠٠ مارك
٢٠٠٤٨٥ جائزة مجموعها	١٢٥١٣٠٠٠٠ مارك

الجوائز كلها تدفع نقدا، وهي معفاة من الضرائب الالمانية. لكن الشركة، في الوقت نفسه، تحظى بدعم الحكومة التام. وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة أو أكثر.

"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة. وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخّص لها حكوميا. ويجري السحب علنا وقانونيا.

غريفور فرانكفورت

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstraße 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 daw

كيف تشترك في هذا اليانصيب؟

هناك سحوبات عدة على البطاقات نفسها تجرى خلال نصف سنة، بمعدل سحب واحد كل يوم سبت. ويتم ارسال النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة، مرفقة بمعلومات وافية وجلية، تمشيا مع تقاليدنا في المعاملة.

ويمكن أن يأخذ الشاري بطاقة كاملة أو نصف بطاقة أو ربع بطاقة، فيكون نصيبه في الربح جائزة كاملة أو نصف جائزة او ربع جائزة. وتتساوى جميع الارقام في الحظ.

يانصيب في متناول الجميع!

بسيط مثل لعبة أطفال!

- يمكنك طلب بطاقة بملء القسيمة في أسفل الصفحة، أو بكتابة رسالة الينا من غير قسيمة، محددا فيها طلبك.
- عليك أن ترفق الطلب بالمبلغ المحدد، على أن يكون حوالة مصرفية أو بريدية أو شيكا خاصا او حوالة مسافر أو حتى نقدا. وفي الحال الاخيرة، يفضّل ايداع الرسالة البريد المضمون.
- في المقابل ستستلم بطاقتك مع المعلومات المرافقة.
- كذلك ستستلم لائحة دورية بالارقام الرابحة.

في حال الربح!

- سيجري ابلاغك فورا برسالة شخصية.
- يتم دفع الجوائز بأسرع طريقة ممكنة وطبقا لتعليماتك.

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية. وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن أسماء المشتركين والرابحين. فهذا من حق صاحب العلاقة وحده.

خدمة حول العالم

اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان، فلا ترسل طلبا جديدا لاننا سنراسلك كالعادة. والرجاء، في هذه الحال، أن تحيط أصدقاءك علما بشركتنا، أو أن تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة.

لا تنظر - اطلب بطاقتك الان!

عدد البطاقات الاجمالي محدود. والافضل ان تحجز بطاقتك فورا.

نعم! لقد وافقت على أن ألعب لعبة الـ١٢٥ مليونا.

	مارك الماني	دولار امريكي	جنيه استرليني
☐ بطاقة كاملة	٦٠٠	٣٥٣	١٦٠
☐ نصف بطاقة	٣٠٠	١٧٧	٨٠
☐ ربع بطاقة	١٥٠	٨٩	٤٠
☐ بطاقة الحظ السعيد (أربعة أرباع ذات أرقام مختلفة)	٦٠٠	٣٥٣	١٦٠

الرجاء اضافة المبلغ المذكور ادناه لتغطية نفقات البريد والخدمات المصرفية وما اليها:
٢٤ ماركا او ١٤ دولارا او ٧ جنيهات استرلينية.

يبدأ في ١٦ مايو ١٩٨١ وينتهي في ١٤ نوفمبر ١٩٨١

اذا تم الدفع بغير الدولار الامريكي أو المارك الالماني أو الجنيه الاسترليني، فستعتمد قيمة العملة المحوّلة يوم تسلّم الرسالة. المبالغ المحددة تشمل ثمن البطاقة خلال سحوبات دورة كاملة، اي نصف سنة، والمبلغ الاضافي يشمل جميع المصاريف الاخرى طوال هذه الفترة.

جميع الحوالات توجّه باسم: W. GREGOH, Postfach 11 90 20, D-6000 Frankfurt/M

☐ طيّه حوالة بقيمة مارك الماني/ دولار امريكي/ جنيه استرليني.
☐ سأدفع المبلغ فور استلامي البطاقة (أو البطاقات) التي طلبتها.

الرجاء ارسال المعلومات المتعلقة بهذا اليانصيب باحدى هذه اللغات الى العنوان الآتي:

Mr./Mrs./Miss

Street address (or P.O.Box-No.) City (Postal code No.)

Country

الرجاء الكتابة بالاحرف الكبيرة أو الطباعة على الآلة.

R.D. 5/81

استخراج ١٥٠٠ طن من الرمل والحصى كل يوم عمل، من موقع تبلغ مساحته ١٨ هكتاراً، وهو يقوم في وادي هارلم بالقرب من الحدود مع ولاية كونيتيكت.

ويقول نك ماكاريني، نائب رئيس الشركة والمشرف على أعمال التكرير: "ان معظم الملاكين يحلمون باكتشاف النفط في اراضيهم. غير ان الرمل لا يقل قيمة عن النفط. ونحن ندفع لصاحب الارض ٦٠ سنتاً في اليارد المكعَّب (٠،٧٦٥ متر مكعَّب) في مقابل استخراج الرمل من أرضه. ويغطي الرمل، في الموقع الذي نعمل عليه، نحو مليون ونصف مليون متر مكعب، مما يعني مليوناً و٢٠٠ الف دولار بالنسبة الى صاحب الارض".

تكرير الرمل – فيما تابع ماكاريني كلامه، راحت جرافة تكشط الرمل وتفرغه في شاحنة، استعداداً لحمله الى مكان يبعد ١٥٠٠ متر. هناك تفرغ الشاحنة حمولتها في وعاء قمعيّ ضخم، حيث يتم توزيعه على ناقلات مختلفة.

ويعرَّض الرمل لآلات جبارة تسحق الحجار الممتزجة معه. ثم تطحنه حجار الرحى ليصبح أنعم. وبعد ذلك يغسل لتنقيته من الصلصال العالق به. وتستهلك آلات الغَسْل ٢٦٥٠ ليتراً من الماء في الدقيقة. وبعد تجفيفه يمرَّر عبر مناخل متموجة تصنف حباته بالنسبة الى احجامها وتجمعه في تلال كبيرة على الارض. وتبيع شركة دوفر هذا الرمل المكرَّر لدوائر الولاية الرسمية في مقابل ٤،٧٥ دولارات للطن الواحد. وهناك شركات اخرى تشحن الرمل المكرر الى المصانع والمسابك الخاصة، حيث يغدو عنصراً رئيسياً لمصنوعات متعددة.

ترى ممَّ يتكوَّن الرمل الخام؟

لقد اعتقد وليم بليك، الشاعر والمتصوف البريطاني الذي عاش في أواسط القرن الثامن عشر، انه يمكن "ان ترى العالمَ في حبَّة رمل". وهو كان محقاً أكثر مما توقَّع. فهذا المعدن الرائع الذي نشأ عن تفتُّت الصخور هو حقاً جوهر الكوكب الذي نحيا عليه.

ثمة صنوف من الرمل مكونة من مادة "الميكا" شبه الزجاجية. وهناك صنوف أخرى قوامها مادة "الفلسبار" (سليكات الالمنيوم). والرمل الاسود الذي يغطي شواطىء هاواي هو من "البازلت" البركاني. أما الرمل القرنفلي الذي يكسو شواطىء برمودا فهو من حجر "الكورال" (المرجان). وهناك رمل اصطناعي يستخرجه الانسان من الرماد او الجُفاء الذي يبقى بعد صهر المعادن. الا ان العنصر المشترك بين هذه الاصناف جميعاً فهو "السليكا" التي يُرمز اليها كيميائياً بـ SiO_2، واسمها الشائع "الكوارتز". وهذا مركَّب يولده التزاوُج الطبيعي بين عنصري السليكون والاوكسيجين الشائعين.

لقد عرف الانسان اهمية السليكا، التي تكون ٦٥ في المئة من قشرة الارض، منذ غابر الازمنة. وعمد اسلافنا الى شَحْذ رؤوس الحراب وأدوات الزينة من السَّبَج، وهو زجاج بركاني نشأ عن ذَوَبان الرمل والصخر. وكان سكان فينيقيا وبلاد ما بين النهرين الاقدمون يجرفون الرمل حيثما وجدوه ليصنعوه زجاجاً. وقد

عثر علماء الآثار على آنية خزفية براقة عمرها ٤٠٠٠ سنة.

سر الزجاج - أما صناعة الزجاج العصرية فتتم بمزج كميات معينة من الرمل وحجر الكلس وكربونات الصوديوم وكسر الزجاج. ويذوَّب هذا الخليط ثم يوضع في فرن ضخم تبلغ حرارته ١٤٨٠ درجة مئوية. ويمكن تحويل الزجاج الذائب اشكالا مختلفة عبر نفخه وليّه وضغطه وسكبه ورقه وصَهْره لتصنع منه أشياء كثيرة، بينها الازرار الكهربائية وزجاج السيارات وعَدَسات النظر.

وفي أحد مصانع اوينز - ايلينوي للزجاج في بلدة بيرغن (ولاية نيوجيرسي)، تدفع كتل الزجاج الحمراء الذائبة الى مصاهر معدنية لتصنع منها قنينة كل ١٣ ثانية. وهذه الآلات، التي تنتج ١١٥ الف قنينة في الساعة، تستهلك ١٥٠ ألف طن رملا سنوياً. ويقول رئيس الشركة ادوين ضود: "ينظر المستهلكون الى القنينة فلا يرون فيها سوى ما تحتوي عليه من عصير بندورة (طماطم) أو زيتون أو شراب مرطّب. ويغيب عن اذهانهم ان ثلاثة أرباع القنينة رمل".

وصناعة الزجاج ليست وحدها ضاربة في القدَم. ذلك ان صهر المعادن يرقى الى ٥٠٠٠ سنة على الأقلّ. وقد كان الرمل على الدوام جزءاً لا يتجزأ من عملية الصَّهْر، اذ انه يدخل في تركيب كثير من القوالب التي تُصَبّ فيها اشياء تراوح بين الصنابير (الحنفيّات) والمحركات.

ونجد عدداً كبيراً من مسابك الولايات المتحدة وكندا التي تعنى بصهر الرمل - وعددها ٣٤٠٠ - في منطقة البحيرات الكبرى. وسبب تجمُّعها هناك قربها من "حجر القديس بطرس" الرملي، وهو من أكبر مقالع الكوارتز الخالص في العالم. ويمتد من ولايتي ويسكونسن وميتشيغان غرباً الى اوكلاهوما. وذرات الرمل التي ينطوي عليها هذا النوع من الكوارتز مستديرة وصلبة، مما يسهل امتزاجها بالمواد التي تساعد على الالتحام - ومنها الصلصال والماء والسكر - من أجل تكوين سبائك قوية وناعمة في آن.

استعمالات كثيرة - ثمة استعمال آخر للرمل، قائم على قابلية بلورات الكوارتز للتذبذب المنتظم تبعاً لحجمها وشكلها. ومنذ ايام الراديو الاولى، كانت أجهزة الارسال تحتوي على بلورات متحركة من الكوارتز، وظيفتها ضَبْط طول الامواج المرسَلَة عبر الاثير. ويلعب الكوارتز دوراً مهماً في الموجات القصيرة للارسال الاذاعي والتلفزيوني والرّادار. وهو، الى ذلك، يضفي على ساعات اليد والحائط العصرية دقة لم تُعْهَد في الساعات التقليدية التي تعتمد الرقاص (البندول).

في جميع هذه الابتكارات، عمد الانسان الى استخدام اوكسيد السليكون وحده أو ممزوجاً بمواد اخرى. لكن العلماء بدأوا، منذ اواسط القرن الحالي، انتاج مجموعات مختلفة من المركبات السليكونية العضوية في هيئة لدائن ومطاط وسوائل وجيلاتين. وتُسْتَعْمَل هذه المواد لتلميع قطع الاثاث وتشحيم المحركات وختم السطوح وعزل

كل مَا يتحَلّى بـه "ديڤد پلاستو" يمَثّل فلسَفة شركته. واقتناؤه سَاعة رولكسَ يَعكِسَ هَذه الفلسَفة

"ديڤد پلاستو" هو القيّم على تقليد هندسي عَريق. إنه كبير المنفذين في "رولز رويس موترز". الواقع، أنّ تصرّفاته ومظهره الشخصي تعكس بحقّ الطابع المميّز لتلك الشركة، طَابع المهندس المَاهر.

"پلاستو" يهتمّ بأيّ تعديل، مَهمَا صَغُر، ويقول: "كافّة التطوّرات في 'رولس رويس' تدرّجية أكثر منهَا ثوريّة. ويتميّز عملنا بالمستوى الشخصي الرفيع، كمَا أن كلاً من حِرفيّينا المهَرة وزبائننا لديهم نظرة جليّة حول مَا يتعيّن أن تكون عليه 'الرولز رويس'. ولمّا كنّا لا نعبث بهذه النظرة الأساسيّة، فإنّنا مَاضون قدُمًا في سبيل التحسين. فمنذ سنوات، مثلاً، أصبح تبديل السرعة في سيّارة 'الرولز رويس' يعمل بطريقة الكترونيّة تامّة. ولكن السائق يُحبّ أن 'يحِسّ' أنّ ذِرَاع تبديل السرعة يؤدّي عملاً مَا... لذا، أدخلنا عنصر 'الإحساس' في تصميم الذراع."

و "ديڤد پلاستو" يُدرك مضمون الفلسفة المماثلة وراء السّاعة التي يقتنيها، حيث يقول:

"إنهَا رولكس 'أويستر ديت-جست'. وقد بلغني أن مفهوم تصميم الغِلاف 'أويستر' ظهر لأول مرّة عام ١٩٢٦.

ومن الواضح أنّ هذه السّاعة طرأ عليهَا تغيير وتحسين على مرّ السّنين، إلاّ أنّ رولكس لازمت الفكرة الأساسيّة لكونها مُمتازة. فالسّاعة في غاية المتانة والاعتماد بل ورائعة التصميم. بعد ٥٠ سنة من التحسينات، تكاد تكون متكاملة."

إنّه إطراء ومجاملة على حدّ قول رجُل يصنع أروع السّيّارات في العالم.

ROLEX
رولكس

ساعة رولكس "ديت-جست كرونومتر" متوفرة بذهب عيار ١٨ قيراطًا، أو بفولاذ لا يصدأ مع ذهب، أو بفولاذ لا يصدأ مع سوار مُلائم.

الطائرات والمركبات الفضائية عن الحر الشديد وصنع اوعية طهو غير لاصقة. وبما ان هذه المركبات العضوية لا تتفاعل وأنسجة الانسان الحية، فقد صُنعت منها اجزاء للجسم البشري تستعمل كقطع غيار في حال فقدها، كالانف والثدي وصمامات القلب ومفاصل الاصابع.

غير ان أشد استعمالات السليكون تعقيداً نجدها في حقل الالكترون، وخصوصاً في الرقاقات التي تشكل العمود الفقري للادمغة الالكترونية والآلات الحاسبة. وهذه الرقاقات تُصْنَع بالطريقة عينها التي تنشأ فيها البلورات في الطبيعة. ويتم توليدها عبر القاء "بذرة" من السليكون بطول قلم رصاص في بوتقة من السليكون الذائب المستمدّ من الرمل. ومع تحرك البذرة داخل بوتقتها، يلتصق السليكون الذائب بها متخذاً الشكل البلوري نفسه.

وتستغرق عملية "الزرع" هذه نحو عشر ساعات، وتكون نتيجتها قالباً من السليكون يُقْطَع رقائق تحفر عليها الدارات المتناهية الصِّغَر بواسطة الاشعة فوق البنفسجية أو الالكترونية. وتُجْعَل الرقاقات بعد ذلك قطعاً اصغر، لا يتجاوز الكثير منها حجم حبة ذرة، بينما يحتوي كل منها على عناصر الكترونية لا تظهر للعين المجردة.

الاساس المتين ـ يكاد لا يصدَّق ان هذه المصنوعات كلها التي تتم في المختبرات والمصانع والمسابك تستهلك أقل من ٥ في المئة من الرمل المستخرج سنوياً. أما الـ٩٥ في المئة الباقية فتستعمَل في البناء. وعلى رغم التحذير الديني القديم من البناء على الرمل، الا ان المجتمع الصناعي قائم في معظمه على هذا الاساس. واذا مُزج الرمل بمقدار مماثل من الحصى وآخر من الاسمنت، وأضيف الى المزيج بعض الماء، كانت النتيجة خرسانة مسلحة متعددة الاستعمالات. فهي تُصَبّ لتُصنع منها البنايات والجسور والسدود والطرق، أو تُصْهَر لتستحيل حجاراً وأنابيب وعوارض وأعمدة وجدراناً جاهزة.

الا ان اهمية الرمل بالنسبة الى البيئة قد تفوق قيمته التجارية اذا ذكرنا ان تلك المادة الناعمة التي تتراكم على السواحل هي احدى المعجزات الهندسية. فبين جميع القوى التي تفتت الصخور، ليس هناك أعظم او أكثر ثباتاً من امواج البحار. وقد عملت الامواج، عبر العصور الجيولوجية، على تحويل كثير من الشواطىء الصخرية شواطىء رملية.

وهذا المكان المقدس الذي تتلاقى عنده الارض والبحر يُشْبِع حاجة بشرية قديمة قِدَم الانسان. وأنا ألمس ذلك عندما أقوم بحجتي السنوية الى الشواطىء النقية البيضاء لجزيرة النار (ولاية نيويورك). هناك امشط طَرَف الماء جامعاً المحار (الصدف) وبعد غطسة منعشة في أمواج الشاطىء المتكسرة، أضطجع فوق كثبان الرمل المرنة وأدع تلك الحبات الدهرية تدخل عبر أصابعي. وعندئذ ادرك قيمة الرمل الحقيقية.

■ ريتشارد رود

أصداء من عالم الطب

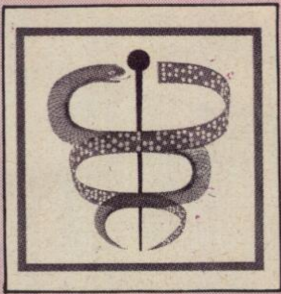

احذروا يوم الاثنين!

ربما كان يوم الاثنين، أو ذلك اليوم الذي يلي عطلة نهاية الاسبوع، يشكل خطراً على صحتك. ويبدو أنّ عدد ضحايا الذبحة القلبية من الرجال أيام الاثنين يفوق عددهم في الايام الاخرى، حسب دراسة نشرها فريق من باحثي جامعة مانيتوبا في "مجلة الاتحاد الطبي الامريكي". وتبين، في الوقت نفسه، أنّ أيام الجمعة تشهد أقلّ عدد من الوفيات بالذبحة القلبية.

والدراسة المذكورة أُجريت على قرابة ٤٠٠٠ رجُل خلال فترة طويلة. وتبين أنّ ٣٨ منهم لقوا حتفهم على أثر نوبات قلبية مفاجئة وقعت أيام الاثنين، بينما لقي ١٥ رجلا حتفهم بالطريقة نفسها أيام الجمعة. وتبين أنّ الاثنين، بالنسبة الى الرجال الذين خلت سجلاتهم الطبية من أمراض القلب، هو اليوم الاكثر خطراً. وقد بلغ معدّل الوفيات بالذبحة القلبية لدى أفراد المجموعة المذكورة ٨،٢ يومياً خلال الايام الستة من الثلثاء حتى الاحد. لكنه بلغ ثلاثة أضعاف هذا الرقم بالنسبة الى يوم الاثنين.

ويقول الدكتور سايمون رابكن، أحد اعضاء فريق مانيتوبا: "يبدو أنّ هناك رابطاً بين الاجهاد النفسي والوفاة بالنوبة القلبية المفاجئة. وربما كانت العودة الى العمل عامل اجهاد". وتجدر الاشارة الى أنّ البقاء في البيت يوم الاثنين لم يساعد كثيرا في تغيير الوضع. فقد تبين أنّ ٤٦،٧ في المئة من النوبات القلبية القاتلة التي تحدث داخل المنازل وقعت في أيام الاثنين كذلك. ويضيف رابكن: "هذا يجب أن يكون حافزاً لنا على تحري الاسباب التي تجعل من يوم الاثنين يوماً خطراً على هذا النحو".

صحيفة "شيكاغو تريبيون"

الفيتامين يشفي تدرّن الثدي

يعمل الاطباء بنجاح على معالجة تدرّن الثدي اللاسرطاني باعطاء النسوة المصابات جرعات كبيرة من الفيتامين "هـ". وهذا النوع من التدرّن هو من الامراض الليفية الشائعة وتعانيه امرأة واحدة بين كلّ خمس نساء. وفي دراسة نشرها أطباء المجموعة العاملة على هذا العلاج في "مجلة الاتحاد الطبي الامريكي"، جاء أنّ ٢٦ امرأة يعانين حالات متقدمة من هذا المرض أُعطين ٦٠٠ وحدة من الفيتامين "هـ" يومياً لمدة ثمانية أسابيع. وكان أثر العلاج ايجابياً لديهنّ جميعاً باستثناء أربع منهنّ، بينما شُفيت عشر نساء منهنّ على نحو تامّ.

وينصح الاطباء جميع النساء بالاستشارة الطبية قبل أخذ أيّ علاج مضادّ لتدرّن الثدي.

صحيفة "أخبار امريكا والعالم"

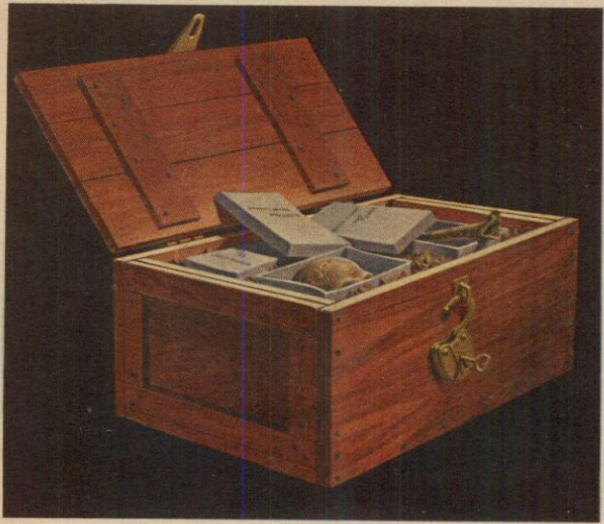

إنسان الصّين

لغز الصندوق الضائع بين أمريكا واليابان

في التاسعة والنصف من صباح ٩ يونيو (حزيران) ١٩٧٢، رن جرس الهاتف في غرفة رجل الاعمال كريستوفر جانوس (٦٢ سنة) في نادي هارفارد النيويوركي وكانت على الخط الآخر امرأة ذات صوت أجش ولكنة أجنبية، قالت: "لست امرأة غريبة الاطوار ياسيد جانوس، أنا ارملة جندي في البحرية الامريكية كان يؤدي الخدمة العسكرية في شمال الصين عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية. والعظام موجودة لدي".

كان جانوس عاد قبل وقت قريب من بكين، حيث طلب منه مدير "متحف الانسان" ومسؤولون صينيون ان يساعدهم في استرداد بقايا "انسان بكين" المحتجرة التي يرقى عهدها الى أكثر من ٥٠٠ الف سنة. وهذه البقايا هي أثمن كنز انتروبولوجي (★) لدى الصين، وقد اختفت في وقت ما بعد ٨ ديسمبر

(★) الانتروبولوجيا أو علم الانسان تبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعرافه وعاداته ومعتقداته.

(كانون الاول) ١٩٤١· فما كان من جانوس الا ان عرض مكافأة مالية قيمتها ٥٠٠٠ دولار، مع التعهد بعدم طرح اي أسئلة، في مقابل معلومات تفضي الى استرجاع العظام·

ورفضت صاحبة المكالمة دعوة جانوس الى مقابلته، وأصرت على ان يلتقيها فوق شرفة مبنى "أمباير ستيت" في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً·

- ... وكيف أعرفك؟

"لا تدع ذلك يقلقك· فيكفي ان أتعرف أنا اليك"·

وفي الثانية عشرة والدقيقة الثلاثين وصل جانوس الى المكان المحدد· وطفق يدور حول المنصة· وبعد عشر دقائق من الانتظار بدأ الشك يخامره في ان تكون المكالمة خدعة· وفجأة ظهرت الى جانبه امرأة مديدة القامة ناحلة، سوداء الشعر، ترتدي معطفاً أسود وتحمل حقيبة سوداء كبيرة·

وبادرته: "أنا التي كلمتك هاتفياً هذا الصباح"· وسلمت جانوس صورة فوتوغرافية في حجم ٧،٥×١٢ سنتيمتراً، تظهر كومة عظام وجمجمة· وأضافت: "هذه هي عظام انسان بكين· وأريد نصف مليون دولار ثمناً لها؟"·

عند تلك اللحظة، حوّل أحد السياح الذين اكتظت بهم الشرفة آلة تصويره في اتجاه جانوس والمرأة الغامضة· فما كان من المرأة الا ان انتزعت الصورة الفوتوغرافية من جانوس وفرت· ووقف جانوس مشدوهاً، ثم أسرع في أثر المرأة التي توارت عن الانظار·

كنز وطني - استدرج جانوس الى عملية البحث هذه عن طريق المصادفة المقصودة· فهو رئيس "مؤسسة التراث اليوناني" في شيكاغو، وتلك منظمة لاربحية ترعى الندوات والحلقات الثقافية والمنح الدراسية وتمول برامج تبادل الطلاب· وفي ابريل (نيسان) ١٩٧٢ اقترح عليه صديق امريكي من أصل صيني الذهاب في رحلة الى الصين، ملمحاً الى ان سفارة جمهورية الصين الشعبية في اوتاوا، عاصمة كندا، قد تمنحه الافضلية بين أكثر من ٤٠٠ الف طلب تأشيرة دخول لرعايا امريكيين· وأثار ذلك فضول جانوس، فقدم طلباً· وبعد اسبوعين تلقى تأشيرات له ولاربعة من أعضاء مؤسسته·

وقام جانوس برحلة سريعة الى واشنطن لزيارة صديقه القديم هنري كيسينجر، مستشار رئيس الجمهورية آنذاك، وطلب نصيحته· فقال له كيسينجر: "لست في حاجة الى اي نصيحة· انما عليك ان تعمل على توطيد العلاقات الامريكية - الصينية"·

وفي الصين، بعد جولات عدة على المصانع والمزارع الجماعية، أُخذ جانوس وفريقه الى متحف يقع على مسافة ٤٨ كيلومتراً خارج بكين· وكان هذا المتحف شيد في المكان الذي تعرّف عالم التشريح الكندي الدكتور ديفيدسون بلاك، في العام ١٩٢٦، الى اولى الاحافير التي أصبحت في ما بعد أكبر مجموعة متحجرات بشرية عثر عليها في موضع واحد· وهذه المجموعة هي بقايا ٤٠ فرداً، تتألف من شظايا خمس جماجم وثماني

عظام فخذ وعظمتي ذراعين وعظمة ترقوة وأسنان وعظام متنوعة أصغر حجماً.

كانت هذه المتحجرات بقايا "انسان بكين(★)". وهو مخلوق يبلغ طوله ١٥٥ سنتيمتراً ويعتبر حلقة رئيسية في ارتقاء الانسان. وهو عاش منذ فترة تراوح بين ٦٥٠ الف و٥٠٠ الف سنة. وكان انسان بكين يعيش في الكهوف ويشوي اللحم، وهو اول كائن شبه بشري استخدم النار، ومن المرجح انه كان يرتدي الجلود. واعتبرت هذه المتحجرات كنزاً وطنياً لكونها الآثار الاولى للانسان البدائي في الصين.

وحين طلب جانوس ان يرى العظام النفيسة، قيل له انها غير موجودة هناك، وان الصينيين يعتقدون انها في الولايات المتحدة. ثم فاجأه مضيفه بقوله: "لدينا الايصال الذي اعطيناه مواطنيك عندما اخذوا انسان بكين في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١، ونريد الآن استعادته". فتذكر جانوس ما قيل له في واشنطن حول توطيد العلاقات الامريكية ـ الصينية، ووعد بأن يبذل قصارى جهده ليساعد في هذا الشأن.

وبعد ذلك بأيام، عقد جانوس مؤتمراً صحافياً في هونغ كونغ، وتحدث عن رغبة الصينيين في استرجاع العظام. وختم كلامه بالاعلان عن مكافأة الخمسة آلاف دولار. ولم يكن يعلم قط لماذا وقع الاختيار عليه هو ليكون وسيطاً ولماذا أقحم في أحد اغرب الغاز زماننا.

وفي اعقاب ذلك كتب مئات الاشخاص الى جانوس وزاروه عارضين عليه معلومات شتى. ولكن تبين ان أياً منها لا يؤدي الى نتيجة ايجابية، الى ان اتصلت به المرأة الغامضة. وعقد جانوس النية على اكتشاف مكان وجود المرأة. وظناً منه انها من منطقة نيويورك، فانه نشر اعلاناً صغيراً على الصفحة الاولى من عدد "النيويورك تايمس" الصادر في ٤ اغسطس (آب) ١٩٧٢: "انسان بكين. شرفة مبنى امباير ستيت المال متوافر. لن نطرح اي اسئلة. اتصلي هاتفياً بـ ك.ج".

وبعد أقل من اسبوع اتصلت المرأة بجانوس. الا انها رفضت الاجتماع به ثانية، واتهمته بأنه تواطأ مع السائح ليحصل على صورتها. ومع ذلك وافقت على ان ترسل اليه نسخة عن الصورة الفوتوغرافية التي ارته اياها. ووصلت الصورة بعد يومين، وعلى الفور ارسل جانوس نسخة الى هاري شابيرو، الرئيس الفخري لدائرة الانتروبولوجيا في المتحف الامريكي للتاريخ الطبيعي. وكان شابيرو قد زار ديفيدسون بلاك في الصين عام ١٩٣١، ويعرف العظام وقصتها كما يعرفها اي شخص آخر.

ولما فحص شابيرو الصورة تحت المجهر، لاحظ ان اياً من العظام لا تشبه عظام انسان بكين في ما عدا الجمجمة. وأكد شابيرو ان الجمجمة تشبه جمجمة انسان بكين على نحو لا يربو اليه الشك. واستشار جانوس خبراء بارزين آخرين فاتفقوا جميعاً في الرأي مع شابيرو.

رحلة التشرد ـ بدأت ملحمة العظام

(★) Sinanthropus Pekinensis

الضائعة قبيل دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية. كانت اليابان غزت شمال الصين ومنشوريا قبل ذلك بسنوات قليلة، ووضع اليابانيون قائمة بالكنوز التي توقعوا العثور عليها وشحنها الى طوكيو باعتبارها غنائم حرب. واحتلت عظام انسان بكين رأس هذه القائمة. وكانت العظام محفوظة، باذن من الحكومة الصينية، في كلية الطب الاتحادية في بكين التي بنيت على نفقة مؤسسة روكفلر. وتولى صيانة العظام وحمايتها الانتروبولوجي الدكتور فرانتس فيدنرايش الذي خلف ديفيدسون بلاك في هذه المهمة بعد وفاته عام ١٩٣٤.

وفي مطلع ١٩٤١ لاح شبح الحرب بين الولايات المتحدة واليابان، وأبلغ الرعايا الامريكيون وجوب مغادرة الصين. وازاء هذه التعليمات وجد فيدنرايش نفسه في دوامة من الحيرة. فهو خشي ان تقع المتحجرات في أيدي اليابانيين ان هو حاول أخذها معه، فهم كانوا في ذلك الوقت يسيطرون على جميع مرافىء الصين. وتفادياً لهذه المجازفة حاول ان يقنع سفير الولايات المتحدة بشحن العظام الى مكان أمين بواسطة الحقيبة الديبلوماسية. فرفض السفير ذلك معتبراً المتحجرات ممتلكات صينية لا يجوز نقلها من دون اذن رسمي. وغادر فيدنرايش الصين في ابريل (نيسان)، تاركاً العظام في الخزانة الفولاذية في مختبر بحوث العصر الحديث التابع لكلية الطب الاتحادية في بكين.

وفي أوائل نوفمبر (تشرين الثاني) أمرت واشنطن جميع الامريكيين الباقين، وبينهم موظفو السفارة ومفرزة جنود البحرية الامريكية لشمال الصين المؤلفة من ٢٠٤ رجال، بمغادرة الصين الى الفيليبين. وفي الوقت ذاته ورد طلب من تشانكينغ، مقر الحكومة الصينية آنذاك، بوجوب ارسال العظام الى الولايات المتحدة.

وبكثير من العناية والحذر تولت كلير تاشدجيان سكرتيرة فيدنرايش الشابة، توضيب المتحجرات في صندوقين من الخشب الاحمر بحجم (٦١ × ٤٦ سنتيمتراً)، صنعهما نجار الكلية لهذا الغرض. ومن ثم اقفل الصندوقان وعهد بهما الى الكولونيل وليم أشرست، قائد جنود البحرية، الذي طُلب منه امرارهما عبر الخطوط اليابانية. الا ان المحاولة جاءت متأخرة. فلدى مهاجمة اليابانيين قاعدة بيرل هاربر، تحركوا ليحتلوا القواعد الامريكية في الصين قبل يومين من موعد مغادرة جنود البحرية مرفأ تشينوانغتاو. فأسرهم اليابانيون وأعادوهم مع امتعتهم الى ثكناتهم في تينتسين.

وفي وقت ما خلال هذه الحركة المحمومة اختفت عظام انسان بكين. وأثار اختفاؤها كتلة مبهمة من التناقضات والتكهنات جعلت الشرطة السرية اليابانية تندفع في بحث يائس عنها. وأطلقت كلير تاشدجيان بعد استجوابها، لكونها مواطنة المانية. ولم تكشف أعمال الضرب والتعذيب التي تعرض لها الرعايا الامريكيون في كلية الطب الاتحادية عن اي معلومات.

عند هذا الحد توقفت المسائل الى ما بعد الحرب، حين صمم فيدنرايش على استعادة المتحجرات. وبعد موته عام ١٩٤٨ استأنف البحث صديقه وزميله شابيرو.

وبحلول هذا الوقت كانت الصين والولايات المتحدة تتبادلان الاتهامات حول الجهة التي استحوذت على العظام. وفي العام ١٩٥١ كتب الدكتور و.باي، وهو استاذ سابق في كلية الطب الاتحادية في بكين اعتنق الشيوعية الصينية في وقت لاحق، مقالة زعم فيها ان المتحجرات وصلت الى الولايات المتحدة حيث اخفاها "الامبرياليون". وفي رد على ادعاء باي قال الكولونيل أشرست المتقاعد، في مقابلة صحافية، ان جنوداً يابانيين وجدوا العظام على الارجح فظنوها عديمة القيمة ورموا بها. وتوفى اشرست في العام ١٩٥٢.

الحلقة المفقودة — دخل اللغز مرحلة جديدة في ابريل (نيسان) ١٩٧١. فقد علم شابيرو من أحد جنود البحرية الامريكية السابقين، وكان ادى الخدمة العسكرية في شمال الصين، ان الدكتور وليم فولي، وهو استاذ في كلية الطب التابعة لجامعة كورنيل في نيويورك وسبق ان عمل طبيباً في الكتيبة نفسها، قد تكون لديه معلومات مهمة حول العظام. وروى فولي قصة مذهلة:

في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١، وضع الكولونيل أشرست الصندوقين اللذين يحويان المتحجرات في صندوقين عسكريين، وسلمهما الى فولي الذي كان على وشك العودة الى الولايات المتحدة. وكان مطلوباً من فولي، لدى وصوله الى نيويورك، ان يسلم الصندوقين الى فيدنرايش.

ولدى جمع امتعة فولي لشحنها كانت تتألف من ٢٧ صندوقاً، ٢٥ منها تضم ممتلكاته الشخصية. وبعد استسلام مشاة البحرية الامريكية، اعيدت جميع الامتعة الى ثكنة تينتسين. وفي ما بعد، حين نقل اليابانيون مشاة البحرية الى معسكرات أسرى الحرب، أرسل معهم صندوق يحمل اسم أشرست. وكان الكولونيل اشرست يعتبر هذا الصندوق ثميناً على نحو خاص، علماً بأن فولي لم يطلع على محتوياته قط.

وطوال ثلاث سنوات، فيما كان ضباط مشاة البحرية الامريكية ينقلون من معسكر اعتقال الى آخر، أفلح فولي وأشرست في منع هذا الصندوق من الوقوع في ايدي اليابانيين. ثم فرق بين فولي وأشرست قبيل نهاية الحرب وارسلا الى معسكرين مختلفين. وكانت تلك المرة الاخيرة التي رأى فولي الصندوق. وتولى مكتب التحقيقات الاتحادي (إلاف.بي.اي.) في وقت لاحق استجواب كل جنود البحرية الذين كانوا في تينتسين. الا ان ذلك لم يلق اي ضوء جديد على المسألة.

وكما هي الحال في روايات أغاتا كريستي البوليسية، فليس من السهل رؤية الحلقات بين الشخصيات في لغز انسان بكين. ومع ان جانوس يبقى بعيداً عن هدفه بمقدار ما كان في أي وقت مضى، فهو مصمم على مواصلة بحثه. وهو رفع قيمة المكافأة الى ١٥٠ الف دولار، وعلى رغم كل ذلك، فان عدد الاسئلة المحيرة يزيد على عدد الاجوبة.

فهل تلك المرأة المتشحة بالسواد هي الحلقة المفقودة في اللغز؟ وماذا في شأن العظام نفسها؟ فهذه العظام التي ظلت دفينة نصف مليون سنة، ثم كشف النقاب عنها مدة تقل عن ٢٠ سنة، ما زالت تستحوذ على مخيلة الناس في غيابها بمثل القوة التي استحوذت عليها في حضورها.

■ جيمس ستيوارت — غوردون

عِبَر من ٦٠٠٠ طلاق

الخسارة في الحبّ أفضل من خسارة الحبّ

يمر المطلقون في ثلاث مراحل مميزة، لكل منها محاذيرها. وفي ما يأتي بعض القواعد السلوكية التي يحسن اتباعها لتخطي هذه المراحل وبناء حياة سليمة

كانت في السادسة والعشرين من العمر، ذات شعر طويل أشقر وعينين زرقاوين. تركها زوجها فجأة، فأخذت على نفسها عهداً بالانتقام: "لن ينجو من عقابي. سأتصل بجميع اصدقائه وزملائه في العمل وأخبرهم كم هو حقير وأناني وكاذب. سوف أحطمه!".

فهززت رأسي استهجاناً، ونصحتها: "لا تفعلي ذلك. فأنت ما زلت تحت وطأة الصدمة وتمرين بـ"مرحلة الجنون". واذا انتظرت فترة، فأنا واثقة بأنك سترين الامور بمنظار مختلف".

فأجابتني بغضب: "كيف يمكنك التكهن بما ستكون مشاعري؟ فأنت لم يسبق لك ان قاسيت الهجر والطلاق".

- بل أعرف تماماً كيف تشعرين، فأنا عشت ستة آلاف حال انفصال وطلاق.

بصفتي "اختصاصية طلاق"، اي

مرشدة تساعد الرجال والنساء على الصمود أمام انهيار زواجهم، فان مكتبي وصفوفي ومحاضراتي تكتظ دائماً بأناس يحاولون التغلب على خيباتهم ومخاوفهم ووطأة الضغوط النفسية عليهم.

وكل طلاق فريد في بعض تفاصيله. غير ان المشاكل الرئيسية التي تواجه الازواج المنفصلين تكاد تكون مشتركة. فمعظمهم يمر بثلاث مراحل مميزة: مرحلة صراع البقاء، عندما يعيش الزوجان يوماً بيوم وهما يواجهان الغضب والالم والصدمات النفسية. ومرحلة الابلال، وفيها يفحص الزوجان دوافعهما ومشاعرهما وتصرفاتهما ويخططان للمستقبل. ومرحلة اعادة البناء، حين يوجهان جهودهما نحو بناء حياة جديدة.

مرحلة صراع البقاء - يعقب الانفصال عادة اضطراب داخلي وانتكاسات عاطفية. فالطرف المهجور هو الاكثر حنقاً، والطرف الهاجر هو الاكثر شعوراً بالذنب.

وأذكر ان زوجاً غاضباً سمم طعام كلب زوجته المدلل. فانتقمت منه بتمزيق ربطات عنقه وقمصانه وبذلاته. وحطم رجل آخر هاتف زوجته الخاص وهو يصيح: "لن يمكنك الاتصال بعشيقك بعد اليوم".

■ وخلال "مرحلة الجنون" يتبادل الزوجان الاهانات والتهم، ويتعقب احدهما الآخر ويخبر كل من يراه بتفاهته وحقارته. لذلك فاني اقترح على اولئك الذين يمرون بهذه المرحلة التقيد بالقواعد السلوكية الآتية:

نفّس عن عدوانيتك على انفراد:

من المفيد ان تطلق لغضبك العنان، بشرط الا يكون ذلك علناً. فأنت بغضبك تحرج مستمعيك، وسرعان ما تندم على نشر غسيلك الوسخ فوق السطح. فمن المؤكد انك ستتعامل وشريكك في المستقبل، واذا اتخذ كل منكما موقفاً عدائياً من الآخر، فستعرقلان الوصول الى تسوية ترضي الجانبين.

■ **لا تسرف في التفكير في الاخطاء التي ادت الى الطلاق:**

فكر ملياً في ما حدث. فان كنت منصفاً فسوف تدرك انك تتقاسم وشريكك مسؤولية الانفصال. واذا غضضت النظر عن الاخطاء التي ادت الى اخفاق زواجكما، فسوف تتغلب على شعورك بالمرارة والذنب ويسهل عليك رأب الصدع والانتقال الى أيام اسعد.

■ **لا تستسلم للشعور المرير بضياع العمر:**

تذكر انك يوم تزوجت اخترت أفضل شخص يناسبك. ففي ذلك الحين، وربما في السنوات التالية، حققت لك علاقتك الرضا. وثمة كثير من الحكمة في المثل القديم: "خير لك ان تحب وتخسر من الا تحب ابداً".

■ **لا تتسرع في اقامة علاقة حميمة مع شخص آخر:**

كلا الزوجين سيكونان سريعي التأثر بالمغريات بعد انهيار الزواج مباشرة. وقد تنشأ لدى الزوجة نظرة سلبية الى نفسها لان زوجها اهملها وربما حط من قدرها، فتتورط في سلسلة من العلاقات العاطفية الخاطفة في محاولة يائسة لاستعادة ثقتها بنفسها، الى ان تكتشف ان هذه العلاقات القصيرة الاجل تعزز لديها الشعور بالفراغ والتفاهة.

ورب رجل منفصل عن زوجته حاول لأم كبريائه الجريح عن طريق الارتباط بمن يصغرنه سناً، ومواكبة التقليعات الحديثة في الملابس، وقيادة السيارات السبور والرقص كل ليلة. بيد ان الالتزام بشريك غير ناضج خلال فترة "المراهقة الثانية" كثيراً ما يؤدي الى كارثة زوجية في المستقبل.

■ **اعرف كيف تختار محاميك:**

لا توكل محامياً خشناً، ولا تطلب منه ان يطرح شروطاً تعجيزية على شريكك من قبيل الانتقام. فالمحامي العدواني سيؤجج شعور المرارة لديكما، كما سترهقكما الرسوم القضائية الباهظة. ويمكن حل كثير من المسائل عن طريق التفاوض المباشر المقرون بضبط النفس والتصرف السليم. واذا كنت الزوجة المعنية، فاياك والاصرار على ان يدفع زوجك ثمناً غالياً لحريته ظناً منك انه لا يكابد ما لحقك من اذى عاطفي. هذا هراء، فالرجال كذلك يتألمون كثيراً. وفي السنوات الخمس الماضية ارتفعت نسبة الذكور الذين يحضرون بعض حلقاتي الارشادية من ٤٠ الى ٦٠ في المئة.

مرحلة الابلال ـ بعد مرحلة "الجنون" والغضب الاولية، ستشعر بالكآبة وتنزع الى الانطواء وتنصرف الى تفحص مشاعرك وأفكارك ودوافعك. وستفقد الرغبة في الاختلاط بالناس، اذ انك في هذه الفترة تعنى بتضميد جروحك ومراجعة ما حدث ووضع الخطط لمواجهة المشاكل التي يفرضها وضعك الجديد. ومن ثم، فيما تنهمك في وضع هذه الخطط وتنفيذها، تنحسر عنك الكآبة وتشرع في الابلال. واليك بعض الخطوات التي قد تساعدك في فترة الانتقال هذه:

■ **اعمل على بناء علاقة راشدة مع اولادك:**

حذارِ المغالاة في حمايتهم او خنقهم بمحبتك المفرطة تعويضاً لفقدهم الوالد الآخر. ولا توغر صدر ولدك على الوالد الغائب لانك بذلك لا تزيده الا ألماً وتمزقاً. حاول ان تجعل اولادك يمضون بعض الوقت مع قريب راشد من الجنس الآخر. وليس من الحكمة ان تسمح بنمو صداقة وثيقة بين اولادك الصغار والاشخاص الذين تقيم معهم علاقات حميمة. فالشريك الموقت سيظهر لطفاً زائداً تجاه اولادك لخطب ودك، غير انه سيختفي من حياتهم فور انتهاء علاقتكما. ولا يسع الولد حيال ذلك الا الشعور بأن بالغاً آخر خانه من جديد.

■ **قوّم وضعك المالي بواقعية:**

على الزوجة الا تدع عقدة الحصول على المال تتملكها، فتطلب من مطلقها نفقة سخية توهماً ان وضعه المالي يسمح له بتكبد النفقات الباهظة. فقليل من الرجال قادر على ذلك. ان تكاليف المعيشة لشخصين أقل منها لشخص واحد، خصوصاً في زمن التضخم هذا. وبين زبائني نساء اضطررن الى التخلي عن الملابس الفاخرة والرحلات المكلفة وعن كثير من النشاطات الترفيهية. وبعض الرجال الذين قطنوا بيوتاً تضم خمس غرف نوم ومسابح مدفأة في الضواحي الفخمة يقنعون بعد طلاقهم بالسكن في شقق صغيرة متواضعة.

■ **أعد النظر في اهتماماتك الشخصية وصداقاتك:**

كثيراً ما تدور حياة العائلة الاجتماعية في نطاق علاقات الرجل المهنية وعندما يبتعد الزوج، يبتعد معه كثير من أصدقاء الاسرة. ومن ناحية أخرى، اذا كانت الزوجة محرك حياة الاسرة الاجتماعية، فالزوج هو الذي سيشعر بالوحدة. اعط نفسك وقتاً كافياً لاحياء صداقات قديمة وبناء أخرى جديدة. انضم الى احد النوادي او التحق بدورات تثقيفية او شارك في نشاطات ثقافية وخيرية وسياسية تهمك. واذا التقيت اشخاصاً تحبهم، ادعهم الى دارك واكرمهم واطلب منهم ان يشاركوك في نشاطاتك. لا تتخذ موقفاً دفاعياً، ولا تظهر المرارة لان ذلك ينفر الناس منك.

مرحلة اعادة البناء ـ تبين لي من ملاحظاتي الخاصة ان الرجل العادي يحتاج الى سنة ونصف سنة ليتكيف مع حياة الغزوبة، بينما تحتاج المرأة العادية الى سنتين. ويطرأ تحول بارز الى الافضل لدى اربع مطلقات من كل عشر، وأدعو هذا التغيير "ظاهرة الفراشة". فهن يخففن وزنهن ويعتمدن تسريحات انيقة ويرتدين ملابس فاخرة ويتوظفن وينمين اهتمامات جديدة ويزددن جاذبية وحيوية.

ويبدو ان ظاهرة الفراشة أقل شيوعاً بين الرجال. فـ"الرجل الفراشة" قد يقدم على استكشاف الحياة مبتهجاً كالطفل. واني عرفت عدداً من الرجال الذين "تحرروا" من قيود الزواج يصبون طاقاتهم في عملهم ويحققون نجاحاً باهراً يفوق ما حققوه ابان زواجهم. وسواء أكان المرء من صنف الفراشة او لم يكن، فهناك بعض المبادىء البسيطة التي تساعده في تخطي هذه المرحلة:

■ **كن حذراً في تعاملك مع شريكك السابق:**

قد يحثك شريكك السابق على الرجوع اليه. فعليك التأكد من سلامة دوافعه. واذا قررتما تناول وجبة طعام معاً، تجنب المطاعم التي يغلب عليها الطابع الحميم. وليكن ذلك غداء لا يتجاوز الساعة ونصف ساعة. ولا تتورط في علاقة جنسية عابرة مع شريكك السابق، فالوصال الذي يأتي نتيجة دوافع غير سليمة يفضي الى قرارات شخصية مفجعة تنتهي بالخيبة والاسى.

■ **كن متعقلا في حياتك الجنسية:**

اذا عزمت على اقامة علاقة جنسية، فافتح عينيك جيداً. احذر الالتزامات الطويلة الامد حتى تشفى من صدمة الطلاق. اختر شخصاً تحبه وتثق به يمكنه ان يوفر لك الراحة والتفهم كشريك موقت.

اذا كنت والداً، فلن يسعك ان تبني علاقة جنسية دائمة من غير ان يكتشفها اولادك سريعاً.

■ **لا تتعجل الزواج ثانية:**

ان عدد المطلقين الذين يتزوجون ثانية لا يقل عن ثمانية من كل عشرة. ولكن عليك بالتروي قبل ان تختار شريكك الجديد. انتظر انقضاء مرحلة المحنة العاطفية والتصورات المشوهة التي تعقب انهيار الزواج. واذا الح شريكك الجديد في تحديد موعد باكر للزواج، فاطلب منه التريث. فالعلاقة

السليمة يمكنها الصمود ستة أشهر اخرى وحتى سنة او سنتين.

ومن الدروس التي تلقننا اياها تجربة الطلاق انه يستحيل على المرء تغيير شخصية انسان آخر. فالناس لا يتغيرون نزولا عند رغبتك، انما يتغيرون اذا هم شاؤوا ذلك. فلا تصر على تحسين شخصية شريكك الجديد، فانه سيستاء وستنهار علاقتكما في النهاية.

وقد يحدث لك، ككثير من المطلقين، ان تبقى سنوات عدة بلا زواج. وأؤكد لك ان البقاء من دون زوج لم يعد عاراً او نكبة كما كان في الماضي.

اني لا أتشاءم كثيراً من ارتفاع نسبة الطلاق، فمعظم المطلقين يوفقون الى الزواج ثانية. وينجح معظمهم في الزواج الثاني، ربما نتيجة نضجهم، فتتعزز مؤسسة الزواج ويتعزز المجتمع.

■ **لين تريبلنغ**

في مقابلة مع سيدني كاتس

لين تريبلنغ عالمة اجتماع تدير "مركز الحياة العقلانية" في مدينة تورنتو الكندية.

ازواج الحكومة

في استطاعة موظف الحكومة أن يكون زوجاً مثالياً: فهو يعود الى البيت غير متعب ويكون قد قرأ الصحيفة في المكتب.

ب.ب.

السعادة والوهم

ما يجعل الناس يرون السعادة أمراً صعب التحقيق، أنهم يرون الماضي أفضل مما كان والحاضر أسوأ مما هو والمستقبل أجمل مما سيكون.

م.ب.

نادي رجال الاعمال

في بلدة ليدز الانكليزية ناد يقدم خدمة خاصة الى الرجال الذين يودون الاستمتاع بكأس شراب منعش بعد يوم من العمل المضني. فعندما يقوم الرجل الى الهاتف ويتكلم الى زوجته قائلا: "اعذريني يا عزيزتي، انني مضطر الى التأخُّر في المكتب بسبب تراكم الأعمال"، ينطلق شريط تسجيل متصل بهاتف النادي، محدثاً قرقعة آلة طابعة أو لغط متحدّثين أو أصواتاً اخرى.

صحيفة "دي فيلت"، هامبورغ

كابوس ليلة شتاء

مأساة واقعية

كان البحر هادئاً عندما أخذ جون فيرسيرفس وزوجته مارج اولادهما الثلاثة الى البر للالتحاق بالمدرسة بعد عطلة الميلاد. وكان الزوجان يديران المنارة القائمة على جزيرة آوتر سمبرو في مقاطعة نوفاسكوتيا الكندية، ويقطنان الجزيرة وحدهما. وقد ورث جون تلك المهنة عن أفراد عائلته الذين عملوا طوال قرنين في تلك المنارة ذات الخطوط البيضاء والحمراء، مراقبين السفن التي تدخل مرفأ هاليفاكس وتخرج منه.

وكان الزوجان أمضيا وقتاً مع صديقهما آلفي غراي، مدير مكتب البريد في قرية سامبرو على اليابسة، وزوجته هلن، اللذين تقيم لديهما ابنتاهما كيلي (١٣ سنة) وديردري (١١ سنة) خلال الفصل الدراسي. أما ابنهما فيليب (١٧ سنة) فيقيم مع عائلة أخرى في الجوار. وابتاعا بعض الحوائج ثم ركبا زورقهما المكشوف الذي يبلغ طوله ١٤ قدماً (٣،٤ امتار) وانطلقا نحو الجزيرة في الرابعة عصراً، على أمل ان يبلغا المنزل الذي يبعد خمسة كيلومترات، بعد ربع ساعة. وفي منتصف الطريق توقف المحرك فجأة عن العمل. وما ان أصلحه جون حتى أخذت الغيوم تزحف من الجنوب الشرقي.

وقاد جون الزورق الى ممر مائي يفضي الى ثغر الجزيرة. وهناك انصبت عليهما الريح بملء قوتها. وأنذر جون زوجته بأن تستعد للتبلّل بماء المطر.

وتوقف المحرك مرة أخرى. واشتدت الريح حاملة الزورق الى

الوراء ليصطدم بالصخور القريبة من طرف جزيرة "ايغ آيلند روك". ورمى جون المرساة، لكن عمق الماء منعها من العلوق. وفيما راحا يتأرجحان نحو الشاطىء، خشي جون أن ينقلب الزورق في أي لحظة، من غير ان يكون لزوجته التي لا تعرف العوم أمل في النجاة وسط ذلك البحر العاتي. وكان أملهما الوحيد ان ينتظرا الرياح والامواج لتحملهما الى صخور الصوان على شاطىء جزيرة ايغ آيلند روك.

على الصخرة – قال جون لزوجته: "تشبَّثي بمكانك". وبعدما فكر في الامر ملياً، قفز الى الشاطىء وراح يمشي بحذر فوق الصخور المغطاة بالجليد. وثبَّت رجليه فوق قطعة من اليابسة يملأها المحار (الصدف) فيما ابتعد القارب قليلا. الا ان مارج لم تضطرب لكنها انتظرت حتى اندفع القارب الى الشاطىء مرة أخرى، فقفزت منه ووقفت الى جانب زوجها.

وحاول جون ان يمسك بحبل القارب متحدياً جنون البحر. وكاد ان ينزلق الى الماء لو لم يفلت الحبل من يديه العاريتين ويغيب سريعاً خلف مدى البَصَر. وولَّت معه عدة الطوارىء وحساء السمك الساخن الذي احتفظت به مارج في وعاء ضابط.

وصعد جون وزوجته، بثيابهما المبلَّلة حتى الرُّكَب، الى أعلى قمة في الجزيرة حيث اتخذا لهما ملاذاً. وهكذا انتهى بهما المطاف عند صخرة صوان ضخمة. وكانت تفصلهما عن آوتر سامبرو مسافة ١٢ متراً تتخللها المياه الباردة والعاصفة المنذرة والليل الزاحف. وبدت لهما تلك المسافة

القصيرة أطول ١٢ متراً عايناها في حياتهما.

وأخذا يمشيان على قمة الصخرة ويفركان أكفّهما طلباً للدفء ويمعنان النظر الى الماء، علهما يريان قارب صيد في طريق العودة. ولكن لم يبلغهما، عبر هدير الموج والريح، سوى أصوات اسراب من عجول البحر (الفقمة).

وكانت مارج ترتدي خفّين للرّياضة وسروالا وسترة نايلون. وتحملت البرد بجرأة، على رغم انّ يديها فقط كانتا دافئتين حقاً ضمن قفازين من الصوف. أما جون فكان يرتدي سترة عوامة وخفين من الفرو، ولكن لم يكن معه قفازان. وبدت يداه زرقاوين من فرط البرد.

وفي الساعة الخامسة أفل ذلك النهار الشتوي القصير. وأمكنهما ان يريا في ضوء المنارة الذي يظهر برهة ثم يخبو، نوافذ منزلهما بما توحيه من دفء في الداخل، وان يتخيلا كلبيهما الصغيرين وهما ينعمان بالسكينة تحت طاولة المطبخ. وحدّقا طويلا الى الخطّ الاسود عند الشاطىء القصي، آملين ان يبصرا نوراً يبرز وسط الظلام العاصف. وأخذ جون يخاطب نفسه مؤنباً: "لماذا لم أُعلم خفير الساحل بنزولنا الى البحر؟".

"أرسوا المراكب" - في السادسة مساء أعفي ألن هنيبري، خفير الساحل في محطة سامبرو، من الخدمة من قبَل أخيه غاس الذي وجه أمراً بالراديو الى بيل ستيوارت، المسؤول عن زورق النجاة الرقم ١١٧، يقول: "أرسوا جميع المراكب".

وكان جون ومارج يحتميان بجانب الصخر المحجوب عن الريح. وراحا يبحثان في ما يجدر بأحد الابوين فعله اذا فُقد الآخر. وكانت الساعة الثامنة، مما يعني ان ثلاث ساعات انقضت منذ وقوع الحادث، وانه من المستحيل ان يحصلا على نجدة. وأدرك جون ان بقاءهما في ذلك المكان طوال الليل هو صنو الانتحار، وان سبيل الخلاص الوحيد هو في ان يقطع الممر المائي الى آوتر سامبرو ويتوجه الى منزله، ومن هناك يطلب النجدة عبر الراديو.

وكانت أقرب قطعة من اليابسة في الجزيرة المقابلة منزلقاً صوّانياً يستحيل التمسك به. لكنه اذا سبح مسافة أطول، فسيصل الى شاطىء صغير يكسوه الحصى. وقدر ان سترته العوامة ستنقذه من الغرق في ذلك البحر الجامح. وقرر ان ينتظر انحسار الموج قبل ان يقفز الى الماء، لكي تكون المسافة اقصر ما يمكن.

على اليابسة كانت هلن غراي قد سألت كيلي فيرسيرفس ذات الثلاث عشرة سنة اذا خابرت والدتها.

فأجابت كيلي: "لقد نسيت!" وقفزت من سريرها مسرعة الى جهاز الراديو، وقالت: "أيمكنني ان أخابر أمي الآن يا آلفي؟" وأدار آلفي قرص الجهاز يحدوه عطفه على الفتاة، ولكن لم يأتِ اي جواب. عندئذ قال: "يبدو انهما منهمكان في المنارة. وسنحاول طلب الرقم بعد قليل".

في التاسعة والنصف كانت حركة المدّ والجزر في ادناها، وهو ما كان ينتظره جون للقفز الى الماء. وللمرة الاولى خلال الساعات الخمس التي

امضياها على الصخرة، شاهد جون الخوف في عيني مارج. ورأته ينزلق على الصخر وينزل الى الماء ليبرز رأسه فجأة من بين الامواج. وبعد ذلك لم تبصر شيئاً.

وسط الماء والهواء - كان البرد أسوأ مما توقعه جون، وما برح الموج يلطم وجهه. وكان عليه ان يبقي رأسه فوق الماء ليحرّر فمه وأنفه من الملوحة. وراح يتخبط آناً في الماء وآناً في الهواء، ولكن من غير جدوى. وجاء وقت أحسّ ان الدم تجمد في عروقه. وأخذ يصلي.

وتيبست ذراعاه كالميت. وكان كلما اجتاحته موجة ظن ان الامر قُضي. لكنه ما لبث ان رفع رأسه فوق الماء وانطلق يخبط من جديد. وبعد دقائق خالها ساعات، أمكنه ان يلمح خلال الظلمة والضباب تعرّجات الشاطىء الذي كان يَسْعى اليه، وهو لا يبعد عنه سوى بضعة أمتار.

وصرخ: "لقد أفلحت!" وراح يتحسس الارض برجليه. واستقرت احدى يديه على كتلة من الاعشاب الصخرية، وجذب نفسه الى حصى الشاطىء وقد خارت قواه. وانبرى ذهنه المضطرب يصور له انه سيُقْضى عليه بعد هنيهة ولن يدري أحد بمحنة زوجته مارج.

لكنه واجه عذاباً آخر، هو قطع مسافة ٨٠٠ متر وسط الريح والظلام. وكان الشعاع المنبعث من المنارة يريه الطريق على نحو متقطع. وعرف ان الصخور المغطاة بالجليد على يمينه تنحدر عمودياً الى البحر. لذلك بقي على اليسار، محاولا تركيز قدميه على ارض صلبة ومتحركاً بأقصى ما يجرؤ. وكانت قدماه متيبستين وهما تجران جسداً ارهقه التعب وكسته ثياب مغطاة بالجليد.

وأخيراً وصل الى المنزل. وأخذ يركض مترنحاً ويسمع عواء الكلبين في الداخل وهو يتسلق درجات السلم بمشقَّة. وشكر الله لانه ترك الباب غير مقفَل. ولكن كيف له ان يدير المقبض بيدين متحجرتين؟ وأمسك المقبض بكلتا يديه وأخذ يشد ويشد الى ان أدرك - عن طريق السمع، لا عن طريق اللمس - انه فُتِح. ومشى متعثراً امام الكلبين وأشعل النور في القاعة العليا لكي تعرف مارج انه بلغ البيت. ثم تابع طريقه بجهد الى الراديو وأخذ يصارع الارقام.

نداء استغاثة - كان بيل ستيوارت في المطبخ عندما سمع نداء الاستغاثة على القناة ٩ الخاصة بالطوارىء يطغى على صوت القناة العادية. وجاء الصوت ضعيفاً، لكنه مُشبَع بنبرات الاستغاثة: "الزورق... اختفى... مارج... مفقودة". وترنح قلبه في داخله حين أدرك مصدر الصوت. ورفع الراديو ليأتيه الصوت من جديد بنبرات أقوى: "مارج موجودة على..." وهنا طغى التشويش على بضع كلمات الى ان جاءت الكلمة الاخيرة: "روك!" وتناول بيل سترته ومفاتيح السيارة وغادر البيت بسرعة فائقة.

في منزل آل غراي، حاول آلفي مرة أخرى ان يخابر المنارة. ولكن لم يبلغه سوى أصوات مشوّشة آتية من محطات مختلطة، ولم يستطع ان يفهم غير كلمة واحدة او اثنتين. فقطب جبينه وخفض إبرة الصوت.

وخاطب كيلي قائلا: "هناك تشوّش كثير في الجهاز. اصعدي الى فوق واستعدي للنوم. وسأناديكِ عندما أحصل على جواب".

وكانت شقيقة كيلي سبقتها الى السرير. أما اخوهما فيليب فكان مستغرقاً في مشاهدة التلفزيون، كعادته عندما يزور آل غراي مساء. لكن هلن غراي لاحظت تغيُّراً في صوت زوجها. وحين ابتعدت كيلي عن الراديو، رفع آلفي الصوت من جديد ليسمع جون بوضوح تامّ: "لقد تركتُها على جزيرة ايغ آيلند روك... ولكن ماذا لو قررت ان تتبعني؟".

واستدار فيليب فيرسيرفس مذهولا، وقفز الى جهاز التلفزيون خافضاً صوته. وأصغت هلن غراي قليلا الى الراديو، ثم صعدت الى الفتاتين وأخبرتهما ان حادثاً حل بوالدتهما، الا ان فرقة خفر الساحل تحاول تطويقه، وان في استطاعتهما البقاء حتى يبلغهما خبر نجاتها.

"إنَّها هناك!" - في تلك الاثناء ركب بيل ستيوارت وألن هنيبري وأخوه غاس زورق الانقاذ الرقم ١١٧ الذي أُبقي محركاه - وقوة كل منهما ٢٢٠ حصاناً - دافئين كهربائياً استعداداً لظرف من هذا النوع. لكن الرادار، الذي يدلهم على الاتجاه، كان يحتاج الى بعض الوقت ليعمل. غير انهم قرروا الانطلاق فوراً.

وعندما ابتعد القارب عن المرسى، كانت الريح تهبّ بسرعة ٢٥ عقدة (٤٦ كيلومتراً في الساعة) وقد بدأ الثلج يسقط. ووضع بيل القاربَ المتين في أقصى سرعته. ولم ينسَ الثلاثة ان يكلموا جون فيرسيرفس على الراديو ويطمئنوه الى انهم في طريقهم لانقاذ زوجته..

وما ان قطع القارب مسافة قصيرة حتى بدأ الرادار يعمل. وعرف بيل النقطة التي وصل اليها، وغيَّر وجهة القارب الى ان أصبح قريباً من الصخرة. عندئذ أشعل الانوار الساطعة. وصرخ ألن هنيبري بفرح: "انها هناك! انها مارج!" وأطلق غاس صيحة ظفر: "انظر اليها! انها بخير".

واقترب بيل من الشاطىء من غير ان يصدم القارب بالارض. وأنزل غاس وألن زورق مطاط توجها فيه نحو الشاطىء. ورفعاه من الماء وصعدا على الصخور المكسوة بالجليد. وهناك طوقا مارج بسترة نجاة وساعداها في النزول الى الزورق. وانتظرا هدوء الموج قبل ان يتجها نحو القارب.

وصعدت مارج الى القارب برباطة جأش، لكن وجهها كان شاحباً ونظراتها مشْبعة بالالم. ووقفت الى جانب بيل في حجرة القيادة وهي ترتجف، على رغم الدفء، كأن صدمة اصابتها. وتحسس بيل خديها وعضلات عنقها ليرى اذا كانت متشنجة. فقالت مارج بصوتها الهادىء المعهود: "ماذا تفعل أيها الأحمق؟ إني على خير ما يُرام".

في الصباح التالي نظر جون فيرسيرفس من نافذة منزله ليشهد عبور احدى أسوأ عواصف ذلك الشتاء. ولم يستطع ان يرى جزيرة ايغ آيلند روك حتى بعدما انجلت السماء. فقد كان زبد الامواج المتكسرة يغلفها من كل الجوانب.

■ كاي هيل

فَنّ الاصغَاء

الاصغاء الى الآخرين فعل غير اناني يسمح لنا بالتخلص من عزلتنا. والذي يحسن الاصغاء شخص نادر

ارادت سيدة ان تمتحن حسن اصغاء الناس، فقالت لضيوفها وهي تقدم اليهم بعض الحلوى: "جربوا قطعة منها. لقد ملأتها بالزرنيخ". ولم يتردد احد في تناول الحلوى، بل قالوا جميعاً: انها لذيذة حقاً، الرجاء تزويدنا بطريقة تحضيرها".

جميعنا ننزع الى الاعتقاد باننا نصغي جيداً. والواقع أن معظمنا يتكلم بمعدل ١٢٠ الى ١٨٠ كلمة في الدقيقة ويفكر بمعدل اربعة او خمسة اضعاف ذلك. وهكذا فان انتباهنا يتوه بنا، وفي اكثر الاحيان لا نستوعب من حديث الشخص الآخر سوى نصفه، مع العلم ان المقدرة على الاصغاء والتجاوب امر ذو اهمية في اي علاقة انسانية سواء افي العمل او في البيت او مع الاصدقاء.

منذ سنوات تعلمت درساً قاسياً. خرجت ابحث عن وظيفة، وكنت تخرجت لتوي في الكلية. فكانت لي مقابلة مع محرر جريدة تصدر في بلدة صغيرة. كانت المقابلة تجري على احسن ما يرام، وبنفسية مرحة بدأ المحرر يخبرني عن رحلته الشتوية للتزلج على الثلج. واذ كنت مهتمة

لاحداث تأثير عظيم فيه وتدبيج حكاية عن احدى رحلاتي الى تلك الجبال، جنحت في تفكيري عنه وبدأت تخطيط حكايتي الخاصة.

"ما رأيك بذلك؟" سألني فجأة. وبما اني ما كنت استوعبت كلمة واحدة مما قال، اجبته بمنتهى الحماقة: "يبدو انها كانت عطلة مدهشة كلها مرح!" فحدّق الي برهة طويلة وقال: "كلها مرح؟ وأين المرح؟ لقد قضيت معظم العطلة في المستشفى من جراء كسر في ساقي!".

كيف يمكننا ان نحسن مقدرتنا على الاصغاء؟

لكي احصل على الجواب حدثت عدداً من الذين تتطلب مهنتهم اصغاء جيداً - من اطباء نفسانيين ومستشارين للمشاكل العائلية وعاملين اجتماعيين. وفي ما يأتي اقتراحاتهم:

إصغ بكليّتك - النقر بالاصابع وهز الرجلين مقبولان اذا كنت تصغي الى الموسيقى. اما اذا كنت تصغي الى شخص آخر فذلك غير مقبول، اذ لا شيء يسيء الى كبريائه كسلوكك هذا. واذا كان محدثك زوجاً او رئيساً او زبوناً فلا شيء يساوي اساءة ذلك اليك انت.

لذلك حاول ان تنسى جميع الملهيات التي تضج في الغرفة او موعدك مع طبيب الاسنان. أظهر اصغاءك الكلي بنظرة مباشرة الى محدثك او بايماءة مشجعة من رأسك او باشارة من يدك تحثه على متابعة حديثه. حتى طريقة جلوسك، اذا كنت منتبهاً ومرتاحاً، تدل على اهتمامك كأنك تعبر عنه بالكلمات.

اذا كنت في مجتمع وجاء دورك في الحديث، لا تشعر بان من واجبك التمسك به، بل افسح المجال لسواك - في مطلع العمر يظن كثيرون أن النجاح في الحياة الاجتماعية يتوقف على مقدرتنا على الصمود في المحادثة. لقد روت لي زوجة موظف في السلك الديبلوماسي الساعات المؤلمة التي قضتها في الحياة الاجتماعية في بداية ممارسة زوجها مهنته: "كنتُ فتاة من بلدة صغيرة، ووجدت نفسي للمرة الاولى في غرفة ملأى باشخاص ماهرين في فن المحادثة جاؤوا من انحاء العالم. وكنت أُجهد نفسي في البحث عن موضوع اتحدث عنه، بدلا من الاصغاء الى ما كان يقوله هؤلاء الاشخاص". واخيراً، في احدى الامسيات، افضت تلك السيدة بمشكلتها الى ديبلوماسي كبير كان هادئاً ومحبوباً جداً. قال لها: "لقد اكتشفت منذ زمن طويل أن كل محدث يحتاج الى شخص يصغي اليه. صدقيني اذا ما قلت لك ان الذي يحسن الاصغاء هو شخص نادر ومرغوب فيه جداً في الحفلات الاجتماعية، كالمياه العذبة وسط الصحراء".

ساعد الشخص الآخر على الانطلاق في الكلام بابدائك ملاحظات قصيرة او بطرحك بعض الاسئلة التي تُظهر انك مصغ الى ما يقول، وان تكن ملاحظاتك من نوع "حقاً..؟" او "هاتِ المزيد" - التحدث الى شخص لا يتجاوب معك هو كالصياح في هاتف معطل، فانك تشعر حالا بسخافة الموقف وتترك الهاتف.

لنفرض انك تتناول طعام الغداء مع صديق قديم يخبرك أن شجاراً نشب بينه وبين زوجته وانه لم ينم كثيراً خلال الاسبوع. واذا كنت، كالكثيرين منا، تخاف التدخل في شؤون الآخرين فقد تقول له: "لكل زواج عثرات عابرة"، ثم تبدل الحديث بقولك: "ما الذي طلبته؟ السمك او اللحم المشوي؟ انك بذلك تخبره بطريقة غير مباشرة انه من الافضل ان يحتفظ بمشاكله لنفسه.

ولكن لنفرض انك اتخذت موقفاً ايجابياً وقلت له: "اني لا استغرب أرقك، ولا بد انك تألمت كثيراً من هذا الوضع". انك بذلك تعطي صديقك فرصة للتعبير عن مشاعره المكبوتة، ولا شك في انه سيشعر بالارتياح. قليلون جداً اولئك الذين يعتمدون على انفسهم الى حد انهم لا يشعرون احياناً بحاجة الى الاعراب عن مشاكلهم لصديق يجيد الاصغاء.

نمِّ حساسيتك لتفهم مضمون الكلام: تلك الافكار الباطنية التي كثيراً ما تحجبها الكلمات - من السهل ان نسمع الكلمات فقط وتفوتنا الفكرة الحقيقية وراءها، حتى وان نكن نصغي الى اشخاص نحبهم كثيراً. قد يشن احدهم هجوماً غاضباً بقوله: "ما الذي تعنينه؟ هل بك حاجة الى المال؟ كل ما تعرفه هذه العائلة هو التبذير!" كلام قد لا يكون له اي علاقة بتبذير العائلة للمال، فما هي الفكرة الحقيقية اذاً؟ - "لقد أمضيت يوماً مزعجاً في عملي اليوم، واني على وشك الانفجار!".

اذا كنت تجيد الاصغاء، فانك تفهم شعور الالم والخيبة وراء ذلك الانتقاد. وبعد هدوء العاصفة يمكنك ان توجه بضع كلمات تظهر اهتمامك بمحدثك، كقولك مثلا: "انك تبدو تعباً، هل كان يومك مجهداً؟" هذا الكلام قد يساعد الشخص الآخر على التنفيس بطريقة اكثر ايجابية عن مشاعره المؤلمة. ان الوضع الذي كان على وشك ان يصبح خصاماً مراً ينقلب مشاركة هادئة تعزز الزواج.

اصغِ من دون ان تدين الشخص الآخر - جميعنا نتحمس لوضع مقاييس للصواب والخطأ ونصدر احكاماً على الآخرين. لكننا بادانتنا لهم بدلا من الاصغاء اليهم تقطع خطوط الاتصال معهم.

تقول الطبيبة النفسانية بربارة شبلي، من جامعة كاليفورنيا، انه من الضروري أن تظهر للآخرين انك تهتم بهم وتتقبلهم حتى وان لم توافق على سلوكهم. الاصغاء يجعلهم يدركون ذلك. فعندما يعود مراهق الى بيته في الثالثة صباحاً يصعب على اهله ان يتذكروا اهمية الاصغاء اليه. النزوة تدفعهم الى الصياح في وجهه: "لا اريد ان اسمع ما حدث!" هذا الموقف لا يخرب العلاقات فحسب، بل يحدث أمراً أخطر من ذلك كثيراً. فهو يضعف ثقة المراهق بنفسه. لا بأس في ان تُعلمه بتأثير سلوكه عليك كأن تقول له: "لقد قلقنا عليك كثيراً". ولكن اسمح له في الوقت نفسه ان يخبرك بالامر من وجهة نظره هو. الاطباء النفسانيون يحذرون من ان اعادة الثقة بالنفس الى الاشخاص الذين نشأوا في بيت لا يصغي فيه الوالدان على الاطلاق، امر يتطلب في الغالب معالجة نفسانية لسنوات عدة.

جميعنا نشعر بحاجة ملحة الى ان يصغي الآخرون الينا، وعيادة الاطباء النفسانيين ملأى بأشخاص محتاجين الى من يصغي اليهم. وفي معظم الاحيان، تنقطع الاتصالات الانسانية لعدم وجود المصغين ولكثرة المتكلمين. يقول مستشار في الشؤون العائلية حقق رقماً قياسياً في تسوية العلاقات المنقطعة: "اني في الواقع لا اعمل كثيراً لاعادة الامور الى مجاريها بين أفراد العائلة، وجل ما افعله هو ان اهيىء الفرصة لكل منهملكي يتكلم بدوره بينما يصغي الآخرون من دون مقاطعته. وغالباً ما تكون تلك المرة الاولى، خلال سنوات، التي امكنهم الاصغاء بعضهم الى بعض".

الاصغاء فعل اهتمام، فعل غير اناني يسمح لنا بالتخلص من عزلتنا في ذواتنا المنفردة والدخول الى دائرة الصداقة والدفء الانساني.

■ **مارغريت لاين**

المرأة الفاضلة

في مقابلة تلفزيونية، سئل المحامي الايطالي الشهير فرنسيسكو كارنيلوتي عن سر نجاحه، فأجاب: "زوجتي". وعندما لاحظ دهشة المذيع الذي يجري المقابلة، أضاف: "صحيح انها لم تدرس القانون، وانها لا تتدخل في عملي، ولا تطلب مني النصح او تسدي الي نصحها. الا انها تملأ حياتي بحضورها. فهي تتوقع رغباتي وتكشف اطواري وتصغي الى غضبي وتجد، في كل موقف، العبارة المناسبة. وفي المساء حين أراجع أوراقي، تجلس الى جانبي وتحوك الصوف من غير ان تنطق بكلمة. وان صوت إبر الحياكة هو أفضل مهدىء لاعصابي. فهو يخفف التوتر ويمنحني حساً غير محدود بالامان. ولولا زوجتي لما أمكنني تلمس طريقي. لكني، بوجودها، أقوى على كل شيء".

٥١٠١.

فن الخطابة

سأل سفير دولة أجنبية السياسي الفرنسي ووزير الخارجية السابق ميشال جوبير عن سر النجاح في الخطابات العامة. فقال الوزير: "الجواب سهل: الخطيب الناجح يرتجل ما يريد قوله بعد تحضير دقيق جداً لما لا يريد قوله".

وكالة "جانيك" الصحافية

الضحك خير دواء

لكل حادث حديث

كطالب سائح في اوروبا، لم يكن في حوزتي سوى مبلغ ضئيل من المال. لكني شاهدتُ معطفاً جلدياً في محلّ اسباني، أعجبني الى حدّ قررتُ معه أن اجربه على رغم قلة نقودي. ولما وجدت عاملة المحلّ أنّ ثمن المعطف، وهو ٩٥ دولاراً، لا يلائمني، ذهبت الى غرفة داخلية وعادت لتقول انها تعطيني اياه في مقابل ٥٥ دولاراً، شرط ان أُخبر جميع معارفي عن ذلك المحلّ وموقعه. وعدتُ أقول انّ المبلغ فوق طاقتي، فسألتني أن أُحدد الرقم الذي يناسبني. وقلتُ اني على استعداد لدفع ٤٠ دولاراً. عندئذ ذهبت من جديد الى الغرفة الداخلية وعادت تقول: "فليكن ما تريد، شرط ألا تخبر أحداً عن المحلّ".

غ.و.

يكره العنف

على رغم ان زوجي لا يطيق التخلي عن شيء من مقتنياته، الا انه كان ينتظر تنظيف مرأب السيارة بحماسة بالغة وبعدما فعل ذلك اخيراً، جمع الاشياء التي لا حاجة اليها في علبة كبيرة ليأخذها عامل التنظيفات. وخوفاً من أن يعيد بعض تلك "الكنوز" الى المرأب، كتبتُ التحذير الآتي على العلبة: "اذا وضعت يدك على اي جزء مني، فسأنفجر واحطم كلّ عظمة في جسمك".

وأتى يوم جمع المهملات، وبقيت العلبة في مكانها. وقرأتُ عليها الملاحظة الآتية التي أضافها عامل التنظيفات: "أنتِ الرابحة يا سيدتي. فاني اكره العنف".

س.و.ك.

تهنئة مبطنة

بعدما رُزق عمي وزوجته ولدهما البكر، لم ينقطع عن كتابة الرسائل الى والده يصف فيها ابتهاجه بالطفل. لكنّ جدي، الذي لم يكن يكترث للاطفال، كان يقلب الرسائل عبثاً للعثور على أخبار ابنه. وكتب اليه مرة يسأله عن أخباره الخاصة، لكنّ عمي بقي يكرّس الرسائل لاطراء مفاتن ابنه. ولما ضاق جدي ذرعاً بالامر، كتب الى عمي يقول: "اهنئك يا ابني على هذا الولد الرائع الذي لم يمنّ علينا الله، أنا وامك، بمثله".

د.ك.

ادارة اعمال المستقبل

كان صديق لي في الجامعة يفكر في الانتقال من دراسة ادارة الاعمال الى دراسة التاريخ. وبعد التدقيق في برامج الدائرتين، قال: "لقد قرّ رأيي على ادارة الاعمال، اذ وجدت أنه لا مستقبل في التاريخ".

ت.و.

شعاع صغيـر
يـنطلـق مـن
جزيئـات المـادة
لـيعيـد الـى
المرضى اليائسين
امل الحياة

يطلق ليزر الآرغون عبر عدسة مكبرة خاصة لـ"لحم" الاوعية الدموية في عين مريض يعالج من خلل في الشبكية ناتج عن اصابته بداء السكر.

عَصر الليزر

اصيبت تلميذة في السادسة عشرة من عمرها بتورم خطر في المهبل لان امها تناولت عقاراً للخصب خلال فترة الحَمْل. فجرى تبخير هذه الآفة خلال لحظة بواسطة اشعاع ضوئي لم يبقِ على اي خلية شاذة.

وابتلى بائع في الثالثة والستين من عمره بنزف في جدار معدته، وهو امر يكاد يكون قاتلا. فعولج بواسطة نقطة ضوء صغيرة كرأس الدبوس أرسلت عبر انبوب رفيع عن طريق المريء.

وفقدت ممرضة في الثامنة والعشرين القدرة على الانجاب، لانسداد المجاري الفالوبية (١) بعد جراحة. فاستعادت خصبها على اثر فتح المجاري بواسطة اشعة غير مرئية.

هؤلاء جميعاً - وكثيرون مثلهم - استفادوا من آخر عجائب الطب: الليزر الجراحي. ومنذ تطوير الليزر عام ١٩٦٠، تهيأت له في حقلي التجارة والشؤون العسكرية استعمالات عدة. لكن فائدته العظمى تبدو الآن في حقل الطب.

وكلمة "ليزر" هي تسمية مركبة من الحروف الاولى لعبارة بالانكليزية تعني "تضخيم الضوء عن طريق حفز انطلاق الاشعاع". ذلك ان جزيئات المادة تتذبذب تبعاً لتواتر معين.

(١) قناتان تنتقل البييضات عبرهما من المبيض الى الرحم.

Photo: (c) Don Mc Coy/Rainbow

ويمكن جعل هذه الجزيئات تعطي نوعاً غير محدد من النور بحفزها اما بالحرارة واما بالشحنة الكهربائية او المصباح الومضي. غير ان شكلا من الضوء شديد التركيز ـ هو ضوء ليزر ـ يمكن استخراجه اذا جرى حفز المادة بطاقة خفيفة ذات تواتر مماثل لتواتر جزيئاتها. وفي التطبيقات الطبية لا تزيد قوة هذا الضوء على قوة الضوء المنبعث من مصباح كهربائي عادي. والفارق الكبير هو ان النور المنبعث من المصباح يتألف من موجات مختلفة الطول تشع حول الغطاء الزجاجي، بينما لا يرسل شعاع الليزر الا موجة ذات طول واحد يمكن تركيز طاقتها في نقطة واحدة لا تتجاوز قطر رأس الدبوس. وزيادة على ذلك، وتبعاً للمادة التي يتم حفزها، يمكن تحديد موجة الليزر لتأتي "مطابقة" (اي قابلة للامتصاص) للخلايا المعنية.

وهذه الظاهرة اثبتها عام ١٩٦٣ آرثر شولو الذي عمل على وضع قواعد الليزر مع تشارلز تاونز الحائز جائزة نوبل. وقد اثار شولو عجب الحضور عندما سلط شعاع ليزر الياقوت على بالون ازرق موضوع ضمن بالون آخر شفاف. فاخترق الشعاع البالون الخارجي وفجر البالون الداخلي فقط. والسبب ان طول الموجة المنبعثة من ليزر الياقوت تمتصه المادة الزرقاء وحدها، اي البالون الداخلي.

وكان اطباء العيون استغلوا قدرة شعاع الليزر على "اختيار" هدفه. ففي اوائل الستينات تكشفت للطبيبين ملتون فلوكس وكريستيان زونغ من جامعة ستانفورد في كاليفورنيا، بطريق المصادفة، فكرة استعمال ليزر الياقوت في معالجة شبكية العين. ويشرح الدكتور فلوكس ذلك: "هناك شبه واضح بين البالونين في التجربة المذكورة وتركيب العين البشرية". فللعين غطاء شفاف خارجي هو القرنية، وجدار خلفي قاتم هو الشبكية مكون من تشابك الاوعية الدموية. ويحدث احياناً ان تتمزق هذه الاوعية الدموية او ان تنفصل الشبكية نفسها عن الجدار خلفها، فيحدث خلل في البصر ربما ادى الى العمى. ولان الشبكية تقع في مؤخر العين، فمن الصعب جداً معالجتها بالطرق الجراحية التقليدية.

الشعاع المنقذ ـ عندما تبينت لأطباء ستانفورد قدرة ليزر الياقوت على اختراق المواد الشفافة، تساءلوا عما اذا كان في وسعهم استعمال الليزر لتخثير الاوعية الدموية الممزقة او "لحم" الشبكية في مؤخر العين. واثبتت تجاربهم على القردة ان ذلك ممكن فعلا. ويتذكر الدكتور فلوكس: "وضعنا اول مريض بشري على كرسي وصوبنا الشعاع الى بؤبؤ عينه الموسع. ومرّ شعاع الليزر من دون اذى عبر القرنية ولَحَم التمزق الشبكي في موضعه. واستمرت العملية بضع دقائق، ولم يشعر المريض بشيء على الاطلاق".

واخذ اختصاصيون آخرون في حقل الطب يهتمون لليزر. غير ان بعض المساعي الاولى لاستعمال ليزر الياقوت في استئصال بعض الانسجة باء بالفشل، ذلك لان موجات ليزر الياقوت تمر عبر كل الخلايا باستثناء الاشد تلوناً بينها. الا ان العلماء اكتشفوا سريعاً ان اي مادة يمكن

حفزها كهربائياً الى حد توليدها شعاع ليزر. ولم تمض فترة حتى كانوا ينتجون موجات ليزر متنوعة الطول.

وفي اواسط الستينات استغني عن ليزر الياقوت في الحقل الطبي وحل مكانه الشعاع المولد من الآرغون. والآرغون عنصر غازي يولد موجات تخثر الانسجة الحمراء من دون ان تبخرها. والأهم من ذلك ان السيطرة على شعاعه ممكنة لان ما يحرقه لا تتعدى كثافته سماكة قشرة البندورة (الطماطم).

ولقد كان اكتشاف ليزر الآرغون نصراً طبياً مفاجئاً، خصوصاً في حقل الامراض الجلدية. ويقول الدكتور ليون غولدمان، الاختصاصي بالامراض الجلدية ومدير مختبر الليزر في المركز الطبي في جامعة سنسيناتي في اوهايو: "كنا حتى اكتشاف ليزر الآرغون نعالج الشامة (الوحمة او العلامة الخلقية) والشوائب الجلدية الخطرة بالاشعة السينية (اشعة اكس) او بالصقيع الجليدي (٢) او الجراحة". والاشعة السينية تحمل خطر السرطان الى الجلد والعظم، بينما تترك الطريقتان الاخريان ندوباً كبيرة. اما الارغون فلا يسفر الا عن قليل من هذه التأثيرات الجانبية.

والنجاح التالي لليزر الارغون كان القدرة على وقف النزف الداخلي. فبعد ان اطلع الدكتور البرت ويتمان، من نيويورك، على اعمال الاختصاصيين بالجهاز الهضمي في المانيا الغربية في مجال استعمال الليزر لوقف النزف المعوي، وقع عقداً مع ادارة المعاهد الوطنية للصحة في الولايات المتحدة، في بتسدا (ولاية ماريلاند)، لاجراء تجارب الليزر على الحيوانات المخبرية. وبعد عام وافق المسؤولون في المستشفى على استعمال ليزر الآرغون على المرضى المهددين بالموت نتيجة نزف في الجهاز الهضمي.

وكان التاجر جيم اول من طبقت عليه الطريقة الجديدة. فهو كان مصاباً بمرض "توسع الشعيرات النازف"، وهو مرض وراثي تتفجر فيه الشرايين الصغيرة تلقائياً فينز منها الدم. واذا حدث ذلك تحت الجلد فهنالك طرق عدة للسيطرة على النزف. اما اذا حصل النزف في مجرى الجهاز الهضمي فان حياة المصاب تغدو مهددة.

وكان جيم خضع لعمليات نقل دم عدة. كما ان نصف معدته استؤصل جراحياً. الا ان الدم بقي ينز في النصف الآخر. ويقول الدكتور ويتمان: "في شباط ١٩٧٦ قررنا استخدام ليزر الآرغون". فأدخل منظار باطني مجوف عبر فم جيم الى المريء ثم الى المعدة. ثم أدخل في المنظار سلك ينقل الليزر، واطلق الضوء الاخضر على الشريان النازف. وعندما ضغطت قدم الدكتور ويتمان على الدواسة، خثر شعاع الليزر الشريان على الفور وتوقف النزف نهائياً. ونعم جيم بالحياة الطبيعية للمرة الاولى.

الصوت الجميل – غير ان الليزر ذا الطاقة العالية، المنبعث من ثاني اوكسيد الكربون والذي طوره كومار باتل في مختبرات بل عام ١٩٦٤، هو

(٢) قتل الخلايا عن طريق تجميدها. ويستعمل النيتروجين (الآزوت) السائل لهذا الغرض احياناً.

الذي احدث الضجة الكبرى لدى الجراحين. ويقول الدكتور جوزف بلينا، استاذ التوليد وامراض النساء في جامعة ولاية لويزيانا في باتون روج ومدير معهد بحوث الليزر: "ان ليزر ثاني اوكسيد الكربون يولد موجة يمتصها الماء بكاملها. وبما ان نسبة الماء في الانسجة الحيوية تراوح بين ٧٥و٩٠ في المئة، فهذا يعني ان ليزر ثاني اوكسيد الكربون يمكن استعماله في اي موضع من الجسم".

ولكي تفهم ذلك، تصور ان الماء الذي يكاد يملأ وعاء محكم الاقفال تحول فجأة بخاراً مرتفع الضغط، فعندئذ ينفجر الوعاء ويتمزق. وهذا في الواقع ما يحدث على مقياس مجهري مصغر، عندما تمتص خلية ما طاقة ليزر ثاني اوكسيد الكربون. فالسائل في الخلية يتحول بخاراً، فتنفجر الخلية ويتم تعقيم النسيج المُستهدَف وتحترق الشظايا او تتبخر مع اقل مقدار ممكن من الاذى للانسجة المجاورة. وعملية الاستئصال هذه سريعة، كما لو جرت بالمبضع. وعمق الجرح وعرضه يمكن السيطرة عليهما في حدود مليمتر واحد. ولان الشعاع يسد الشرايين الصغيرة خلال الجراحة، فلن يكون هنالك نز دموي كما يحدث في معظم الجراحات. ويقول الدكتور بلينا: "ان ذلك يمثل تقدماً عظيماً في غرف العمليات. فلعدم حدوث نزف دموي عنيف، ولوجود عوامل التجلط والاجسام المضادة (٣)، فان حدوث التهاب او نزف هو احتمال ضعيف. وهذا بدوره يعني تورماً اقل وألماً اخف وندبة بسيطة وشفاء اسرع".

ولنأخذ حال الطفل روبرت ابن السنتين. ان روبرت لم ينبس بكلمة منذ اكثر من سنة لان اوراماً عنقودية في شكل القنبيط (الكرنب)، تسمى الورم الحليمي، كانت تغلف اوتاره الصوتية. وفعلا نمت هذه الاورام العنقودية بسرعة مما اضطر الاطباء الى اجراء عملية فتح الرغامى (القصبة الهوائية) كي يستطيع التنفس.

ويقول الدكتور هربرت ديدو، نائب رئيس قسم امراض العين والانف والحنجرة في كلية الطب في جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو: "حتى وقت قريب كان كل ما في وسعنا عمله في مثل هذه الحالات ان نستأصل الورم الحليمي بآلة تشبه الملقط". وعندما يُجري الطبيب جراحة في اعماق البلعوم، حيث تصعب الانارة، عليه ان يعتمد غريزته واحاسيسه. وحتى اذا امكنه تسليط بعض النور على الناحية المعنية، فان الدم يتجمع ويسد عليه منافذ الرؤية.

ويوضح الدكتور ديدو: "ان حال روبرت هي مَثَل مثير لما يمكننا فعله باشعاع ثاني اوكسيد الكربون". فقد استعمل الجراح منظاراً للحنجرة من تصميمه وراح يوجهه بمهارة مما جعل شعاع ثاني اوكسيد الكربون يروح ويجيء على ورم روبرت ويبخره تباعاً. ويقول الدكتور ديدو: "شعرت كأني النحات ميكال انجيلو. فبينما الورم الحليمي يتبخر، رحت اراقب الشكل الطبيعي للاوتار الصوتية وهو يبرز للعيان". وبعدما أفاق روبرت من

(٣) مواد تتكون داخل الجسم لمقاومة الجراثيم.

تأثير البنج، اصدر انيناً خافتاً. وتقول والدته: "كان انينه اجمل صوت سمعته في حياتي".

ربما كان اعظم تغيير احدثته الجراحة بواسطة ليزر ثاني اوكسيد الكربون هو استئصال سرطان عنق الرحم والمهبل المبكر قبل ان يتفشى في الانسجة المجاورة. ويقول الدكتور سيسيل رايت، الاستاذ المساعد في علم التوليد وامراض النساء في جامعة اونتاريو الغربية: "على العموم، تتم معالجة هذه الحالات السرطانية قبل انتشارها بواسطة الصقيع او الكي الكهربائي". الا ان طريقة الصقيع تتضمن احتمال عودة المرض بنسبة ٢٥ في المئة على الاقل، بينما يؤدي حرق الانسجة بالكهرباء الى آلام مبرحة وندوب كريهة.

وهذا كله لا يحدث باستعمال شعاع ثاني اوكسيد الكربون. ويقول الدكتور رايت: "اظهرت دراسة اولية ان احتمال عودة المرض لا تزيد نسبته على ٤ في المئة. كما ان المرضى قليلا ما يشكون انزعاجاً او الماً". وفي الواقع، نادراً ما نحتاج الى البنج (المخدر) عند استعمال ليزر خفيف لمعالجة بداية السرطان في عنق الرحم او المهبل. ولا يتطلب ذلك من الوقت اكثر من خمس الى ثماني دقائق. ويتم ذلك في عيادة الطبيب معظم الاحيان.

وكان الدكتور بلينا اول طبيب استعمل ليزر ثاني اوكسيد الكربون في معالجة امراض النساء. ومنذ العام ١٩٧٤ اجرى هو، او أُجري في اشرافه، نحو ١٤٠٠ جراحة بالليزر، اشدها اثارة تلك التي كانت الغاية منها ترميم التركيب التناسلي. ويقول الدكتور بلينا: "لاعوام خلت كنا نرفض اجراء الجراحات لمعظم هذه الحالات بسبب الجرح الناتج منها والوقت الذي تتطلبه الجراحة، اذ لا يمكن اخضاع المريض للتخدير العمومي هذه المدة الطويلة من اجل جراحة اختيارية".

اما جراحة الليزر فانها خفضت هذه المدة بنسبة ٥٠ في المئة. ويقول الدكتور بلينا: "الآن، مع عدم وجود مشاكل النزف والمباضع والشاش والندوب في الانسجة، يمكننا ان نمنح الامل مئات النساء اللواتي كن سيحرمن نعمة الانجاب".

وتستمر قصة الليزر. فقد نجح استخدام ليزر ثاني اوكسيد الكربون لتبخير ورم عميق في ثنايا الدماغ. وفي مستشفى سيناء في ديترويت، ميتشيغان، طبق علاج الليزر لخفض الحاجة الى استئصال الرحم لدى النساء المصابات بالنزف الحيضي الطويل ولمعالجة سرطان الرأس والعنق والانسجة الناعمة والثدي، ولاستئصال الانسجة المحروقة.

ويخلص الدكتور بلينا الى: "ان جراحة الليزر لا تعطي دائماً نتائج سريعة ومرضية. ونحن نتعامل مع بدعة طبية عجيبة وليس مع عقار عجائبي".

الا ان هذه الاجهزة الحديثة تثير اهتمام الاطباء. ويقول الدكتور ديدو: "لا يراودني ادنى شك في ان عصر الجراحة بالليزر حان".

■ ستانلي انفلبارت

السّوق المشتركة:

مَصلحَة الدَولة فوق مَصلحَة الأسرَة!

تتذرع دول الاسرة الاقتصادية الاوروبية بحجج واهية لتقيم حواجز تجارية جديدة. وهذا مثال لما يمكن ان تواجهه الاسواق المشتركة في بلدان عدة في العالم

في اوائل فبراير (شباط) ١٩٨٠، اوقف مفتش الجمارك في مطار بروكسل الدولي في بلجيكا مسافراً يحمل آلة تصوير وطلب اليه ابراز الاوراق التي تثبت ملكيته لها. وسرعان ما ادرك المفتش انه اخطأ في تصرفه. فالمسافر محام ايطالي يدعى الفونسو ماتيرا (٤١ عاماً) ويعمل موظفاً في ادارة الاسرة الاقتصادية الاوروبية وبالتحديد في شعبة ازالة الحواجز غير الجمركية داخل السوق المشتركة. وهو، الى ذلك، خبير في مبادىء التجارة الحرة.

واقنع السيد ماتيرا المفتش بانه لا يعقل ان يحمل كل المسافرين وثائق تثبت ملكيتهم لامتعة ابتاعوها منذ خمس سنوات، كما هي الحال مع آلته (مع ان هذا الافتراض سليم من الناحية القانونية). وانتهى النقاش حبياً. الا ان الحادث علق في ذاكرة ماتيرا واصبح رمزاً للمهمة التي تشغله كل ايام عمله وهي المعركة ضد اجراءات الحماية الجمركية.

فاجراءات الحماية تزداد فعلا في اقطار الاسرة الاقتصادية الاوروبية. ويؤدي ذلك الى الحد من التنوع في اصناف البضائع المعروضة للبيع وزيادة الاسعار وتعطيل دورة الاقتصاد وتفاقم خطر البطالة. ومنذ اوائل ١٩٧٦، تضاعف عدد الحواجز التجارية المعترف بها رسمياً اربع مرات. وهناك ما يزيد على ٤٠٠ شكوى مودعة ادراج الاجهزة القضائية في الاسرة الاقتصادية الاوروبية في انتظار بتها. ويبلغ معدل الشكاوى المقدمة سنوياً ١٠٠ شكوى. ويحذر موظف كبير في الاسرة الاقتصادية الاوروبية يدعى فرناند براون من ان اجراءات الحماية، في المدى البعيد، قد تدك الصرح الذي تعب الاوروبيون في تشييده منذ العام ١٩٥٨.

وتعتبر "معاهدة روما" (١) حرية انتقال البضائع احد حجار الاساس في السوق المشتركة. ومع الغاء الرسوم الجمركية في العام ١٩٦٨ والتوسع الاقتصادي الذي عقبه، غدت اوروبا القوة التجارية الاولى في العالم. عندئذ خيل الى الناس ان الاسرة الاقتصادية الاوروبية ستتحول خلال مدة وجيزة الى منطقة تجارة حرة مترامية الاطراف، تنتقل البضائع بين دولها تماماً كما تنتقل بين مقاطعات البلد الواحد.

بيد ان الحلم ما لبث ان تبخر، فعدد الوكلاء الجمركيين لم يقل عما كان عام ١٩٦٨، اذ يراقب ٢٥ الفاً منهم حدود الدول التسع الاعضاء في الاسرة الاقتصادية الاوروبية. كما لم تتوحد الانظمة الجمركية للاسرة، فما زال على التجار ملء اكوام من الاوراق والمعاملات الرسمية وتوقيعها لنقل بضائعهم عبر الحدود. ويستمر المواطنون في دفع ضرائب على المنتجات المستوردة من الدول الاعضاء التي تزيد قيمتها على ١٨٠ وحدة حساب اوروبية التي توازي نحو ٢٣٥ دولاراً (٢).

الا ان هناك ما هو أسوأ. لقد اختفت فعلا اشكال الحماية التقليدية، كحظر الاستيراد والحواجز الجمركية والحصص النسبية (كوتا)، علماً بأن فرنسا حظرت استيراد لحم الضأن من بريطانيا وتحدت قرار محكمة العدل الاوروبية الذي اعتبر الحظر غير مشروع. لكن دول الاسرة بدأت تطبيق شكل مستتر من الحماية يختبىء خلف قناع من الافكار الجميلة مثل صحة المستهلك وحماية البيئة. اما الهدف الحقيقي لذلك الاجراء فهو حماية صناعة البلد وزراعته من منافسة البلدان المجاورة في الاسرة. مثال ذلك ان "الاجراءات الاحصائية" التي طبقتها السلطات الفرنسية في اغسطس (آب) ١٩٧٩ على استيراد المنتجات الصوفية بدت عادية، فالمسألة لا تعدو، ظاهراً، ملء بعض الاستمارات. ولم تكن الاجراءات سوى شكل آخر لسمة الدخول (فيزا) لا يسمح للبضائع بان تتحرك من دونها. واولى ضحايا تلك الاجراءات صناعي ايطالي من توسكانا اجبر على السفر الى مدينة موداني على الحدود الفرنسية - الايطالية ليخلص عشرة آلاف سترة صوفية كانت مرسلة الى باريس. ذلك لان عدد السترات

---

(١) الوثيقة التي انشئت بموجبها السوق الاوروبية.

(٢) وحدة الحساب الاوروبية تعادل نحو ١،٣٢ دولار.

الصوفية الايطالية المصدرة الى فرنسا زاد بنسبة ٣٥ في المئة خلال الاشهر الخمسة الاولى من السنة، علماً بأن سعر الجملة لمثل هذه السترات هو دون سعر مثيلاتها الفرنسية بنسبة ٤٠ في المئة فكان الهدف الحقيقي من تلك الحيلة الاحصائية حماية صناعة الصوف الفرنسية.

وكي لا يظن البعض ان الفرنسيين وحدهم يؤدون دور المتحايل في هذه المسرحية التجارية، يشدد كل من ماتيرا ومديره، السيد اتيان دافينيون مفوض شعبة الصناعة في الاسرة على ان كل دولة عضو تضطلع بدور معين. ولئن استندت ادوار البطولة الى كل من فرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا وايطاليا، فذلك يرجع الى حجمها وأهميتها الاقتصادية. اما بلجيكا وهولندا والدانمرك واللوكسمبور فلأدوارها اثر مهم، وان تكن ثانوية.

شروط تعجيزية – يعرب ماتيرا عن اعجابه الشديد ببراعة الاداء في هذه المسرحية. فهل هناك هدف انبل من حماية المستهلك البريطاني، مثلا، من الحشرات التي تستوطن اشجار الكرز الاوروبية؟ لقد بادرت السلطات البريطانيةالى حظر استيراد الكرز الاوروبي منذ سنتين. وعلى رغم التحرك السريع للجنة السوق المشتركة فان الانكليز لم يوافقوا على رفع الحظر الا في مارس (آذار) ١٩٨٠، وذلك بعد ان نعم الكرز الانكليزي طوال موسمين بسوق رائجة تخلو من المزاحمة الاجنبية.

وفي حادث مشابه، اقرّ البرلمان الالماني الغربي قانوناً يمنع استيراد الماء اذا تعدت نسبة الجراثيم فيه المئة في كل ليتر. وسرى مفعول ذلك القانون على المياه الالمانية والمياه المستوردة على حد سواء. وهل يرقى الشك بعد ذلك الى تجرد الالمان؟ غير ان هذا القانون لم يكن سوى احد اجراءات الحماية الجديدة، وقد سُنّ لسببين:

اولا، لا تنتج المانيا الغربية الا مياهاً فوارة تقتل غازاتها تلقائياً كل انواع البكتيريا.

ثانياً، ان الكائنات الحية العادية الموجودة في المياه غير الغازية لا تشكل خطراً على الصحة ما دام عدد الجراثيم لا يزيد على ١٠٠ في الليتر الواحد. والحق ان ما سعى الالمان الى مقاومته هو التدفق المتزايد للمياه الفرنسية غير الغازية على المانيا. وكانت واردات المانيا من هذه المياه بلغت ٥٥ مليون ليتر عام ١٩٧٧.

وفي العام ١٩٧٨، اجريت مباريات كأس العالم لكرة القدم في ايطاليا. فازداد الطلب على اجهزة التلفزة الملونة. وطمحت صناعة الالكترونيات الايطالية الى نيل النصيب الاكبر من مورد الرزق الجديد. وهكذا فرضت السلطات الايطالية مجموعة مواصفات تقنية معقدة على اجهزة التلفزة الجديدة بهدف كبح المنافسة الالمانية الحادة. الا ان الحظ لم يحالفها، اذ ادخل الصناعيون الالمان التعديلات اللازمة على منتجاتهم الجديدة بسرعة مذهلة. عندئذ لجأت السلطات الايطالية الى فرض مراقبة جمركية مشددة، فكانت تفحص ثلاثة نماذج من كل طراز مستورد. ولم تعوز الالمان الحيلة، فتحولوا بين ليلة وضحاها الى تصدير شحنات ضخمة تضم طرازاً واحداً من التلفزيونات. فاشترطت السلطات الايطالية، ازاء

هذه المرونة البالغة،ان تكون كل الكلمات المطبوعة على اجهزة التلفزة باللغة الايطالية، وذلك بحجة المحافظة على سلامة المواطنين. فأحرج الالمان، ورفعوا شكوى الى لجنة السوق المشتركة التي اسرعت بدورها وأقنعت السلطات الايطالية بالغاء شرطها التعجيزي. ومهما يكن من امر، فقد راجت التلفزيونات الايطالية لفترة قصيرة.

فما الذي يمكن فعله لمواجهة اجراءات الحماية الجديدة؟

اذا لم تسفر المفاوضات المباشرة بين اللجنة والدول الاعضاء المتنازعة عن نتيجة ايجابية، يبت القضاء الامر. ولقد اوجدت معاهدة روما مجلساً اوروبياً تنفيذياً عاماً، وخولت موظفيه سلطات معينة. ويحقق هؤلاء الموظفون، امثال دافينيون وماتيرا، بعض النجاح على رغم تقدمهم البطيء. وهاك لمحة عن طريقة عملهم:

ما ان يلفت اعضاء البرلمان الاوروبي او حكومات الدول الاعضاء او الهيئات او المؤسسات او الافراد لجنة السوق المشتركة الى مخالفة ما، حتى تباشر لجنة برئاسة ماتيرا دراسة ملف الشكوى. فاذا اقتنعت اللجنة بأن الدولة المعنية اخلت بالتزاماتها، فهي تلجأ الى تطبيق اجراء من ثلاث مراحل:

- توجه اللجنة الى الدولة العضو المعنية تبليغاً رسمياً تشير فيه الى المخالفة، وتطلب منها عرض رأيها في الموضوع خلال مهلة اقصاها ٣٠ يوماً.
- اذا تقاعست الدولة المتهمة عن الرد، او جاء ردها غير مقنع، تباشر اللجنة تنفيذ الخطوةالتالية، وهي تقديم "وجهة نظر مدروسة" تعلل فيها موقفها وتطلب الى الدولة المعنية الكف عن عملها المخل بالقانون.
- اذا تمادت تلك الدولة في غيها، تحيل اللجنة القضية على محكمة العدل الاوروبية التي تعتبر احكامها نافذة فوراً وغير قابلة للاستئناف.

وطبقت المرحلة الثالثة في شهر فبراير (شباط) ١٩٨٠ حين دانت محكمة العدل الاوروبية بالاجماع كلا من فرنسا وايطاليا والدانمرك وايرلندا لفرضها انظمة ضريبية تفضيلية تؤثر المشروبات الروحية المحلية على المشروبات المستوردة. وعلى سبيل المثال، فرضت فرنسا على المشروبات المستخرجة من الحبوب وثمر العرعر (شجر من الفصيلة الصنوبرية) ضريبة تفوق تلك المفروضة على مشتقات النبيذ الوطني الفرنسي كالأرماناك والكونياك (استثنت الجن والويسكي وبعض الكحول الاخرى المستوردة).

كل لمصلحته - ومن وسائل الحماية الشائعة هناك ما يعرف بـ"المعايير" او "المواصفات الفنية"، وهي تلك العراقيل التي وصفها ماتيرا بأنها "اكثر ما تفتق عنه زماننا تعقيداً وتمويها". وهناك مؤسسات تصنيف وقياس في ثمان من الدول التسع الاعضاء في الاسرة الاقتصادية الاوروبية (الدولة التاسعة، وهي اللوكسمبور، تعتمد المقاييس البلجيكية). وتؤمن كل من هذه المؤسسات انها وحدها تمتلك الحقيقة والحكمة. ولا فرق فيذلك بين المعهد الالماني للمعايير والهيئة الفرنسية للتصنيف والمؤسسة البريطانية للمقاييس واي مؤسسة اخرى. ويضع المعهد الالماني للمعايير ما معدله

١٥٠٠ مواصفة في السنة. واحتل بذلك الصدارة اذ بلغ مجموع المقاييس التي وضعها حتى الآن ٢٢ الفاً، تليه الهيئة الفرنسية للتصنيف بمجموع يبلغ ١٢ الفاً، ثم المؤسسة البريطانية للمقاييس بنحو ٨٠٠٠ مواصفة. وليست هذه المقاييس خاطئة بالضرورة، انما هي متفاوتة بين بلد وآخر وتعرقل جدياً حرية التبادل التجاري بين دول السوق.

وفي اغسطس (آب) ١٩٧٨، ادخلت الهيئة الفرنسية للتصنيف مقياساً جديداً يهدف الى زيادة السلامة في عربة الشحن الخفيفة ذات الرافعة، على ان يبدأ تنفيذ ذلك الاجراء في ٢ ديسمبر (كانون الاول) من العام نفسه. وفي هذه المهلة القصيرة استنتج صانعو الشاحنات الاوروبية الخفيفة المزودة برافعات ان تلك الاحكام وضعت لتحول دون اشتراك المصانع الاجنبية في معرض آلات الرفع الذي كان سيفتتح في ٥ ديسمبر (كانون الاول)، اي بعد ثلاثة ايام من مباشرة العمل بهذا القانون. واستجابت لجنة السوق المشتركة لسيل الشكاوى، واقنعت فرنسا بتأجيل تطبيق القرار.

وفي المعارض التجارية الاخرى، اوجد الالمان بدعة تعادل بفاعليتها الاجراء الفرنسي. فعلقوا الى جانب الآلات المستوردة، غير المرخص بها في المانيا الغربية لافتة كبيرة توضح انه لا يمكن بيع المعروضات في المانيا ما دامت مواصفاتها التقنية غير مطابقة لشروط المعهد الالماني للمعايير. واصيبت المبيعات بنكسة كبرى. ولكن لماذا لم يرخص للمعروضات قبل دخولها؟ لقد تبين للصناعيين الاجانب ان حصول منتجاتهم على خاتم الموافقة الصعب المنال يحتاج الى فترة تراوح بين ستة اشهر وسنتين فيما المصنوعات الالمانية تحتاج الى فترة اقصر بكثير. وقد امضت شركة فرنسية خمس سنوات وصرفت ١٥٠ الف مارك الماني في محاولة للحصول على ترخيص لنماذجها من السلالم المعدنية. وهي لا تزال تحاول...

واغلق الانكليز ابوابهم في وجه صادرات الحليب الفرنسي بحجة الحفاظ على الصحة، وعدم نظافة المنتجات الاجنبية. ورد الفرنسيون بعرض ادلة تثبت ان معامل تعقيم الحليب الفرنسية هي بين الاحدث في العالم والاكثر حفاظاً على النظافة والصحة. وتتولى معالجة القضية الآن لجنة السوق المشتركة.

ويرى المستهلكون الاوروبيون ان حل هذه النزاعات يكمن في تنسيق المقاييس وتوحيدها على الصعيد الاوروبي، وذلك عن طريق لجنة السوق المشتركة. وهذه هي بالضبط مهمة السيد جاك فوريه، رئيس احدى شعب ادارة السوق والمسؤول عن قضايا المواصفات التقنية. ومع ان السيد فوريه حقق بعض النتائج الجيدة، وابرزها توحيد مواصفات السيارات في اوروبا، الا انه يلزم الصمت حيال انتشار المقاييس الوطنية، ويشبه نفسه بمن يحاول رصف قاع البحر. وبناء على اقتراح المفوض دافينيون، بدأ فوريه سلسلة لقاءات مع ممثلي مؤسسات التصنيف كخطوة اولى على طريق الحل.

وفي العام ١٩٧٩، حين اصدرت محكمة العدل الاوروبية في

اللوكسمبور الحكم المعروف بـ "كاسيس دو ديجون"(٣) فتحت مجالا واسعاً امام اجراءات الحماية الجديدة.

فالقوانين الالمانية التي تسمح باستيراد مسكرات تحوي ٣٢ درجة كحولية على الاقل منعت استيراد **Crème de Cassis** وهو مشروب فرنسي تراوح نسبة الكحول فيه بين ١٥ و٢٠ درجة.

وأكدت المحكمة في قرارها الحكيم ان لا داعي الى منع بيع هذا الشراب الفاخر في دول الاسرة الاقتصادية الاوروبية. كما اوصى القرار بعدم منع المنتجات المصنعة والمسوقة قانونياً في اي دولة عضو من دخول اسواق الدول الاخرى. ويستثنى من هذا القرار كل ما يتعلق بضرورات صحة المستهلكين وحمايتهم. ومن المؤكد ان توسع هذه الاستثناءات يشكل مدخلا الى تنفيذ حكم "كاسيس"، ويسفر تطبيقها باعتدال عن نظام اشبه بالتجارة الحرة المطلقة. وسيشهد الاوروبيون قريباً بعض التجارب الاولية.

ما هو مصير السوق المشتركة مع انضمام اليونان واسبانيا والبرتغال الوشيك واستمرار موجة البطالة والتضخم؟ ان النزعة الطبيعية هي ان يعمل كل لمصلحته، او بعبارة اخرى، ان تتحايل كل دولة على معاهدة روما. لكن ذلك التحايل وردات الفعل المباشرة عليه تحدث اثراً سلبياً لا يمكن التكهن بعواقبه. ويطلق روي جنكينز، رئيس مجلس السوق المشتركة، تحذيراً شديداً اذ يقول: "يجب ان ندرك انه اذا زحزحنا طوبة واحدة من ذلك الصرح الذي شيدناه، لعرضنا البنيان بكامله للخطر".

ذلك صحيح. والدليل ان مكتب ماتيرا مزدحم بمئات من "حجار الطوب" في شكل ملفات ضخمة. ويعرض كل ملف قصة تجارة مشلولة، او صناعة رديئة تحميها القوانين، او ارتفاع الاسعار التي يدفعها المستهلك بعدما اصبح مطية لاجراءات الحماية الجديدة. ويصر ماتيرا: "ان هذه الممارسات تلحق الحيف بالمواطنين وتحول دونهم والافادة من افضل ما في السوق. ولذلك فنحن نحاربها".

ومن مصلحة السوق المشتركة ان يربح ماتيرا ودافينيون وفوريه والتقنيون الاوروبيون الآخرون معركتهم. فالرابح الحقيقي عندئذ سيكون المستهلك.

■ رودولف شلمنسكي

---

(٣) Cassis هو ثمر الكشمشة.

افضل مقايضة

عندما يتبادل التجار البضائع، فان كلا منهم يخسر شيئاً مما له. أما عندما يتبادل الطلاب المعرفة، فان كلا منهم يحتفظ بما لديه ويكسب ما للآخر. وهذه خير مقايضة.

ش.ب.ل.

الساحر

كشف جون باربيرولي لجمهور المستمعين وللعازفين على السواء العظمة الحقيقية للموسيقى الكلاسيكية

ذُهل عالم الموسيقى اذ عرف ان جون باربيرولي، الذي شهد له الامريكيون بانه من امهر قادة الفرق الموسيقية المعاصرين، أدار ظهره لنيويورك الفاتنة وعاد الى مانشستر التي مزقتها الحرب. قال: "بلادي في حال حرب، ومكاني الآن في انكلترا".

وصل باربيرولي الى بلاده في يوم ماطر من يونيو (حزيران) ١٩٤٣ كي يتولى قيادة فرقة "هاله" الموسيقية. فوجد ان تلك الفرقة السمفونية، وهي أقدم فرقة بريطانية دائمة، تقلصت الى ثلث حجمها الطبيعي ولم يبقَ فيها سوى تسعة وعشرين عازفاً، اما الباقون فالتحق قسم منهم بالخدمة العسكرية وانضم الآخرون الى فرق موسيقية اخرى.

لم يكن باربيرولي متفانياً في حب بلاده فحسب، بل كان رجلا يحيا وينمو بالتحدي. فبعد ان صرف بضعة اسابيع في الاستماع الى عدد من محترفي الموسيقى وهواتها بقصد ملء المراكز الخالية في الفرقة، تمكن من زيادة عدد الموسيقيين في فرقة هاله الى السبعين. وفي ١٥ اغسطس

(آب)، بعد جولة ناجحة في شمال انكلترا، قدمت فرقة هاله الجديدة حفلتها الموسيقية الاولى في مدينة مانشستر في ميدان الالعاب البهلوانية التابع لحديقة "بل فو" للملاهي. ذلك لأن مركز الفرقة التقليدي في مانشستر، في قاعة "فري ترايد" (التجارة الحرة) الشهيرة، قصف ابان الحرب. وقاد باربيرولي جوقته بمهارة فائقة، في امسية تاريخية أسرَ أفئدة العازفين والجمهور معاً باسلوبه العاطفي المتوهج.

ان هذا التحول المثير الذي حدث في جوقة هاله سرت اخباره كالبرق الخاطف في اوساط مانشستر. وبلغ الاقبال على شراء البطاقات حداً اقصى اذ استطاع باربيرولي باستمرار ان يملأ قاعة "بل فو" التي تتسع لستة آلاف شخص. وكان كل فرد من الجمهور يتمنى ان يشاهد ويسمع هذا الموسيقي الملهَم بقامته القصيرة ووهج عينيه السوداوين. كان شعره ورأسه وجسمه بكامله، تهتز نشوة بجمال الموسيقى التي استحوذت عليه.

وفي العام ١٩٦٨، عندما استقال باربيرولي من منصبه كقائد اول لفرقة هاله، كانت هذه الفرقة احرزت نجاحاً في تعميم الموسيقى الكلاسيكية لا تباريها فيه اي فرقة موسيقية اخرى في شمال بريطانيا ووسطها، وغدت احدى اعظم الفرق السمفونية البريطانية واكثرها نشاطاً في احياء الحفلات داخل البلاد وخارجها، في اوروبا وامريكا الجنوبية وافريقيا. ويعود الفضل في ذلك الى مهارة باربيرولي الفائقة وفعاليته واندفاع عصاه المفعمة بالحركة والنشاط.

ارض الرجاء والمجد - قال عازف الكمان الشهير فريتز كرايسلر: "ان باربيرولي اعظم قائد عزفتُ معه. ان كلمة "رائع" هي اللفظة الوحيدة التي يمكن ان يوصف بها". وتقول اودري نابير سميث، التي بقيت ثلاثين سنة عضواً في الشعبة الوَتَرية لفرقة هاله: "كانت له مقدرة عجيبة على دفعنا جميعاً الى تقديم افضل ما عندنا. وعندما كنا نعزف بقيادته، كانت النتيجة دائماً افضل كثيراً مما كنا نحلم به".

"ان حيوية فرقة هاله وقوتها واناقتها وتوازنها"، كما وصفها الناقد الموسيقي لصحيفة "الاوبزرفر" اللندنية، خصائص حققها باربيرولي بخلق جو عائلي في قاعة التمرين من دون ان يضيع سلطته وهيبته. وهو خاطب اعضاء الفرقة في يوم تدريبهم الاول: "اذا لاقى احدكم صعوبة، فسأعطيه كل معونة استطيعها. اما اذا كان مهملا في عزفه فلن اتساهل معه ابداً". واذا افتقرت احدى مقطوعات المعزوفة الى الرقة او الحرارة، او الى الصوت الغني فكان باربيرولي يشرح كيف يريدها ان تُعزَف. وكان يريهم بنفسه احياناً طريقة امساك الآلات الموسيقية. ويقول مارتن ملنر، عازف الكمان الاول في الفرقة: "ان التفاهم بين باربيرولي وفرقته، ومع العازفين المنفردين كان ظاهرة غير عادية".

وكان باربيرولي يجهد نفسه بلا هوادة. وكان عندما ينزل في فندق ما، يطلب ان يوقَظ في الرابعة

صباحاً كي يراجع النص الموسيقي الـذي سيجري التمـرن علـيه ذلـك الصباح، حتى اذا بدأ عمله اليومي واصل التمارين بلا انقطاع: ثلاث ساعات مع الالات الوترية وثلاث ساعات مع الالات الهوائية ومثلها ايضاً للجوقة بكاملها.

ورفض باربيرولي بعناد الامتيازات التي قدمت اليه. وكان يقف مع سائر الموسيقـيـيـن مـنـتظراً دوره فـي المطاعم، ويرافقهم في القطارات والحافلات. وفي النمسا، بعد الحرب، ركب شاحنة اذ لم يكن من وسيلة نقل اخرى. ولما غطست حافلتهم في الثلج في جبال بناينز البريطانية، ترجل باربيرولـي وعـمـل مع افـراد الفرقة على دفعها. وكان في اسفاره يضع النص الموسيقي على ركبتيه لـيسجل علـيه مـلاحظاته اسـتعداداً للتمرين الطويل المقبل.

لقـد أُعجب بباربيـرولـي ملـوك وحكومات ومدن وجامعات، وأغدق عليه التكريم والتقدير، لكنه كان اسعد مـــا يكون مع الـــبسطاء والمتواضعين. وقـد تعجب صـاحـب حانوت في قرية بالقرب من سيفورد فـي مقـاطعة سـاسكس الشـرقـية الانكليـزية عنـدمـا شـاهـد صـورة باربيرولي في احدى الصحف. فهو احد زبائـنه الدائمـيـن خـلال عطلة الصيف، ذلك الرجل المرح الايطالي السحنة الذي كان يتحدث عن سعة اطلاع مع المزارعين والعمال عن لعبة "الكريكت" الانكليزية.

كان باربيرولي انكليزياً باسلوب عيشه ونظرته الشاملة الى الحياة، بحيث ان الانقطاع الوحيد الذي كان يسمح به خلال التمارين الموسيقية كان لـلاطلاع علـى نتـائـج الالعاب الرياضية. كان مولعاً بمطالعة مذكرات ساموـيـل بـيـبـس (مـن الـبحـرية البريطانية) وشديد الاعجاب باللورد نلسن. واذ كان يوماً يقود فرقته في معزوفة "أرض الرجاء والمجد"، ذرف دموع العاطفة الوطنية من دون ارتباك او خجل. وكان مع ذلك فخوراً جداً بجذوره الايطالية، يشير الى نفسه بانه "ذلك الكوكني (ابن لندن) ذو الدم اللاتيني".

ضَمّة ورد – ولد جيوفاني باتيستا باربيرولي (لم يتخذ اسم جون حتى العام ١٩٢٢) في الثاني من ديسمبر (كانـون الاول) ١٨٩٩، فـي شـارع "ساوثامتون رو" في مدينة لندن وسط قرع اجراس "بو". وكان المولود الـثـانـي لامه الـفـرنسـية ووالـده الايطالي. كان والده عازف كمان للمسرح، وقد اصطحبه يوماً وهو في الرابعة من عمره الى التمارين في مسرح "الامبير" في ساحة لستر في لندن، حيث تأثر الصبي بقائد الفرقة الذي كان يرتدي قفازين ابيضين. واخذ الصغير جيوفاني منذ ذلك الحين يستعير قفازات امه، ويختلي بنفسه فـي احـدى الغرف منـصـرفـاً الـى "القيادة" طوال ساعات.

درس باربيرولي العزف على الكمان على غرار اخيه الاصغر. وكان من عادته ان يطوف البيت وهو يتمرن على السلالم الموسيقية، مما ازعج جده وحَداه على شراء فيولونسيل صغير. فـراح يُجلس الصبـي علـى كرسي، ويدفع بالآلة المنتفخة البطن بين ساقيه ويأمره: "اعزف على هذه

الآلة! عليك الآن ان تبقى جالساً!".

على ان هذه الاوامر لم تزعج الصبي، فهو كان سعيداً ما دام قادراً على خَلق الموسيقى. وبينما كان سائر الاولاد يلعبون خارجاً في الشارع، كان جيوفاني يدرس هايدن، ذلك المؤلف الموسيقي الذي بقي المفضل لديه مدى الحياة.

قاد الجندي باربيرولي فرقة موسيقية للمرة الاولى في مايو (ايار) ١٩١٨، خلال حفلة موسيقية أقامتها كتيبة للجيش في جزيرة غرين. وكانت ثلاثة اشهر مرت على التحاقه بالجيش البريطاني. لكنه اضطر الى ترك الجيش عام ١٩١٩، اذ اعتبره المجلس الطبي غير مؤهل للخدمة العسكرية خارج البلاد. فانصرف الى الموسيقى، وبدأ يكسب عيشه بالعزف على الفيولونسيل في مقدم المسرح المخصص للفرقة الموسيقية. وعندما رافق راقصة الباليه الشهيرة، آنا بافلوفا، بعزف منفرد في رقصة الباليه المعروفة "البجعة المحتضرة"، دفعت تلك الفنانة الى باربيرولي بنصف ضمة الورد المقدمة اليها وذلك عربون شكر وتقدير لعزفه الممتاز.

كان باربيرولي يطمح في الدرجة الاولى الى ان يصبح قائد فرقة موسيقية. وهو حقق هدفه في سنّه السادسة والعشرين عندما قاد الفرقة الموسيقية في اوبرا "عايدة" وسواها من الاوبرات المعروفة. وقد كتب عنه السير لنتن اندروز في صحيفة "ليدز ميركوري" ما يأتي: "انه يبدو في مطلع الشباب للوهلة الاولى، ولكن ما هذا التبدل المدهش عندما يبدأ القيادة؟ تراه يجثم ويقفز وترتعش انامله كأن فيه طاقة شيطانية".

في العام ١٩٣٠، يوم كانت الاوبرا في بريطانيا تكافح من اجل البقاء، نظم باربيرولي امسية موسيقية في شارع داوننغ كَيْ يعرض امام وزير الخزانة المستوى الرفيع الذي احرزه الموسيقيون والمغنون البريطانيون. وكانت النتيجة منحة مالية بقيمة ٢٥ الف جنيه استرليني، قدمتها الحكومة الى مسرح "كوفنت غاردن".

تلقى باربيرولي دعوة لقيادة اوركسترا الفيلهارمونيك في نيويورك يوم كان القائد الاول للاوركسترا الاسكوتلندية. ووصل الى نيويورك في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٦ كقائد ضيف بعقد لمدة عشرة اسابيع. كان عليه ان يواجه فرقة موسيقية ضخمة صعبة المراس، عرف اعضاؤها بأمر مخيف هو أنهم كانوا يوقفون القادة (ما عدا توسكانيني) عند حدودهم. لكن باربيرولي انتزع احترامهم بمقدرته الموسيقية. وبعد تمرين اجراه معهم لسيمفونية بيتهوفن الثانية، وقد اظهرها في اضواء جديدة، صاح اعضاء الفرقة عفوياً: "برافو مايسترو!" (★)

وبعد ان اقام حفلته الموسيقية الاولى في قاعة "كارنيغي" في نيويورك، عرضت عليه الفيلهارمونيك النيويوركية عقداً لثلاث سنوات. وأمضى باربيرولي في امريكا سبع سنوات، كان خلالها يزور بريطانيا في الصيف. وفي العام ١٩٣٩، بينما كان في زيارة لمدينة لندن، تزوج افلين روثوال عازفة المزمار الاولى

(★) المايسترو هو قائد الفرقة الموسيقية.

في الفرقة الاسكوتلندية. فزواجه السابق من مارجوري باري، احدى المغنيات في اوبرا "كوفنت غاردن"، انتهى بالطلاق.

الجبار الصغير - في العام ١٩٤٣، ابان الحرب العالمية الثانية، قام باربيرولي برحلة جواً وبحراً الى بريطانيا. وهو نجا من الهلاك باعجوبة. ذلك انه لما وصل الى لشبونة (البرتغال) في المرحلة الاخيرة من الرحلة، بدل حجزه للطائرة التي كان ينوي السفر عليها وأخذ مقعداً في طائرة اقلعت قبلها. ولو بقي على خطته الاولى لكان لقي حتفه في الطائرة التي اسقطها النازيون وقتل فيها الممثل الانكليزي لسلي هوارد وسائر الركاب. كان باربيرولي رجلا مؤمناً، وهو قال عن الحادث: "لقد كُتب لي البقاء لان عليّ رسالة يجب انجازها في مانشستر".

كان باربيرولي يلقَّب احياناً "الجبار الصغير"، وكانت له حاسة المخرج الفني الذي يسحن اساليب الدعاية لكي يتحدث الناس عنه. كان سلوكه وهو على المنصة امام الجمهور يفرض الاحترام، وكان يجبه المتأخرين بنظرة حادة ولا يسمح لفرقته ببدء العزف الا بعد ان يستقر الجميع في مقاعدهم. وفيما هو يوماً في برستويتش يقدم معزوفة وليم والتون "الواجهة"، لاحظ ان الحضور لم يتجاوبوا مع روح الفكاهة المبطنة للقطعة الموسيقية. فهددهم بالذهاب الى بيته اذا لم يضحكوا، وللحال اوضح المقاطع الاكثر اثارة للضحك، وعزفت الفرقة اثنين منها ثانية، فانفجر الجمهور بالقهقهة.

كانت علاقة باربيرولي بافراد فرقته خارج المسرح تتميز بعطف ابوي دائم. ولما كان على علم بان احدى عازفات الفيولونسيل مولعة بالفطائر المحشوة باللحم وتشتريها من دكان معين في بلدة ريبون في منطقة يوركشاير، كان عند مروره في البلدة يوقف الباص ويشتري لها فطيرة منها. وفي احدى المناسبات كانت جوقة هاله في رحلة ليلية الى مدينة ادنبره. كانت الساعة الخامسة صباحاً عندما وصلوا الى محطة السكة الحديد في شارع الامراء، وكان الطقس بارداً والجو قاتماً، واذا قائدهم بعصاه وقبعته ذات الحافة العريضة من طراز "فيردي" ينتظرهم في المحطة.

كان باربيرولي معروفاً بشجاعته الاسطورية، فهو تعلم ركوب الخيل في السن الاربعين. وقفز بجواده يوماً فوقع وكسر ثلاثة من اضلاعه. وفي العام ١٩٦١، خلال جولة في الولايات المتحدة الامريكية مع اوركسترا هيوستن السمفونية، طرأ على الطائرة عطل في فرامل الهبوط وهي تحاول النزول في مدينة أوستن في ولاية تكساس. وبينما قبع الموسيقيون يراقبون بقلق سيارات الاطفاء والاسعاف وهي تتجمع بالقرب من المدرج، بقي باربيرولي محافظاً على هدوئه، يطمئن اعضاء فرقته قائلا: "معنا ربان طائرة ولا يمكننا عمل شيء بانفسنا، فعلامَ القلق؟" وتقول زوجته افلين: "الامر الوحيد الذي كان يقلقه فعلا هو امكان حصول خطأ ما في الموسيقى التي يقودها".

توصل السير جون (منح لقب سير

عام ١٩٤٩) الى قيادة مئتي حفلة موسيقية من حفلات جوقة هاله السنوية البالغ عددها ٢٥٠، وهو انجاز لا يبارى. وما ان حل العام ١٩٦١ حتى اصبح باربيرولي معروفاً في شرق المحيط الاطلسي وغربه كأكثر الموسيقيين مهارة في ابراز فن بروكنر وماهلر وسيبليوس، والغار ودیلیوس وولیمس. وبعدما تقاعد كقائد اول لجوقة هاله، امكنه توسيع برنامجه الحافل كقائد اول ضيف للفرق الموسيقية في لندن ونيويورك وبرلين وميلانو وسواها من عواصم الموسيقى.

كان باربيرولي بالنسبة الى الجماهير المعجبة به رجلا ذا نشاط لا ينفد. لكنه في نهاية كل حفلة موسيقية، بعد التصفيق الحاد الطويل، كان يسرع الى غرفته ليرتمي على كرسي وهو في منتهى الاعياء.

من الهوايات المسلية القليلة التي سمح باربيرولي لنفسه بها، المشي على ساحل ساسكس بالقرب من مدينة سيفورد حيث كانت عائلة باربيرولي تمضي العطلات، اضافة الى طهوه الممتاز لاصناف الطعام الايطالية والفرنسية المتقنة. ومن الاطباق التي برع في تحضيرها "سباغيتي كون فونغولي" (معكرونة مع صدف البطلينوس)، و"الديك البري آلا لويز". وتقول افلين باربيرولي انه كان يعتقد ان الطعام يجب ان يؤكل بعد تحضيره حالا. وكان ينتظر من مدعويه ان يسرعوا الى المائدة حالما يدعوهم.

في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٩، حذره طبيبه بشدة: "لا اعرف سيارة صنعت لتحتمل مثل هذا الارهاق". لكن باربيرولي لم يبالِ باي تحذير، فواصل نشاطاته من تمارين وحفلات موسيقية وجلسات تسجيل ورحلات متواصلة.

وفي العام التالي اغمي عليه مرة في روما لكنه اصرّ على قيادة الفرقة في عزف مقاطع لبيتهوفن تلك الليلة. وعندما فقد وعيه في احدى جلسات التسجيل في لندن، وطلب هو مواصلة العمل، كان لا بد من الضغط عليه بالقوة كي يقبل بالذهاب الى البيت.

في الثامن والعشرين من يوليو (تموز) ١٩٧٠، بعد أن اجرى باربيرولي تمريناً على موسيقى ماهلر مع جوقة "نيوفلهر مونيا" قبل سفره جواً الى اليابان، قال بحماسة لزوجته افلين: "اني شعرتُ بعافية هائلة اليوم". في تلك الليلة توفي باربيرولي بنوبة قلبية. لكن خلوده كان امراً مؤكداً، وأثره الحي الباقي هو فرقة هاله التي تعزف اليوم في قاعة "التجارة الحرة" التي اعيد بناؤها في شكل رائع.

يقول السير آرثر بلس المسؤول السابق عن موسيقى الملكة في معرض حديثه عن باربيرولي: "انه موسيقي عظيم وجدير بالحب، عظيم لتفانيه الكلي في سبيل الموسيقى الرائعة وتواضعه ودفء شعوره وتعاطفه مع الآخرين". وكتب مايكل كينيدي في سيرته التي الفها عن باربيرولي: "لم يسمح يوماً بتأدية حفلة رديئة. كانت الموسيقى اكثر اهمية في نظره من اي شيء آخر في الحياة، اكثر من الحياة نفسها".

■ ليلي فولدز

مَـاذا يَنقصنَا حَتى يَطول عُمرنَا؟

الرياضة، الوزن، الطول

الغذاء، التدخين، المشروبات

الحــوادث، الاجهــاد، الظروف الحياتية والصحية

ان طريقة حياتك اليوم هي التي تقرر غـَدك أكثر من أيّ عامل آخر. وأُسلوب حياتك يؤثر في صحتك أكثر مما يفعل الطبيب. وهذا الاختبار الذاتي للصحة والحياة أعده مركز الثقافة الصحية للمستهلكين، وهو مؤسسة غير تجارية، مقرّها مدينة فيينا في ولاية فرجينيا الأمريكية. وسيساعدك هذا الاختبار على قياس حالك الصحــية الراهــنة وتــوقـّع مــا ستكون عليه في المستقبل. وما هو أهمّ من هذا وذاك ان الاختبار سيتيح لك معرفة العادات الضارة بصحتك كيما تستطيع تجنـّبها.

ضع علامة عندما يـُطـْلب منك ذلك. وكلما ارتفعت العلامات الايجابية، أي التي هي فوق الصفر، كان ما تمثله هو من العادات الصحية الجيدة. أما اذا تدنت العلامة كثيراً عن الصفر، فهذا اشارة الى أنّ الجانب الذي تمثله سيىء صحياً.

احسب جميع العلامات، الايجابية والسلبية، التي حصلت عليها، ثم قارن المجموع العامّ بالنتيجة في نهاية الاختبار، لتحصل على "علامة الحياة".

تحذير: هذا الاختبار وُضع خصيصاً للأشخاص البالغين الذين لا يعانون حالياً أيّ مرض مزمن أو عجز كبير، ولا هم عانوا نوبة في القلب أو الدماغ. واذا كانت لديك احدى هذه المشكلات، فهذا الاختبار لا ينطبق عليــك، ونحــن ننصحــك باستشــارة الطبيب المنتظمة.

«Life Plan for your Health», copyright (c) 1978,
Published by Addison-Wesley Publishing Co., Inc., Reading, Mass.

التمارين الرياضية

احص الدقائق، خلال اسبوع، التي يبلغ فيها عدد دقات قلبك ١٢٠ أو أكثر في الدقيقة، وأنت تقوم بالتمارين الرياضية التكييفية. وينبغي أن تحافظ على المعدّل المذكور ١٥ دقيقة على الأقل في التمرين الواحد. ولا تدخل في عداد الرياضة التكييفية الانواع الآتية: الكرة اللينة (سوفتبول)، البولينغ، الغولف، كرة المضرب (التنس) البطيئة. أما المشي السريع وكرة السلة وكرة المضرب السريعة والاسكواش والعدو الوئيد وكرة الطاولة والقفز في الهواء وسواها من التمارين المتميزة بالحركة المستمرة والحيوية، فهي جميعاً من قبيل الرياضات التكييفية.

الدقائق الاسبوعية التي يبلغ فيها عدد دقات القلب ١٢٠ أو أكثر في الدقيقة	العلامة
دون الـ١٥	صفر
١٥ ـ ٢٩	+ ٢
٣٠ ـ ٤٤	+ ٦
٤٥ ـ ٧٤	+ ١٢
٧٥ ـ ١١٩	+ ١٦
١٢٠ ـ ١٧٩	+ ٢٠
١٨٠ وما فوق	+ ٢٤

الـــوزن

الارقام المسجّلة في القوائم أدناه هي بالقدم (٤٨، ٣٠ سنتيمتراً) والبوصة (٢،٤٥ سنتيمتر) للطول والرطل (٤٥٣،٦ غراماً) للوزن. وتجب مقارنة الوزن بالنسبة الى الطول. وينبغي أن يتمّ قياس الطول بعد خلْع الحذاء.

للرجال: ٤٥ سنة وما فوق

الطول: بوصة	الطول: قدم	الوزن (بالرطل): بنية صغيرة	الوزن (بالرطل): بنية متوسطة	الوزن (بالرطل): بنية كبيرة
١	٥	١١٢ ـ ١٢٠	١١٨ ـ ١٢٩	١٢٦ ـ ١٤١
٢	٥	١١٥ ـ ١٢٣	١٢١ ـ ١٣٣	١٢٩ ـ ١٤٤
٣	٥	١١٨ ـ ١٢٦	١٢٤ ـ ١٣٦	١٣٢ ـ ١٤٨
٤	٥	١٢١ ـ ١٢٩	١٢٧ ـ ١٣٩	١٣٥ ـ ١٥٢
٥	٥	١٢٤ ـ ١٣٣	١٣٠ ـ ١٤٣	١٣٨ ـ ١٥٦
٦	٥	١٢٨ ـ ١٣٧	١٣٤ ـ ١٤٧	١٤٢ ـ ١٦١
٧	٥	١٣٢ ـ ١٤١	١٣٨ ـ ١٥٢	١٤٧ ـ ١٦٦
٨	٥	١٣٦ ـ ١٤٥	١٤٢ ـ ١٥٦	١٥١ ـ ١٧٠
٩	٥	١٤٠ ـ ١٥٠	١٤٦ ـ ١٦٠	١٥٥ ـ ١٧٤
١٠	٥	١٤٤ ـ ١٥٤	١٥٠ ـ ١٦٥	١٥٩ ـ ١٧٩
١١	٥	١٤٨ ـ ١٥٨	١٥٤ ـ ١٧٠	١٦٤ ـ ١٨٤
ـ	٦	١٥٢ ـ ١٦٢	١٥٨ ـ ١٧٥	١٦٨ ـ ١٨٩
١	٦	١٥٦ ـ ١٦٧	١٦٢ ـ ١٨٠	١٧٣ ـ ١٩٤
٢	٦	١٦٠ ـ ١٧١	١٦٧ ـ ١٨٥	١٧٨ ـ ١٩٩
٣	٦	١٦٤ ـ ١٧٥	١٧٢ ـ ١٩٠	١٨٢ ـ ٢٠٤

للنساء: ٢٥ سنة وما فوق

الطول		الوزن (بالرطل)		
بوصة	قَدم	بنية صغيرة	بنية متوسطة	بنية كبيرة
٨	٤	٩٢ – ٩٨	٩٦ – ١٠٧	١٠٤ – ١١٩
٩	٤	٩٤ – ١٠١	٩٨ – ١١٠	١٠٦ – ١٢٢
١٠	٤	٩٦ – ١٠٤	١٠١ – ١١٣	١٠٩ – ١٢٥
١١	٤	٩٩ – ١٠٧	١٠٤ – ١١٦	١١٢ – ١٢٨
–	٥	١٠٢ – ١١٠	١٠٧ – ١١٩	١١٥ – ١٣١
١	٥	١٠٥ – ١١٣	١١٠ – ١٢٢	١١٨ – ١٣٤
٢	٥	١٠٨ – ١١٦	١١٣ – ١٢٦	١٢١ – ١٣٨
٣	٥	١١١ – ١١٩	١١٦ – ١٣٠	١٢٥ – ١٤٢
٤	٥	١١٤ – ١٢٣	١٢٠ – ١٣٥	١٢٩ – ١٤٦
٥	٥	١١٨ – ١٢٧	١٢٤ – ١٣٩	١٣٣ – ١٥٠
٦	٥	١٢٢ – ١٣١	١٢٨ – ١٤٣	١٣٧ – ١٥٤
٧	٥	١٢٦ – ١٣٥	١٣٢ – ١٤٧	١٤١ – ١٥٨
٨	٥	١٣٠ – ١٤٠	١٣٦ – ١٥١	١٤٥ – ١٦٣
٩	٥	١٣٤ – ١٤٤	١٤٠ – ١٥٥	١٤٩ – ١٦٨
١٠	٥	١٣٨ – ١٤٨	١٤٤ – ١٥٩	١٥٣ – ١٧٣

زيادة الوزن (بالرطل)	العلامة
صفر – ٥	صفر
٦ – ١٥	– ٢
١٦ – ٢٥	– ٦
٢٦ – ٣٥	– ١٠
٣٦ – ٤٥	– ١٢
٤٦ وما فوق	– ١٥

(على النساء بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين طرح رطل واحد من وزنهنّ لكلّ سنة تحت الخامسة والعشرين).

(المصدر: شركة "متروبوليتان" للتأمين على الحياة).

التَدخين

اذا كنت لا تدخن على الاطلاق: ..... صفر

اذا كنت تدخن الغليون فقط: ..... – ٤

اذا كنت تدخن السيجارة أو السيجار، فاحسب ما يأتي، علماً أنّ السيجار مساو للسيجارة:

العدد في اليوم	العلامة
١ – ٩	– ١٣
١٠ – ١٩	– ١٥
٢٠ – ٢٩	– ١٧
٣٠ – ٣٩	– ٢٠
٤٠ – ٤٩	– ٢٤
٥٠ وما فوق	– ٢٨

للنساء فقط:

اذا كنتِ تدخنين وتتناولين حبوباً لمنع الحمل، فاعطي نفسكِ – ٧ علامات.

الغـــــذاء

اذا كنت تأكل وجبة متوازنة، تحتوي على الخضر والفاكهة والخبز والحبوب والأطعمة الغنية بالبروتيين والحليب ومشتقاته، فأعطِ نفسك + ٤ علامات.

المشروبَات الروحيّة

احسب كمية المشروبات الكحولية التي تتناولها يومياً، مع اعتبار الآتي: وحدة الكحول المقطرّ تساوي اونصة ونصف اونصة (٤٢،٥ غراماً)، وحدة البيرة تساوي ٨ اونصات (٢٢٦،٨ غراماً)، وحدة الخمر تساوي ٦ اونصات (١٧٠ غراماً):

عدد الوحدات اليومي	العلامة
صفر	صفر
١ ـ ٢	+ ١
٣ ـ ٤	ـ ٤
٥ ـ ٦	ـ ١٢
٧ ـ ٩	ـ ٢٠
١٠ وما فوق	ـ ٣٠

حَوادث السّير

السيارات هي السبب الأكبر للوفيات الناجمة عن حوادث. ومن شأن أحزمة المقاعد أن تخفف عدد ضحايا حوادث السير بمقدار ٥٠ في المئة. ويظنّ معظم الناس أنهم يستعملون هذه الاحزمة في حين أنّ الحقيقة هي غير ذلك. من هنا ننصحك بالتفكير ملياً قبل محاولة الاجابة عن هذا السؤال.

معدّل استعمالك حزام المقعد	العلامة
أقلّ من ٢٥ في المئة	صفر
نحو ٢٥ في المئة	+ ٢
نحو ٥٠ في المئة	+ ٤
نحو ٧٥ في المئة	+ ٦
نحو ١٠٠ في المئة	+ ٨

الاجهـَـاد

انّ احدى الطرق لقياس نسبة الاجهاد لديك هي اعتبار التغيُّرات التي طرأت على حياتك. وعليك أن تطبق المقياس الآتي على السنة الفائتة من حياتك، وتجمع النقاط المذكورة الى جانب كلّ بند:

- ٠١ وفاة الزوج أو الزوجة ١٠٠
- ٠٢ الطلاق ٧٣
- ٠٣ الانفصال الزوجي ٦٥
- ٠٤ السَّجْن ٦٣
- ٠٥ وفاة أحد أفراد العائلة الأقْربين ٦٣
- ٠٦ التعرض شخصياً لحادث أو مَرض ... ٥٣
- ٠٧ الزواج ٥٠
- ٠٨ الطرد من الوظيفة ٤٧
- ٠٩ المصالحة الزوجية ٤٥
- ٠١٠ التقاعد ٤٥
- ٠١١ التوعك الصحي لدى فرد من العائلة ٤٤
- ٠١٢ الحمْل ٤٠
- ٠١٣ الصعوبات الجنسية ٣٩
- ٠١٤ كسب عضو جديد في العائلة ٣٩
- ٠١٥ التكيف مع اوضاع مهنية جديدة ٣٩

٠١٦ تغيُّر الوضع المادي	٣٨
٠١٧ وفاة صديق قريب	٣٧
٠١٨ تغيير العمل جذرياً	٣٦
٠١٩ التغيُّر في عدد المشادات الزوجية	٣٥
٠٢٠ رهن عقاري بقيمة تتجاوز الـ١٠،٠٠٠ دولار	٣١
٠٢١ عدم استرجاع الرهن او القرض	٣٠
٠٢٢ تبدّل مسؤوليات الوظيفة	٢٩
٠٢٣ أحد افراد العائلة يغادر المنزل	٢٩
٠٢٤ الخلاف مع أهل الزوج أو الزوجة	٢٩
٠٢٥ تحقيق انجاز شخصي بارز	٢٨
٠٢٦ الزوجة تبدأ العمل او تتوقف عنه	٢٦
٠٢٧ بدء المدرسة أو نهايتها	٢٦
٠٢٨ تغيُّر في الظروف المعيشية	٢٥
٠٢٩ تغيُّر في العادات الشخصية	٢٤
٠٣٠ تعكُّر العلاقة مع ربّ العمل	٢٣
٠٣١ تغيُّر في ساعات العمل أو ظروفه	٢٠
٠٣٢ تبديل مكان الاقامة	٢٠
٠٣٣ تبديل المدارس	٢٠
٠٣٤ تبديل عادات الاستجمام	١٩
٠٣٥ تغيُّر في النشاطات الدينية	١٩
٠٣٦ تغيُّر في النشاطات الاجتماعية	١٨
٠٣٧ رهن أو قرض يقلّ عن ١٠،٠٠٠ دولار	١٧
٠٣٨ تغيُّر في عادات النوم	١٦
٠٣٩ تغيُّر في عدد اللقاءات العائلية	١٥
٠٤٠ تغيُّر في عادات الاكل	١٥
٠٤١ أخذ عطلة	١٣
٠٤٢ الاحتفال بالعيد الديني الرئيسي	١٢
٠٤٣ خرق القانون على نحو ثانويّ	١١

مجموع النقاط السابقة	العلامة
أقلّ من ١٥٠	صفر
١٥١ ـ ٢٥٠	ـ ٤
٢٥٠ ـ ٣٠٠	ـ ٧
أكثر من ٣٠٠	ـ ١٠

المصدر: "مقياس التكيف الاجتماعي" للدكتور توماس هولمز.

التاريخ الشخصي

اذا كانت لديك علاقة قريبة، خلال سنة أو أكثر، مع شخص مصاب بالسلّ، فأعطِ نفسك ـ ٤ علامات.

اذا أخذت علاجاً بالاشعة ضدّ التهاب اللوزتين أو الزائدة الانفية أو حبّ الشباب أو القوباء في فروة الرأس (مرض جلدي مُعْدٍ)، فأعطِ نفسك ـ ٦ علامات.

اذا كنتَ تعمل في تصنيع "الأسبستوس" (معدن عازل للحرارة وغير قابل للاحتراق) ولست مدخناً، فأعطِ نفسك ـ ٢ علامتين.

اذا كنتَ تعمل في تصنيع "الاسبستوس" وأنت مدخن، فأعطِ نفسك ـ ١٠ علامات.

اذا كنتَ تعمل بمادة "كلوريد الفينيل" باستمرار، فأعطِ نفسك ـ ٤ علامات.

اذا كنتَ تقيم أو تعمل في مدينة كبيرة، فأعطِ نفسك ـ ٦ علامات.

اذا كَنتَ منغمساً في علاقات جنسية مع اشخاص كثيرين (مما ينطوي على خطر الامراض الزهرية)، فأعطِ نفسك ـ ١ علامة.

للنساء فقط:

بالنسبة الى سرطان الرحم، اذا بدأتِ العلاقات الجنسية المنتظمة وأنت دون الثامنة عشرة، فأعطي نفسكِ ـ ١ علامة

التاريخ العائلي

في حال اصابة الاب أو الامّ أو أحد الاخوة أو الاخوات بنوبة قلبية قبل الاربعين، ضع العلامة الآتية لكلّ فرد أصابته النوبة: ـ ٤

في حال اصابة أحد الجدين أو الاعمام / العمات أو الاخوال/ الخالات بنوبة قلبية قبل الاربعين، ضع العلامة الآتية لكلّ فرد أصابته النوبة: ـ ١

لكل من الابوين والاشقاء/الشقيقات، اذا كان

يعاني ارتفاعاً في ضغط الدم يقتضي العلاج، ضع العلامة الآتية: ـ ٢
لكل من الجدين والاعمام / العمات والاخوال/ الخالات، اذا كان يعاني ارتفاعا في ضغط الدم يتقضي العلاج، ضع العلامة الآتية: ـ ١
لكل من الابوين والاشقاء/ الشقيقات، اذا أُصيب بداء السكري قبل بلوغه الخامسة والعشرين، ضع العلامة الآتية: ـ ٦
لكل من الجدين والاعمام/ العمات والاخوال/ الخالات، اذا أُصيب بداء السكري قبل بلوغه الخامسة والعشرين، ضع العلامة الآتية: ـ ٢
لكل من الابوين والاشقاء/ الشقيقات، اذا أُصيب بداء السكري بعد الخامسة والعشرين، ضع العلامة الآتية: ـ ٢
لكل من الجدين والاعمام / العمات والاخوال/ الخالات، اذا أُصيب بداء السكري بعد الخامسة والعشرين، ضع العلامة الآتية: ـ ١
اذا أُصيب أحد والديك أو جديك أو أخوتك/ أخواتك أو أعمامك/ عماتك أو أخوالك/ خالاتك بالزرّق (الماء الازرق)، فضع العلامة الآتية: ـ ٢
اذا أُصيب أحد والديك أو جديك أو اخوتك / اخواتك أو أعمامك/ عماتك أو أخوالك/ خالاتك بالنقرس (داء المفاصل)، فضع العلامة الآتية: ـ١
للنساء فقط: في حال اصابة والدتك أو شقيقة لكِ بسرطان الثدي، ضعي العلامة الآتية: ـ ٤

العناية الطبيّة

اذا أجريت الفحوص أو العلاجات الآتية، فثبت العلامات المذكورة أمامها:

قياس ضغط الدم مرة واحدة في السنة: + ٤
للنساء فقط (بالنسبة الى سرطان الثدي): الفحص الذاتي للثديين شهرياً، اضافة الى فحص طبي كلّ سنة أو اثنتين: + ٢
للنساء فقط (بالنسبة الى سرطان الرحم): تطهير الحلمتين بالدواء كلّ سنة أو اثنتين: + ٢
فحص الجلد لتحري داء السلّ كلّ خمس سنوات ـ عشر سنين: + ١
فحص البراز (بالنسبة الى احتوائه على دم) كل سنتين بعد الاربعين وسنوياً بعد الخمسين: + ١
فحص الشرج والمعي المستقيم مرة واحدة بعد بلوغ الخمسين: + ١

علامة الحياة

الآن، اجمع واطرح جميع النقاط التي حصلتَ عليها.

١. عدد النقاط الاجمالي: ________
٢. أضف اليه + ٢٠٠: ________ + ٢٠٠
٣. علامة حياتك (حاصل جمع ١ و ٢): ________

معدّل علامة الحياة هو ٢٠٠. واذا تجاوزت علامتك الـ٢١٥، فهذا يعني أنّ لديك فرصة جيدة للتمتّع بحياة تفوق المعدّل من حيث الصحة. أما علامة ٢٣٠ وما فوق فتعني فرصة لحياة أطول وأكثر صحة. ويتضاءل نصيبك في الصحة اذا كانت علامتك دون الـ١٨٥. أما اذا تدنت عن الـ١٧٠، فأن الامراض تزحف نحوك.

ماذا ينقصنا حتى يطول عمرنا ؟

ترى كم من السنوات بقي أمامك؟
العناية الصحية الحسنة تعني عمراً أطول. والقائمة أدناه تربط بين علامة الحياة التي حصلتَ عليها وطول حياتك المتوقع.

مستوى الصحة	علامة الحياة	طول الحياة المتوقع	
		للرجال	للنساء
ممتاز	٢٣٠ وما فوق	٨١ وما فوق	٨٦ وما فوق
جيد	٢١١ – ٢٢٩	٧٤ – ٨٠	٧٩ – ٨٥
معدل	١٩١ – ٢١٠	٦٧ – ٧٣	٧٢ – ٧٨
دون المعدل	١٧١ – ١٩٠	٦٠ – ٦٦	٦٥ – ٧١
سيىء	١٧٠ وما دون	دون الـ٦٠	دون الـ٦٥

■ **الدكتور دونالد فيكيري**

حسب الدوام

بعد ليلة مرهقة في قسم التوليد، قالت الممرضة: "ما السرّ في أنّ جميع الاطفال يولدون ليلا ؟" فعلق الطبيب: "ما يبدأ في الليل ينتهي في الليل".
وبعد فترة أصبح الطبيب أباً. ولم يَنْسَ موظّفو المستشفى أن يذكروه بأنّ طفله وُلد في عزّ الظهيرة.

ا.ب.

الجوكندة الناطقة

ما أن وصلت لوحة الجوكندة (موناليزا) الشهيرة الى اليابان في ابريل (نيسان) ١٩٧٤ حتى انتشرت رسومها في كل مكان، وظهرت على الملصقات والكتب والالعاب. وكانت اليابان استعارتها من متحف اللوفر في باريس لتعرضها مدة شهرين.
وسجلت ادارة الهاتف شريطاً مدته ١٨ ثانية على انه صوت موناليزا الفاتنة. وقد أعاد الخبراء تكوين صوتها بعد تحليل صدرها (في الرسم) الكترونياً ودراسة شكل حنجرتها وأسنانها وشفتيها وبسمتها وأنفها وفكيها وعظم وجهها وعضلاته. وترجموا ذلك كله الى اصوات بواسطة دارات الكترونية.
وكانت النتيجة ان رائعة ليوناردو دا فينشي خاطبت المعجَبين اليابانيين مدة ١٨ دقيقة، قائلة لهم الآتي: "ولدتُ في فلورنسا، وكان عمري ٢٦ سنة حين رُسمت اللوحة التي تمثلني..." وجاء التسجيل بصوت فخم مرتفع وفي اللغة الايطالية، من غير نقل الى اليابانية.

و.ف.

وسط الذرى الشاهقة التي لا تذوب عنها الثلوج، يمتد ذلك الوادي بساطَ زهر وسحر

الفردوس

في الايام الاخيرة من نوفمبر (تشرين الثاني) تسقط الثلوج الاولى على جبال حملايا الوسطى. ولنحو ستة اشهر يتحول وادي "ناندان كانان" الصغير قفراً جليدياً موحشاً يتعذر بلوغه. ثم يأخذ الثلج في الذوبان اواسط مايو (ايار). وفي الربيع الماطر القصير الذي يلي، يشهد وادي ناندان كانان من جديد الاعجوبة التي شهرته باسم "وادي الزهر".

بمسحات سريعة كضربات ريشة رسام، تمد الطبيعة بساطاً زاهياً من الزهر في الوان قوس قزح. وسرعان ما يمتلىء الجو بتغريد الطيور. وبحلول منتصف يوليو (تموز)، يزهو الوادي الصغير باروع زهر يحلم به خيال.

زهر الربيع القرنفلي والوردي والاحمر، وشقائق النعمان الصفراء والبيضاء، هي من اوائل الازهار التي تراها العين وآخر ما يذوي منها. ويحمل الهواء نفحات من الشذا المسكر لزهر الـ"براهما كمال" (سوسوريا اوبفالاتا) برؤوسه الارجوانية القاتمة المحبوسة داخل اوراق علوية منفوخة ذات لون اخضر فاتح. ويقطف القرويون هذا الزهر ويقدمونه الى الهيكل.

ويتبرعم زهر الخليج القزم الابيض والارجواني متسلقاً منحدرات الجبال المحيطة بالوادي حالما يلامس فصل الربيع المرتفعات العليا. وفي قاع نهر الجليد، وفي الشقوق والصدوع بين الصخور ومجاري الانهر الجافة، تطل رقع من نبات السنفية (الابيلوبيون) ذي الزهر الارجواني المشمع. وهناك امتدادات من الخشخاش الازرق وزهر السحلبية (الاوركيدية) ذي الخطوط الصفراء، واحواض من زهر العايق (الدلفينيون) الازرق، وبسط من الصعتر الاحمر القاني، والحوذان الاصفر (زر الذهب) على ضفاف الغدران، وزهر النجمة والمرغريت (زهر الربيع) وإبر

Photos: Ashvin Mehta.

زهرة الربيع او كعب الثلج (بريميولا دوتيرونانا).

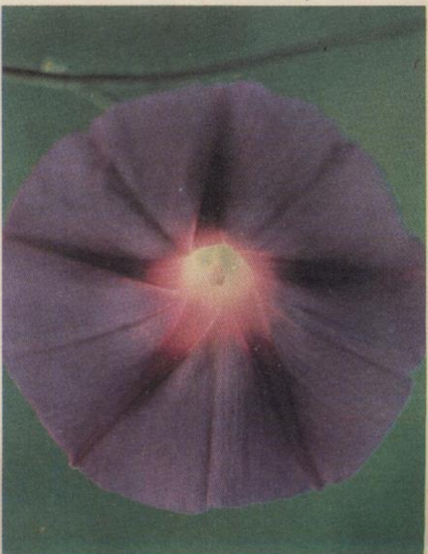

ايبومويا ارجوانية (ايبومويا بوربوريا).

خشخاش واليتش
(ميكونوبسيس واليتشي).

الراعي (جيرانيوم)، وزهر اذن الفأر (لا تنسني) وغيرها كثير.

ويزور عشاق الطبيعة والسياح الوادي لرؤية هذا الفردوس، كما يؤمه الحجاج من طائفة "السيخ" لزيارة معبد هيمكوند المجاور. ويسافر معظمهم بالقطار الى بلدة رشيكيش القائمة عند سفح الجبل. ومن هناك تنقلهم حافلة (باص) مسافة ٢٧٠ كيلومتراً عبر اودية نهرية خلابة الى "غوفيندغات" التي تعلو ١٨١٢ متراً عن سطح البحر. ويبعد وادي الزهر عن هذا المكان مسافة ١٧،٥ كيلومتراً، يجتازها الناس سيراً على الاقدام او على ظهور الجياد في رحلة عبر ارض شديدة الانحدار. ويبعد آخر مكان مأهول مسافة ١٢،٥ كيلومتراً عن غوفيندغات، وهو قرية صغيرة اسمها غنغاريا، تضم مجموعة اكواخ وثلاث استراحات. ووراء غنغاريا تمتد منطقة رائعة لم تفسدها يد البشر.

يبدأ وادي ناندان كانان على ارتفاع ٣٥٠٠ متر، ويشبه رواقاً متعرجاً طوله نحو ثمانية كيلومترات وعرضه كيلومتران، يمتد متسلقاً برفق مسافة ٣٧٣٣ متراً حتى ينتهي الى نهر الجليد المسمى "ضفة لاري". وتحرس المدخل الجنوبي للوادي غابة من اشجار البلسم النادرة يبلغ طول الواحدة منها نحو مترين ونصف متر. وتنتصب على جانبيه اجراف صخرية شاهقة تثير الرهبة في النفس، يصل ارتفاع بعضها الى ١٥٠٠ متر. ويتدفق نهر بوشبواتي على امتداد ناندان كانان، وتتجمع مياهه من ذوبان انهر الجليد.

زنبقة حملايا (ليليوم اوكسيبيتالوم).

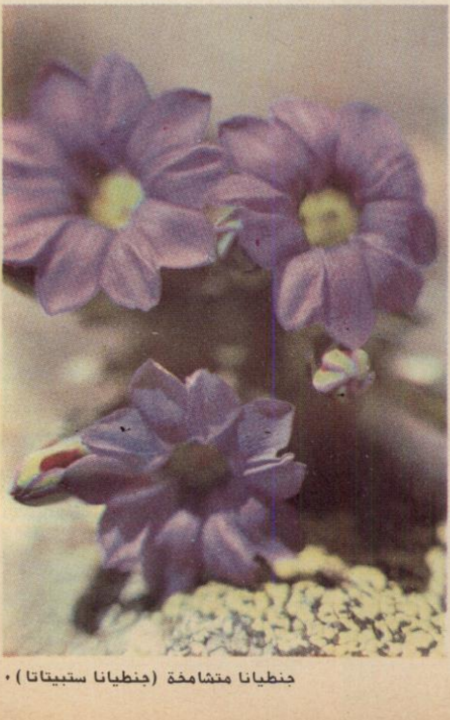

جنطيانا متشامخة (جنطيانا ستبيتاتا).

سُلَّم يعقوب (بوليمونيوم كايروليوم)٠

صباحات الربيع في وادي الزهر مشرقة ومفعمة بالحياة، تعلوها سحب ناعمة كالقطن تطفو في سماء زرقاء مصقولة، وترصعها غدران تتلألأ كالفضة في ضوء الشمس٠ بيد ان سديماً (ضباباً) طيفياً يدخل الوادي احياناً من الممر الجنوبي٠ ويتقدم هذا الضباب الرقيق بثبات فيمسح الالوان ويلتهمها، مغرقاً الوادي في ظلام رمادي٠ وغالباً ما يعقب ذلك انهمار مطر مدرار، فلا يبقى للسائح الا الاحتماء بخيمته حتى يصحو الطقس٠الا ان الجو يصحو اربع ساعات او خمساً في معظم الايام، فيتسنى للزائر الطواف حول الزهر ووسطه٠

افضل اوقات الزيارة هو الاسابيع القليلة الممتدة بين منتصف يوليو (تموز) ومنتصف اغسطس (آب)٠ وفي ذروة الموسم تكون سجادة الزهر المتعددة الالوان امتدت على طول ناندان كانان٠

ولا بد من ان مشهداً كهذا رحب بمتسلق الجبال فرانك سميث حين عثر مصادفة على الوادي المسحور عام ١٩٣١ وسماه "وادي الزهر"٠ وهو زاره ثانية في العام ١٩٣٧ وجمع نحو ٢٥٠ نبتة٠

ويقع وادي ناندان كانان في منطقة من جبال حملايا عرفت بوفرة ازهارها الجميلة٠ لكن هذه المنطقة كانت مقدسة بالنسبة الى الهندوس قبل ان تشتهر بزمن طويل٠ ويقال ان "رام" و"لاكسمان"، البطلين الاسطوريين في ملحمة "رامايانا" الهندية، مرّا بالوادي ابان نفيهما٠ فأطعمتهما الناسكة "شاباري" ثمر العليق من ناندان كانان بعدما تذوقته هي اولا لتحكم على حلاوته٠ ورفض لاكسمان ثمار العليق نصف المأكولة وطرحها٠ وحيثما سقطت، نبت عشب عجيب يمنح الحياة واسمه سانجيفاني٠

وبعد سنوات اصيب لاكسمان بجروح خطيرة وهو يصارع ملك الابالسة "رافانا"، واجلي الى هذه المنطقة٠ وكان في وسع عشبة سانجيفاني وحدها ان تنقذه٠ ولذا انطلق "هانومان" القرد يبحث عنها٠ ولما عجز هانومان عن التعرف الى العشبة العجيبة، اقتلع الجبل بأسره ونقله الى حيث يرقد لاكسمان٠ وسرت الآلهة باخلاص هانومان وتفانيه،

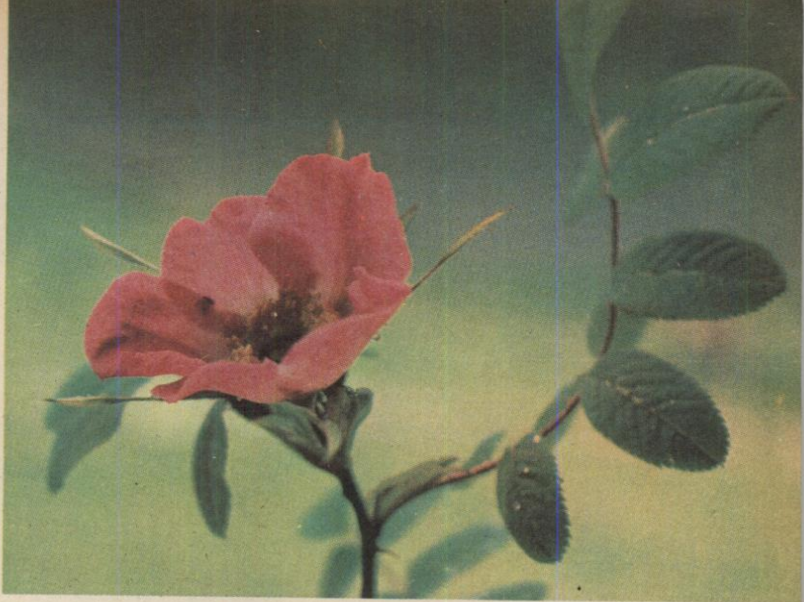

وردة حملايا (روزا ماكروفيلا).

بوطنطلة خماسية الوريقات ذات ثمر وبري (غيوم الاتوم، الصفراء)، عشبة القمل الناحلة (بدكيولاريس غراسيليس، القرنفلية الوردية) زهرة الابدية اللؤلؤية (أنافاليس، البيضاء).

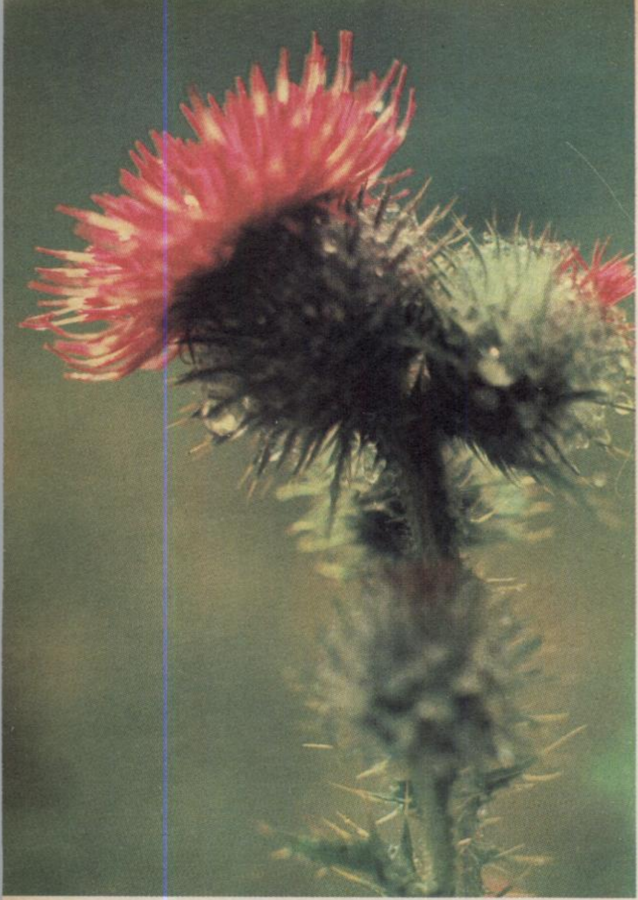

شوك المسك (كاردوس نوتانز)

ليندلوفيا مبهرجة (ليندلوفيا سبكتابليس) •

الطرليوس
(ترولیوس اكوليس)

فأمطرت زهراً. وتقول الاسطورة ان ناندان كانان هو احد الامكنة التي تجذر فيها هذا الزهر.

وما زال الوادي اليوم يؤلف المشهد الرائع الذي رآه سميث. غير ان الرعي المتواصل للماشية والجياد التي تنقل الزائرين يشير الى بداية النهاية لناندان كانان. وتنبهاً لهذا الخطر اقترحت السلطات حظر الوادي على الماشية، كما قررت عدم شق طريق من غنغاريا الى الوادي خوفاً من تدفق السياح. وتمد الطبيعة يد المساعدة: فالانهيارات الصخرية والترابية خلال الرياح الموسمية تثني السياح عن زيارة الوادي قبل انتهاء موسم الزهر.

ويضرب السياح خيامهم احياناً في منتصف الطريق الى الوادي، على امتداد نهر بوشبواتي، وينتشرون في مختلف الاتجاهات. ويتجشم بعضهم مشقة اعظم في سبيل متعة اكبر، فينصبون خيامهم في شهري يوليو (تموز) واغسطس (آب) عند الطرف العالي من الوادي، قرب "ضفة لاري". وهذه البقعة التي تطوقها آفاق لازوردية وتحيطها ذرى شاهقة وحقول لا تذوب عنها الثلوج، تشرف على منظر للوادي لا يضاهى. وكل يوم، فيما يولي الصيف، يدنو مدّ الزهر رويداً من المخيم. وبقليل من الحظ، يستيقظ الزائر ذات صباح فيجد ان الزهر زحف داخل خيمته في ابهى حلة.

ويبدأ الخريف، فيدنو مهرجان الالوان الزاخر بالحياة والفرح من نهايته. وفيما يذبل الزهر، يتحول ناندان كانان، ذلك النسيج المتعدد الالوان بساطاً من الذهب المحتضر. ويعود اليه الصمت والثلج.

■ س.ي. غوبينات

بلا عنوان

سألتُ ابن الجيران ذا السنوات الاربع: "أتـُريد الحصول على هرّ صغير؟"
- كلا. أنّ امي تكره الهررة، ولا تسمح بدخولها المنزل.
"وماذا عن أبيك؟"
- انها تسمح بدخوله طبعاً!

د.هـ.

الأسود والأبيض

وصف الكاتب والفنان الفرنسي جان كوكتو علاقة الرسام بيكاسو أيام شبابه بالرسامين الفرنسيين كما يأتي: "كان هاجسنا آنذاك ابداع طرائق جديدة للتعبير. فكان أحدنا، مثلا، يرسم أشجاراً في وضع غير طبيعي، وآخر يفعل الأمر نفسه بالنسبة الى ورق اللعب، وثالث يرسم بيوتاً بالطريقة ذاتها، وهكذا. وكنا نخبىء أعمالنا لدى دخول بيكاسو المرسم. فانه كان يراها وينسخها جميعاً، ولكن بطريقة أفضل كثيراً".

وكالة "جانيك" للاخبار

تأمُّلاتٌ معَاصِرة

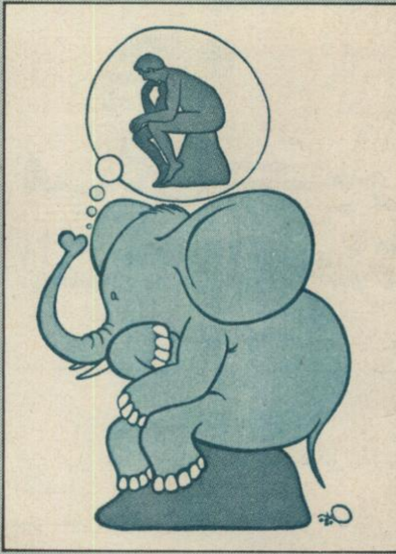

في انتظار الخريف

لم أجد فروقاً مطلقة بين حياة الشرق والغرب، باستثناء النظرة الى السن. فمن الاسئلة الاولى التي يطرحها الصيني على ضيفه: "كم هي سنك المجيدة؟" فاذا جاء الجواب حَيِياً: "٢٣ سنة" أو "٢٨ سنة"، علق السائل بالآتي: "لا يزال أمامك مستقبل مجيد. وقد تبلغ الشيخوخة في أحد الأيام".

وكلما ارتفعت السن ازدادت حماسة السائل، حتى اذا تجاوزت الخمسين خفض صوته بتواضُع واحترام. وجميع الناس هناك يطمحون الى الاحتفال بعيد ميلادهم الحادي والخمسين.

لين يوتانغ، كتاب "أهمية العيش"

سيف ذو حدين

لا يجوز للعقل ان يكون مستقلا. فانفصاله عن المحبة والالهام يجعله يبرر جميع أنواع التعصُّب مهما بلغت قسوتها، كما يدفعه الى التغاضي عن جميع ضروب الجنون بما فيها الاجرام. والشعاع الذي يتيح الرؤية من شأنه ان يتحول اشعاعاً قاتلا اذا وُضع في يد غير صالحة.

ن.م.

الانفتاح

كان أحد المشاهير يحتفظ بكُرة صغيرة يستعملها كلما أُثير موضوع التسامح. وكان يحملها في يده ويسأل: "ما لون هذه الكرة؟" فينظر اليها الشخص الجالس قبالته نظرة سريعة ويجيب: "انها سوداء".

ويهز صاحبنا رأسه ويقول: "الجزء الذي أراه من الكرة أبيض"، ثم يدير ذلك الجزء الى محدّثه ويضيف: "لا نستطيع قط ان نتفق على لون هذه الكرة الا اذا كنتَ تعرف وجهة نظري وأدركت أنا أنك تنظر اليها من وجهة اخرى. وفي امكان الناس حل كثير من الخلافات التي تنشأ بينهم اذا تعلموا النظر الى جانبي الكرة".

ج.د.

العلم في الصفر

هل نظرت مرة الى نبتة ذابلة؟ وهل سقيتها ورأيت كيف تنتصب أوراقها من جديد؟ بهذه السرعة يتحول عقل طفل على يد معلم يعرف سر تغذيته.

م.م.

هيلين كيلر المرأة - المعجزة

عينان زرقاوان
انطفأ فيهما النور،
لكن بهجة الايمان أعادت
اليهما حرارة الحياة

صيف ١٩٥٠ كنا انا وزوجي نقيم في منزل شيد فوق تلة عالية تشرف على مرفأ بورتوفينو في ايطاليا. وكان المنظر فاتناً. ففي الجهة اليمنى من سفح التلة يربض المرفأ الازرق بشبه جزيرته الساحرة وقلعته القديمة. ويمتد الى اليسار خليج باراتجي الصغير الزمردي (الاخضر القاتم) بشاطئه العريض الذي تحيطه اشجار السرو. لكن ضيق الممر المؤدي الى بيتنا عبر المنحدر الصخري كان يضيع على فردوسنا كماله. وقد رفضت السلطات البلدية السماح لنا بشق طريق مرصوفة في مكان الدرب الذي تسلكه الدواب. وكانت واسطة النقل الوحيدة لدينا سيارة جيب قديمة يمكنها صعود الممر الضيق واجتياز المنعطفات الحادة والحفر التي تملأ الطريق.

وذات يوم زارتني الكونتيسة مارغو بيسوتزي التي تقطن منزلا قرب الممر الجبلي في موقع أعلى من منزلنا، وأخبرتني ان احدى قريباتها وصلت الى بورتوفينو مع مرافقة لها. كما انبأتني ان سيارتها معطلة، وسألتني اذا كنت أمانع في النزول الى فندق سبلنديدو لاصطحاب السيدتين العجوزين. وأضافت: "ما عليك الا ان تسألي عن الآنسة هيلين كيلر".

فشهقت مندهشة: "مارغو، هل تقصدين هيلين كيلر فعلا؟".

- طبعاً، انها قريبتي، الا تعرفين ذلك؟.

فركضت الى المرأب، وركبت الجيب ونزلت الجبل.

كنت في الثانية عشرة من عمري حين اعطاني والدي كتاب "قصة حياتي" لهيلين كيلر. وفي ذلك الكتاب تتكلم المؤلفة عن آن سوليفان، المرأة الرائعة التي اختارها القدر لتكون معلمة الطفلة العمياء الصماء. فقد حولت الآنسة سوليفان المخلوقة الصغيرة الجموح والثائرة فتاة مجتمع مثقفة، اذ استطاعت ان تعلمها النطق. وما زلت أذكر بجلاء وصفها للاسابيع الاولى من عراكها مع الطفلة، الى ان عقد لها النصر حين وضعت يد الصغيرة اليسرى تحت مياه حنفية (صنبور) وتهجت فوق يدها الاخرى كلمة "ماء". وبذلك كشفت غوامض اللغة للطفلة الصغيرة.

الرحلة المجنونة - أوقفت سيارة الجيب قرب حائط تكسوه اغصان البوغنفيلية، وهو نبات امريكي معترش، وقدمت نفسي الى ادارة الفندق. فاصطحبني احد موظفي

Condensed from «Chance Lobster-And Dance», Copyright (c) 1978
by Macmillan Publishing Co., Inc., 866 Third Ave., New York, N.Y. 10022.

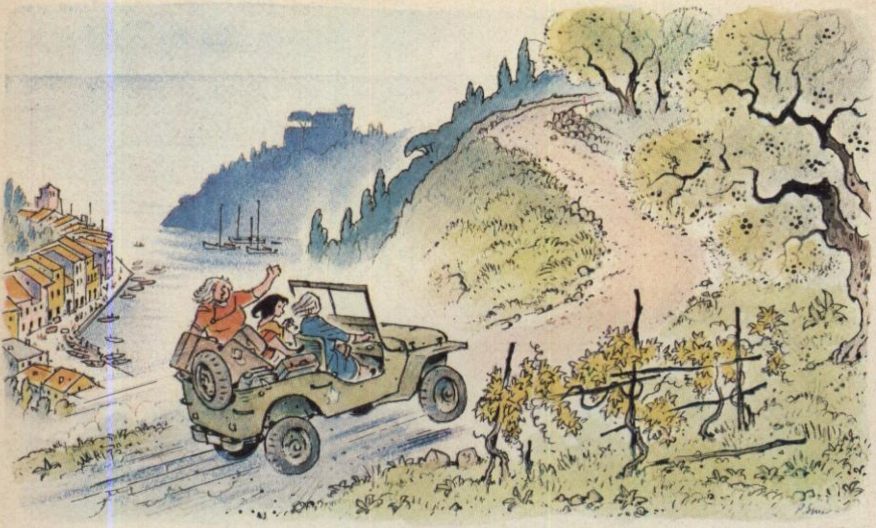

الاستقبال الى الشرفة حيث وقفت سيدة طويلة ممتلئة الجسم حيتني قائلة: "أنا بولي طومسون مرافقة هيلين كيلر". ثم نهضت عن الكرسي الآخر سيدة مدت يدها مصافحة. انها هيلين كيلر! كانت في السبعين من عمرها، ذات شعر أبيض خفيف وعينين زرقاوين مفتوحتين وابتسامة متحفظة. وقالت ببطء وبصوت بدا كأنه يخرج من حلقها: "كيف حالك؟" فأمسكت بيدها التي رفعتها عالياً لانها لم تكن تعرف طولي الحقيقي. وكانت ترتكب هذا الخطأ مع كل من تلتقيهم للمرة الاولى، لكنها لا تكرره في المرات التالية أبداً. فحين ودعتها وضعت يدها في يدي بثبات وفي المستوى الصحيح.

وضعت الامتعة في مؤخر الجيب وساعدت الآنسة طومسون المرحة في الجلوس على المقعد بجوارها. ورفع حمال الفندق هيلين كيلر وأجلسها على المقعد الامامي الى جانبي. عندئذ فقط تبينت خطورة المسؤولية التي اخذتها على عاتقي. فقد كانت سيارة الجيب مفتوحة لا شيء فيها يمكن الانسان ان يتمسك به. فكيف ابعد عن السيدة خطر السقوط عندما نتسلق الجبل، وكانت منعطفاته تتطلب ان نجتازها بسرعة قصوى. وأوقفت سيارة الجيب عند سفح الممر الصخري واستدرت نحو الآنسة كيلر وقلت: "سنصعد بعد لحظات تلة شديدة الانحدار. فهلا تمسكت باطار حاجب الريح؟".

لكنها ظلت تنظر الى الامام بترقب. ثم أتى صوت الآنسة طومسون من خلفي وهي تقول بلهجة ملؤها الصبر: "انها لا تستطيع ان

تراك او تسمعك يا عزيزتي. وأنا اعرف انه من الصعب ان تألفي ذلك للوهلة الاولى".

وارتبكت الى حد اني تلعثمت في محاولتي شرح المشكلة التي تنتظرها. فانحنت الآنسة طومسون فوق الامتعة حتى امسكت بيد هيلين كيلر. وحركت اصابع هيلين الى فوق والى تحت والى الجانبين وهي تخبرها بلغة العُمْي والصم ما قلته.

فقالت هيلين: "لا بأس، سأقبض على الاطار باحكام".

ووضعت يدي هيلين على الاطار المعدني، فصاحت بمرح: "هيا بنا". واندفع الجيب بقفزة قلبت الآنسة طومسون فوق الامتعة، ولم استطع ان اوقفه بسبب الانحدار الشديد والفرامل (الكوابح) الرديئة. وانطلقنا صاعدين فيما استلقت الآنسة طومسون فوق الامتعة ولا حيلة لها.

لقد ركب العديد من المسافرين سيارتي الجيب وتذمروا، جميعهم من نقص النوابض (الرفاصات) فيها. ولا عجب في ذلك مع وجود كل تلك الصخور والحفر المستديرة والمنعطفات الحادة عبر بساتين الزيتون التي لم تنجح، على رغم كثافتها، في اخفاء الانحدار الشديد الذي روّع العديد من ضيوفنا. وكانت هيلين كيلر المسافرة الوحيدة التي غفلت عن الخطر، بل انها استمتعت بالاهتزاز العنيف. وما لبثت ان راحت تغني فرحة وهي تتراقص فوق مقعدها وصاحت: "هذا رائع!".

وفيما كنا نعبر الساحة أمام منزلنا، نظرت بطرف عيني لارى البستاني مذهولا ولم أكن أعرف شيئاً عن وضع الآنسة طومسون، اذ طغى ضجيج الجيب على تساؤلاتها. أما هيلين كيلر فقد افلت شعرها الابيض الناعم وتطاير حول وجهها وهي تستمتع بالرحلة المجنونة.

واجتزنا المنعطف الاخير الواقع بين شجرتي تين عملاقتين، ورأيت مارغو بيسوتزي وزوجها ينتظراننا. فانزلا هيلين وعانقاها، ثم رفعا الآنسة طومسون ونفضا الغبار عن ملابسها.

ورافقت مارغو السيدتين الى غرفتيهما لترتاحا، ثم جلست تحدثني عن قريبتها. قالت: "ان كل ما تلاحظه هو تغير الرائحة. وسوا أكانت في نيويورك أم هنا أم في الهند، فانها تقيم في عالم من الظلام والصمت".

شجاعة الايمان - اجتازت بولي وهيلين الحديقة الى الشرفة حيث كنا ننتظرهما. وكانت هيلين تتأبط ذراع بولي من دون كلفة. وقالت هيلين: "لا بد ان يكون هذا زهر الوستاريا (★) فأنا اعرف رائحته".

ولم يكن نطق هيلين طبيعياً. فهي كانت تتكلم بتقطع كمن يتماثل الى الشفاء من سكتة دماغية، وتلفظ الاحرف ببطء وعناء. وتوجهت نحوي وهي تتطلع الي اذ عرفت موقعي بحسها. ثم قالت: "اننا في طريقنا الى فلورنسا لنشاهد تمثال داود لميكال انجيلو، وانا مشتاقة بل متحمسة لاني اتوق الى رؤيته منذ زمن بعيد".

(★) نبات معترش ذو زهر عنقودي.

فاعترتني الحيرة ونظرت الى الآنسة طومسون التي هزت رأسها موافقة وقالت: "أجل، فقد انشأت الحكومة الايطالية سقالات (سلالم) حول التمثال لكي تستطيع هيلين الصعود اليه ولمسه. وهذا ما تدعوه "رؤية". وغالباً ما نزور مسارح نيويورك فأخبرها بما يجري على خشبة المسرح وأصف الممثلين. وقد نصعد الى خشبة المسرح بعد انتهاء العرض لكي تلمس الترتيبات الموضوعة فوقها و"ترى" الممثلين. ثم نعود الى البيت وهي تشعر كأنها شاهدت المسرحية فعلا".

وقدم الينا الغداء على الشرفة. فنقلت هيلين الى كرسيها حيث راقبتها وهي "ترى" مكانها. وانطلقت يداها بسرعة البرق تحددان مواضع الطبق والكوب والاواني الفضية. وهي لم تتلمس طريقها الى الاشياء خلال الوجبة، بل كانت مثلنا تتناول ما تريد بثبات.

وبعد الغداء تابعنا جلستنا على الشرفة الظليلة المحاطة بعناقيد الوستاريا المتدلية كستارة بنفسجية سميكة. وكانت الشمس تشع فوق صفحة البحر عند سفح الجبل. وجلست هيلين كعادتها، رأسها مرفوع كأنها تصغي الى صوت ما، وعيناها الكفيفتان الزرقاوان مفتوحتان. ولاحت في وجه السيدة العجوز براءة الاطفال، ولم تبدُ عليه آثار العذاب الذي قاسته وما زالت تقاسيه.

ثم سألتها بواسطة مرافقتها عن الامكنة التي تود زيارتها في اوروبا. فعددت لي كل الاماكن التي ستزورها وسائر الاشخاص الذين ستقابلهم خلال رحلتها تلك. وذهلت اذ علمت انها تجيد الفرنسية وتتكلم بعض الالمانية والايطالية. وقالت: "اني أود ان ارى وأتعلم الكثير. الموت يقف عند الباب، لكنه لا يخيفني".

وسألتها: "أتؤمنين بالحياة بعد الموت؟".

فأجابت بثقة: "كل الايمان. فالموت ليس سوى انتقال من حجرة الى أخرى".

ولفنا الصمت لحظة. ثم عادت هيلين تتكلم ببطء ووضوح: "لكن هنالك فرقاً بالنسبة الي، ففي الحجرة الاخرى سوف ابصر".

■ ليلي بالمر

حلاّل المشاكل

كان والداي أصمَّين، يتخاطبان بالشفاه. وكان أبي يعود الى البيت في بعض الامسيات مغتاظاً، فينشأ خلاف بينه وبين أمي. وقد ابتكرنا طريقة لفضّ الخلاف عندما كان يبلغ أشده، وهي أن نطفىء الأنوار في المنزل حتى لا يعود أحدهما يبصر الآخر. وكان ذلك يؤدي الى الضحك، وبالتالي الى نسيان الخلاف.

ج.د.ك.

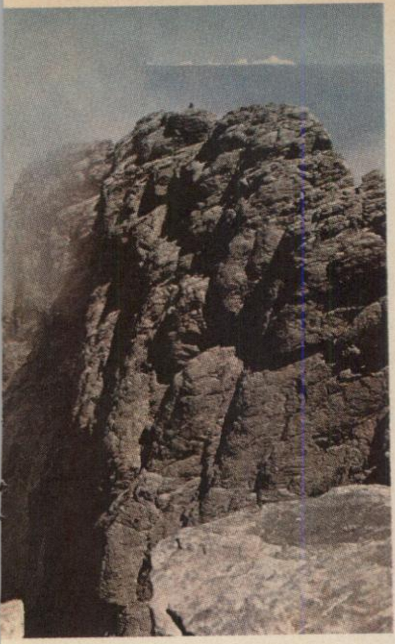

انّ عشاق جبل اوليمبوس اليوناني يكتشفون، بأعداد متزايدة، أنّ هذا الجبل الاسطوري لا يضاهيه أي جبل آخر في العالم

جَبَل الآلهَة

لقد قطعتُ مسافة طويلة وانتظرتُ عاري الرأس انجلاء أيام الربيع المتقلبة، وهكذا أصبح لي الحقّ في مشاهدة اوليمبوس العظيم، جبل الآلهة، الذي كان رائعاً بصفاء تحت شمس الصباح الباكر. ومع اني رأيت جبل افرست (حملايا) و"مون بلان" (الألب) و"ماونت كوك" (نيوزيلنده)، فضلا عن قمم وسلاسل جبال في أطراف العالم القصية، إلاّ أنّ أحداً منها لا يجاري هذا الجبل الرائع.

وراحت الأسوار الصخرية المحيطة بعرش كبير الآلهة زيوس تتألق في أشعة الشمس كأنها تعكس أرضية قصره البرونزية. وبدت خطوط الجليد المتلألئة هنا وهناك كأنها أعمدة متداعية لبهو سماويّ بُني من حجار المرمر. وكانت رؤية اوليمبوس، الينبوع الفَذّ للاسطورة والأدب الغربيَّيْن، كافية لاثارة الوف الاطياف الرائعة في ذهني. ولم يبقَ عليّ سوى تسلُّقه لكي أُلبس تلك الرؤى جَسَداً مادياً وأقف اجلالا لبعض من مجد الاغريق القديم.

بدأتُ الصعود من الشرق. وكانت الطريق الى القمة التي ترتفع ٢٩١٧ متراً تتخللها أشهر ممرات الجبل السحيقة وشعَبه الضيقة التي تصيبك بالدوار حتى لتخال الاله بوسيدون نفسه شقها في ذلك المكان وهو يفتتح درباً من اوليمبوس الى مملكته البحرية. وفي تلك الهوّة يشق نهر اينيبيوس طريقه الى البحر، وهو الذي وصفه اوديسيوس (او الملك يوليسيس في أوذيسة هوميروس)

بأنه "أجمل الأنهار التي تجري على الأرض".

عند مدخل ذلك الصدع تقوم بلدة صغيرة اسمها ليتوخورون. هناك أعددتُ العدة لتسلّق الطريق المتلفّة المؤدية الى القمة عبر ١٨ كيلومتراً يستغرق قطعها ثماني ساعات. وهي وفرت على الزوار عناء كبيراً وجعلت أعدادهم تزيد باطراد. وفي العام ١٩٧٨ زاد عددُ الزوار على خمسة آلاف شخص حجّوا من خمسين بلداً على الأقل الى ذلك الجبل المقدس.

وقبل بدء المرحلة الاولى من الطريق التي تفضي الى محطة تعلو ٢١٠٠ متر، جلستُ مسترخياً في مقهى على الرصيف في ليتوخورون. هناك حجبتُ نفسي عن حرارة شمس يونيو (حزيران)، ورحتُ أتجرّعُ كوباً من الشراب البارد فيما عدد من رجال القرية حولي يتناقشون في الامور السياسية وهم يشربون القهوة اليونانية أو "الاوزو" (شراب يوناني) أو "الرتسينا" المعطرة بالصنوبر. وكشفت وجوههم المقدونية المتغضنة التي جففتها الشمس عن تاريخ من الألم والمرارة يرقى الى عشرات السنين.

وكان الأتراك دمروا ليتوخورون تدميراً تاماً قبل قرن للقضاء على الثوار الذين حاولوا التخلّص من نير الاستعمار التركي. وبقي جبل اوليمبوس طوال تسعين عاماً يتوسط الحدود بين اليونان وتركيا. وهو لم يصبح جزءاً من اليونان المعاصرة الا

Photos: Philip Temple

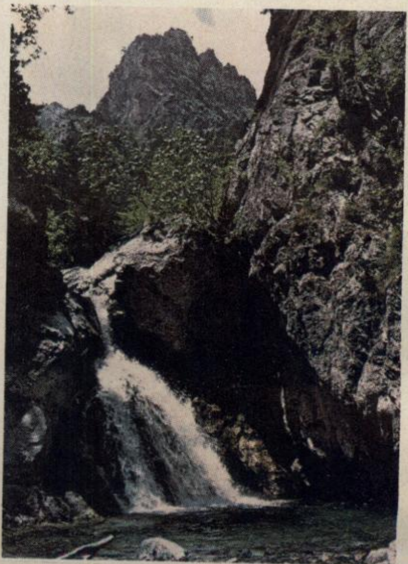

ينابيع اينيبيوس

بعد تحرير مقدونيا في نهاية حرب البلقان (١٩١٢ - ١٩١٣). وهكذا أصبح سكان ليتوخورون والقرى الاخرى على جبل اوليمبوس يسمون يونانيين.

جحافل الغزاة - إن جبل اوليمبوس كان يعتبر نقطة الحدود الشمالية لليونان منذ أيام هوميروس. وهو النقطة التي تراجعت عندها جحافل الغزاة. ولدى وصولي الى نقطة مرتفعة على جانب الجبل الشرقي، وقفت أحدّق الى السهل الساحلي الضيق على الخليج الحار. وبدا هادئاً بعدما كان مسرحاً لقتال عنيف في الأيام الغابرة، وقد قامت عليه الحقول والقرى المزدهرة. وتذكرت وأنا أنظر الى طرق السيارات والقطارات الرئيسية، والى أطلال قلعة صليبية من القرن الثالث عشر، كم من الفاتحين عبروا ذلك المكان محاولين شق طريقهم الى أثينا، وبينهم رومان وقوطيون وعرب ومجريون وعثمانيون ويونانيون.

ومع ارتفاع الطريق ازداد شعوري بالتملّص من عالم الناس. وسحرني تغريد العصافير في الغابات بين أغصان شجر الزان والبلوط. وتذهب الاسطورة الى ان اورفيوس، اله الغناء، دُفن هناك "لكي يكون صداح العنادل في ذلك المكان أجمل منه في أي مكان آخر". وأفضى بي الطواف الى مرج أخذتُ أتسلق منه بعجلة عبر الاشجار الوارفة وأنظر الى الهوة التي يجري فيها نهر اينيبيوس والتي بدت عند مرمى يدي. وما هي الا دقائق حتى رأيت الهوة تحت رجلي وسمعتُ هدير النهر في البعيد.

وكانت الأجراف الكلسية تفككت بتأثير عوامل الطبيعة حتى كونت حصوناً تستعصي على الغزاة من بني البشر.

وفجأة سمعتُ صرخة فوقي، جعلتني أظنّ ان اسطورة الاله بان (اله الغابات والرعاة) تلاحقني لتردعني عن تسلّق تلك المرتفعات المقدسة. ثم تناهى الى سمعي صدى أجراس ترنّ، وتقدم بان في شخص انسان حيّ الى بقعة مجردة من الشجر، وقد اتخذ هيئة راع هرم يسوق أمامه قطيعاً من الماعز. وكان يحمل في يده عصا صنعها بنفسه وفي اليد الاخرى مظلة. ووقف بعينيه السوداوين المتألقتين يسألني عن غايتي. وشرحتُ له بتلعثُم الى أين كنت أتجه، فلوح بعصاه نحو الجبل، وانطلق يردد أسماء جميع المروج والنتوءات والأخاديد التي تقع بيني وبين القمة. وذكرني ذلك الراعي العجوز بأن الجبل لم يكن وقفاً على الآلهة. فقد كان الرعاة والصيادون والحطابون سكاناً أصليين له منذ أزمنة سحيقة، ولديهم معرفة تامة بكل زاوية وصدع وشجرة وطائر هناك.

خارج العالم - أفضت بي الطريق الى بقعة ترتفع ١١٠٠ متر وتملأها انهيارات الصخور والأتربة التي حملتها الفيضانات بفعل الأمطار وذوبان الثلوج. وتركتُ ورائي ينابيع اينيبيوس المتدفقة، وهي مجرى الماء الأخير في طريقي، ورحت أمشي ببطء ومشقة عبر ممر صخري يتخلل غابة كانت أوراقها تخشخش في حرارة العَصْر. ورأيتُ نبات

اللبلاب المعترش يغطي الصخور العملاقة، وبلغتُ أرضاً مقطوعة الشجر تملأها ازهار البنفسج والزنبق والياقوت الكبيرة التي انتثرت أكاليل فوق العشب. ووقفتُ أنظر من عل الى وادي اينيبيوس الأعلى، فرأيتُ عالماً غير ارضي، تلفه المهابة وتغلفه الأسرار. ونظرتُ الى صخور كانت في غابر الأزمنة تحت الماء وباتت الآن معبراً للشمس على ذرى ربما صح أنها كانت أبواباً للسماء. ولم يعد ذهني بعيداً عن تصديق ما جاء في ملحمة الاوذيسة لشاعر الاغريق هوميروس من وصف لجبل اوليمبوس: "لا تهزه الريح ولا يجرفه المطر ولا يحتله الثلج. انه قائم وسط بحر صاف من الهواء الشفاف، وفوقه تتراقص الاشعة البيضاء".

إن تسلُّقي ذلك الجبل الرائع جعلني أفقه لماذا كانت آلهة الاغريق تجسيداً للظواهر الطبيعية. وقد كان كبيرها زيوس، اله الرعد وجامع الغيوم، يليه هفستوس صانع البرق وبوسيدون، أخو زيوس وسيد البحار والزلازل، ثم اله الساعات الذي يفصل الفصول والمواسم، وبعده أبولو اله الشمس الذي صَنع الرجال من جوهره. وتليه اخته التوأم آرتميس أو القمر، وهي ربة الجبال التي كانت تطارد فيها الايائل بقوسها وسهامها الفضية وتنحدر فوق الجبل المغطى بالغابات.

وبينما رحت أتسلق، ازداد جانبا الجبل انحداراً وظهرت فيهما الأخاديد التي ملأتها بقايا الأشجار الزاحفة مع السيول. ونظرتُ الى تحت لأرى أشجار الزان وعرائش اللبلاب على مسافة بعيدة. أما أشجار الصنوبر على طرفي الجبل فكانت قصيرة لأنها نامية في تربة كلسية. وسقطت درجة الحرارة مجففة العرَق عن ظهري، وربضت ذرى الجبل تحت غلالة من الغيم كان الآلهة يتسترون بها اذا شاؤوا ان يروا ويبقوا محجوبين.

ملتقى الأمم — عرفتُ من رنين الأجراس وقافلة البغال غير المحملة التي أسرعت نحوي عبر الغابة المغطاة بالضباب الرقيق أني لم أكن بعيداً عن استراحة "سبيليوس أغابيتوس" التي أُطلق عليها اسم أول رئيس لنادي الألب اليوناني، وهو الذي انجز خططاً لاقامة مجموعة من الاستراحات. وقد بُنيت استراحة سبيليوس أغابيتوس بالحجر والقرميد (الآجر) وجثمت فوق انف أشعث من الجبل يشرف على ثغر هوّة اينيبيوس الذي يبعد ١٢ كليومتراً، وعلى بعد خمسة كيلومترات وراءه يظهر طرف البحر.

ووضعتُ صرّتي على مدخل الاستراحة وانضممتُ الى الحشد المتحلق حول النار في الغرفة العامة القصيرة الدعائم، وهو يرقص ويغني طوال المساء. وبعد تأدية رقصة "زوربا" الشهيرة، راح بعضهم يقوم بحركات بهلوانية على أرض الغرفة الصلبة ثم اشترك الجميع، من سياح ومحليين، في رقصات جماعية وهم متشابكو الأيدي. وكان بينهم - عدا اليونانيين - أناس من سويسرا وألمانيا ونيوزيلندة واوستراليا والولايات المتحدة وكندا وبريطانيا. وراوحت أعمارهم من ابن عشر سنين

الى استاذ جامعي في الثامنة والستين. ولعمري ان ابولو، اله الموسيقى، لو رأى المشهد لرضي عنه.

إلاّ أن رحيق اوليمبوس الالهي لم يكن الخمر بمقدار ما كان "الشاي الاوليمبي"، وهو شراب مخمر يحمل لون العسل ونكهته. وقد صبه في كأس صباح اليوم التالي كوستاس زولوتاس، وهو يوناني في منتصف العمر عمل طوال ٢٥ سنة دليلا للجبل ووكيلا للاستراحة. وهو ابتكر الشراب بنفسه: عصارة عشبة تنمو في الجبل اسمها "كيزاريتيس سكارديكا".

طعام الجنة – لئن صحّ أن الشاي الاوليمبي الذي ابتكره كوستاس هو شراب الآلهة بالنسبة الى كثيرين من متسلقي الجبل المتعبين، فان السلَطَة اليونانية الريفية التي يعدها كوستاس من البندورة (الطماطم) والخيار والبصل والزيتون وجبن "الفيتا" الأبيض وزيت الزيتون والتوابل هي طعام الآلهة. وبينما جلستُ أستمتع بأكلها على شرفة الاستراحة، راح كوستاس ينظر بعينين حكيمتين الى قمم الجبل فوقنا مباشرة. وأشار بيده الى "سكالا ميتيكاس" (مرقى الابرة)، وهي أعلاها، والى "ستيفاني"، عرش كبير الآلهة زيوس. وطرَف عينه قائلا: "ان الآلهة طرقت تلك الذرى كلها أولا".

في المرحلة الأخيرة من رحلتي الى فوق صباح اليوم التالي، انطلقتُ في الوقت الملائم لمشاهدة شروق الشمس. واذا بها تبزغ من البحر كدرع برونزية متلألئة. ونفذ حرّها الى ظهري سريعاً. وحثثتُ الخطى صعداً حتى وصلتُ الى جرف عال. واذا بالجبل الأشم كله يبرز أمامي فجأة. ورأيتُ الى الغرب والجنوب أحواضاً متصلة يملأها الثلج وتتوّج كل حوض منها قمة مخروطيةُ الشكل. وعددتـُها فاذا هي ١٢ قمة تشكل كل منها أساساً لقصر أحد الآلهة.

وتسلقتُ أكثر، فعثرتُ على فوهة بركان قديم يملأها الثلج حتى عمقها بعدما كانت في الماضي تنبض بالسعير الذي خلـّتـُه نار الاله هفستوس مشرئبة من رئاته العشرين. في هذا المكان قدّ ذلك الحداد البارع الأعرج صولجان زيوس وتاجه المذهب، كذلك قميص اخيل المزرّد ودرع هرقل. وبعد ذلك خلق تلك المرأة المتلونة باندورا، لعنة الجنس البشري كله.

وفوق ذلك رأيت قمة سكوليو التي ترتفع ٢٩١١ متراً وقمة القديس أنطونيوس، وارتفاعها ٢٨١٥ متراً. والقمتان على بعد كيلومتر واحد من الأحواض الاثني عشر. وسرتُ نحوهما فرأيتُ آثاراً من الماضي، بينها بقايا مذابح وحطام كؤوس وقطع نقود عليها رسم الاسكندر الكبير، وكلها تشير الى وجود مقام للاله زيوس منذ الأزمنة الغابرة.

الخلود المستحيل – تابعتُ طريقي في معبر متعرّج، مخلفاً ورائي مشهداً لسهول ثيسالي الشاسعة التي يغلفها ضباب رقيق، حيث تحارب الآلهة والجبابرة الذين حكموا العالم قبلهم طوال عشر سنين لانتزاع السيادة. وسرت بحذر، مستعيناً بيدي، فوق أطراف الجبل المغطاة

بالزكام، مثيراً الفراش والغربان التي راحت أسرابها تطير مع الريح. وكان المعقل الأخير، وهو حصن ميتيكاس، على بضع خطى مني، غير أني ترددتُ في قطع تلك الخطى. ذلك ان رحلتي انا - على غرار الآلاف الذين تسلقوا الجبل قبلي والآلاف الذين سيتبعونني - ذات جذور عميقة في أرض الرموز والأساطير. انها محاولة لبلوغ الذروة العليا، أي الخلود. وشعرتُ بالندم وأنا أتسلق الأمتار القليلة الباقية. وهناك رأيتُ مرتفعاً خطراً يفصلني عن عرش زيوس المتقوس على هيئة قنطرة.

ووقفتُ أنظر تحتي فرأيتُ السحاب الكثيف يغلف الساحل والسهول. ونظرتُ الى فوق كأني أريد الحصول على أكثر. ولكن اذا كان ممكناً التسلّق الى أساسات قصر كبير الآلهة، فالرؤية لا تعود متيسرة من خلال سمائها الزرقاء المحجبة بالغيوم. وهكذا وجدتُ أنه لا بوابة تؤدي الى دار الخُلْد، حيث ينبغي ان تبقى الآلهة مترفعة عن عالم البشر الضعيف.

وأجفلتُ لدى سماعي صيحة صقر انقضّ عن جانبي الى الهوة تحت. وهو، لحسن الحظ، عَبَرَ عن يميني. وتذكرتُ أن رؤية الآلهة لم تُعْطَ إلاّ اناساً قلائل، لكنه كان في المستطاع رؤيتها من خلال ظواهر الطبيعة المختلفة التي اختارت الظهور عبرها.

وفجأة تجمعت الغيوم وأسدلت حُجُبها فوق عرش زيوس. وجاء الأوان الوقت ليغلق بوابة السماء. عندئذ قلتُ لنفسي: لقد حَقَّقْتُ حلمي، وها هو الوقت حان لعودة الفانين الى السفح.

■ فيليب تمبل

مكتب المستحيلات

علّقت الملاحظة الآتية في أحد محلات نيويورك الكبرى: "مكتب الشكاوى في الطابق ٤٥. المصعد معطل. الرجاء استعمال السلّم".

س.غ.

متعة السلم الطويلة

للوصول الى منزل صديقنا، علينا تسلّق سلّم طويلة وضيقة. وحين زرناه للمرة الاولى، كنا نتوقف بعد كل مجموعة من الأدراج لننظر الى الصور المعلّقَة على جدران السلم والتي تمثل متسلقي جبال واقفين عند أجراف سحيقة. وفي أعلى السلم قرأنا الملاحظة الآتية: "اذا كنتَ تشعر بالارهاق الآن، ففكر في متعة النزول".

ر.ر.

اللبوءة والنعاج

"يجب ان تقتلها"، قال صديقي،
"وان مرغماً··· وإلا فهي لن تكفّ عن العودة الى مزرعتك"

كانت البندقية الرائعة المتدلية من كتفي خير سلاح لاصطياد الأسود. فطلْقتها الثقيلة لا تتحوّل عن خطها اذا اصطدمت بالأغصان الصغيرة، ومنظارها ذو العدسة الكبيرة يؤمن مجالا واضحاً للرؤية، ويمكن حَشْوُها بأربع طلقات في وقت واحد.

ولئن يكن لزاماً عليّ الصيد، فاني أصطاد وحدي. واذا أطلقتُ النار، فأنا أريد ان أَقتل فوراً. إلاّ أني لا استمتع بالصيد ولا بالقَتْل.

لم تكن الشمس أشرقت فوق السلسلة الشرقية بعد، وكان لون السماء في ذلك الصباح الباكر يتأرجح بين الزرقة والسواد. وراحت الأمطار المتقطعة التي سقطت الليلة الماضية تنحدر جنوباً. وكان المطر هذا الاسبوع كسر الجفاف الطويل الذي حمل أُنثى الأسَد الى حظيرة خرافي.

ولو امطرت في ديسمبر (كانون الأول)، لما تركت تلك اللبوءة أرضها الشاسعة وجاءت الى حظيرتي.

(c) 1977 by Jack Curtis. Condensed from the Atlantic Monthly (September'77) Boston, Mass.

وليست مزرعتي الصغيرة في كاليفورنيا، التي ورثتُها أباً عن جد، شيئاً بالنسبة الى قفار فنتانا حيث تسرح وتمرح الوف الحيوانات البرية وخصوصاً الغزلان والأسود. غير ان الجفاف يقلل من تناسُل الأرانب فوق، على قمة الجبل. لذلك آثرت تلك اللبوءة الجائعة ان تقصد مزرعتي.

قبل ثماني سنوات تعرّضت المزرعة لحريق هائل أتى في بضع دقائق على ما تعهدتُه طوال عشرين سنة. وقرّرتُ، على أثر ذلك، ان أُطوّق المنزل بحزام من علف الماشية. وابتعتُ خمس نعاج لتأكل الأغصان المحترقة. وفي مطلع سبتمبر (أيلول) حملتُ النعاج الى دون برايتويل، زميلي المزارع الذي يحتفظ بكبش من صنف جيد. وكنت اؤمل أن يزيد عدد الكباش على الضعفين لدى حلول عيد ميلادي في يناير (كانون الثاني).

غير ان الريح تجري على غير ما تشتهي السُّفُن...

وجهان للحياة - عدتُ من موضع القتل وفي يقيني أنيّ لم أُدرك إحدى الحقائق المطلقة، وهي أن الشيء الذي نبغضه، كالشيء الذي نحبه، جزء من الحياة. ومهما تكن خليقتك تامة الجمال، فأنت لا تدري في أيّ ساعة يبرز وجهها الآخر.

قبل خمسة أيام فقط عملتُ بسهولة وعلى نحو نافع فوق الأرض التي عادت، على رغم الحريق وكتل الوحل، أفضل مما كانت. لقد كبر أولادي الأربعة وغادروا المنزل، وعادت زوجتي الى التعليم في مدرسة القرية الابتدائية المجاورة. أما أنا فكنتُ مزمعاً على غرس المزيد من أشجار الصنوبر على امتداد الطريق.

في ذلك الصباح الذي شهد المطر الأول لم تستجب سوى اثنتين من الشياه الصغيرة لدعوتي. وكانت كبراها قد أُعيدت الى الكبش الذي يملكه برايتويل، مما يعني ان اثنتين اخريين فُقدتا.

وظننتُ أنهما في مكان ما من المزرعة، وربما كانتا تَلِدان. وتوجّهْتُ الى خم الدجاج، ومن هناك رأيتُ شاة صغيرة مسودّة الوجه تتدلى فوق السّياج. وكانت قد مرّت ساعات على وفاتها. ووجدتُ عنقها مكسورة وقد نُحرت على يد جرّاح ماهر او حيوان مفترس.

ورحتُ أسعى الى الشاة الاخرى، محاولا ان أُمني النفس بأنها ما زالت حَيّة. وانحدرتُ بخطى كبيرة فوق الأغصان المقطوعة لأراها مقتولة داخل السّياج، تماماً كالأولى. مسكينة هي ورفيقتها! أمس أكلتا التفاح من يدي.

وشاهدت علامات على الأرض قَدّرتُ أنها خُطى كلب كبير، ضخم. وأعلمتُ زوجتي بالخسارة ودحرجتُ الجيفتين من قمة المنْحدر.

وقوّيتُ سياج احدى الحظائر الصغيرة ووضعتُ النعجتين الباقيتين فيها تلك الليلة. وكنتُ أتوقع أن يأتي الكلب المفترس ويوقظ كلابي، لكنّ شيئاً لم يحدث خلال الليل.

عينان كضوء القمر - في الصباح التالي أطلقتُ النعجتين لترعيا، وأعدتهما في المساء الى الحظيرة الآمنة. وحشوتُ بندقيتي علّ الكلب يأتي ليلا، وخلدتُ الى النوم. ولكن

ما لبثتُ أن أفقتُ مجفلا بعد دقائق على عواء كلابي. وانتشلتُ الضوء الكهربائي وخرجتُ عارياً من أي لباس، مسرعاً نحو الحظيرة. وكان قصدي كله التهويل على الكلب، لذلك نسيتُ ان احمل البندقية.

ولدى بلوغي الحظيرة صوّبتُ النور الكاشف الى قلب الظلام. وفجأة ظهرت عينان متألقتان كضوء القمر. ووقفتُ مشدوها أمام لبوءة جبارة أخذت تحدّق اليّ وهي ثابتة في مكانها. وتجلت ضخامتها ولونها الفضي الشاحب في ذلك النور، وبدت غير مكترثة وغير متسرعة... كلّ ما كان هناك كتلة مليئة بالحيوية تجري نحوي بتمهّل.

ووقفتُ عارياً تحت الرذاذ البارد، أُحدّق اليها في حركاتها وسكناتها. وبقيتُ صامتاً الى ان أصبحت على قاب قوسين مني. عندئذ أطلقتُ من مؤخر حنجرتي صوتاً شبيهاً بزمجرة الأسد.

وجمدت في مكانها، ثم استدارت نحو رزمة من الأغصان المقطوعة وفارقتني. وكانت كلابي مختبئة وقد روّعتها رائحة الحيوان المفترس. ولو ركضْتُ لكانت قتلتني في ثوان. إلا أن منظرها سحرني وسمرني في مكاني. والحق ان روعتها هي التي أنقذتني.

لكني بعد ذلك، وقد تأملت في حكمة الطبيعة وفلسفة الحياة والموت، لم أجد بداً من قتلها. فالنعجتان لم تستأهلا الموت. وهي صرعتهما لا لتأكلهما في المقام الأول، بل لأن قتل حيوان هلع كان يمدها باللذة.

لذلك ينبغي أن تموت اللبوءة.

وفي الصباح التالي قصصتُ الأمر على بيل ويذيراب، الشاعر الذي يسكن في جوارنا، فقال: "لقد رماها القَدَر بين أحضانك يا جاك. انها لبوءتك أنت". ورويتُ القصة نفسها على دون برايتويل، المعروف بلطفه، وأنا أستعيد منه نعجتي الكبيرة، آخر ما بقي لي من خراف الآن، فكان جوابه: "يجب ان تقتلها والا فهي لن تكف عن العودة الى مزرعتك. أجل، اقتلها وان مرغَماً".

الأشراك الخمسة – في النهار التالي بنيتُ قفصاً يكفي لايواء النعجة الباقية، وحفرتُ خمسة فخاخ على جانبي القفص من الخارج وسترتُها لئلا تدري اللبوءة بها، حتى اذا جاءت لافتراس الشاة الأخيرة كان لا بد من ان تضع مخلبها في واحد من تلك الفخاخ.

وانقضى الليل من غير ان تأتي. وفي الصباح جاء المسؤول عن الحيوانات البرية بعدما سمع بقصة اللبوءة. وقال ان عليه فحص النعاج النافقة للتأكد من أنّ أَسَداً افترسها قبل السماح لي بقتل المعتدي. ولم أُخبره أني نصبتُ خمسة أشراك لتلك الغاية.

وأخذتُه تحت المطر الذي عاد الى السقوط، نحو التلة التي رميتُ النعاج منها. وكانت اللبوءة أتت على جزء من احدى النعاج. وهذا أعطى المسؤول ذريعة ليقول انه سيصدر أمراً الى ديف باترفيلد لقتل الحيوان المعتدي.

وصليتُ لكي تأتي اللبوءة الى فخاخي تلك الليلة. فهي "لبوءتي"

كما قال بيل ويذيراب، ويجب ان تنال عقابي.

وكان نومي خفيفاً، لكن كلابي لم تنبح. وأفقتُ صباحاً لأجد الفخاخ على حالها. ووصل ديف باترفيلد ليتولى العمل عني. وكانت النعاج النافقة حُملت الى مسافة أبعد. وهذا يعني ان اللبوءة اغتذت عليها الليلة الماضية عوضاً عن صعود التلة والمجيء لقتل نعجتي الأخيرة.

وجرّ ديف النعاج الملتَهَمة جزئياً الى حدود الأغصان المقطوعة، ونصب خمسة أشراك جعل في طرف كل منها سلسلة يبلغ طولها متراً واحداً، وعلق في كل منها عقيفة من فولاذ. ثم رشّ طبقة خفيفة من التراب المبلل بالماء على الاشراك الخمسة.

وعلى رغم أني لم أتفوه بكلمة تدل على أني أعتبر اللبوءة "ملكاً" لي، إلا ان ديف بادرني قائلا: "اسمع يا جاك! لماذا لا تأتي صَباحاً الى هنا وتقتل اللبوءة بنفسك؟ انك بهذا تعفيني من رحلة طويلة قد تكون غير ذات جَدوى اذا لم تأتِ اللبوءة. وفي أيّ حال، خابرني بما يَحصل".

- ان هذا يسعدني يا ديف.

على طريق الصَّباح - تلك الليلة حشوتُ بندقيتي وشحذتُ سكيناً يبلغ طولها عشرة سنتيمترات. وأدرتُ المنبه على الساعة السادسة قبل ان آوي الى السرير. وصادف ذلك اليوم عيدُ ميلادي الخامس والخمسون.

وأسعدني ان أسمع رنين الساعة يخترق الظلمة. ولم أعرف تماماً الى أين سيحملني ذلك الصباح، لكني كنتُ واثقاً من أنه سيأخذني الى اللبوءة، وأني سأصرعها سَواء أكان قتلها مبرراً لديّ أو بقي من غير تبرير خُلُقيّ.

ان الحياة ضمن مزرعة مستحيلة ما لم نتمكن من اتخاذ قرارات. وإذا لم تستطع القتل، فعليك السكن في المدينة أو ضواحيها وتذكُّر حياتك الماضية.

أما أنا فكنتُ اتخذتُ قراري. وكانت الليلة المنصرمة باردة وماطرة. وفحصتُ أولا الاشراك التي نصبتُها بجانب الحظيرة، فوجدتُها على حالها. وتابعتُ طريقي منحدراً في محاذاة التلة. وكان يملأني شعور بأن التلة ملكي وان انفجار الصباح من الليل كله لي. وكان العالم نائماً فيما دخلتُ أنا والقطة الكبيرة المفترسةَ عالماً يشبه الحلم.

وكانت الجثث في مكانها، أما الأرض فبدت فيها آثار مخالب ضخمة. ونظرتُ فرأيتُ أربعة فخاخ، مما يعني ان اللبوءة حملت واحداً منها وانطلقت به. وثارت في مخيلتي الصورة التي شاهدتُها قبل ليال ثلاث - صورة تلك الكتلة الهائلة أمام الحظيرة.

وقلتُ لنفسي: "لا تقترف أيّ خطأ يا جاك. وافترض أنها انطلقت أولا عبر التلة لئلا يعلق الشرَك في الاغصان المقطوعة". ونظرتُ علني أرى آثار مخالبها، لكني لم أبصر شيئاً. فتابعتُ مخاطباً نفسي: "ينبغي ان تكون تسلقت التلة أو انحدرت منها أو دخلت الاجمة".

وصعدتُ الى التلة أول الأمر، لكني لم أعثر على أثر. ومن هناك أجلتُ

النظر وراء الاشراك، فلم أُبصر سوى الأغصان المقطوعة والصخور. ونظرتُ الى الغرب مباشرة لأرى بقعة يملأها نبات الترمس بكثافة. وهو من الارتفاع بحيث يمكن اختفاء اي شيء داخله. وقلت لنفسي: "انها ضمن تلك الأجَمة يا جاك".

أجل، انها لبوءتي - ترى هل أتعقبها أم أعود الى المنزل وأستدعي ديف؟ ومثلت أمامي الأحداث التي أدت الى ذلك الموقف: كانت الخراف خرافي والأرض بلا شك أرضي. لذلك، فاللبوءة هي لبوءتي أيضاً.

وشققتُ طريقي ببطء نحو رزمة الأغصان المقطوعة التي يغطي ارتفاعها قامتي، فيما راح قلبي يقرقر مثل راووق (ابريق) قهوة. وكان الغصن المقطوع غاب عن نظري وأنا أنحدر على التلة. لكني رأيتُه وأنا اتسلقها.

ها أنا أخيراً على الطريق الصحيح. ولكن كم من الوقت انقضى على عبورها ذلك المكان؟ أهي ساعات ام دقائق؟ لست ادري. وكل ما يمكنني فعله هو تتبع اثر الغصن المسكور على مهل.

وحملتُ البندقية المصلية بكلتا يديّ. وتقدمتُ بحذر محاولا المحافظة على صبري ورباطة جأشي، من غير احداث أيّ صوت.

ومررتُ أمام بقعة من نبات الترمس الذي سُحق الى الأرض. وكان ذلك دليلا على أن اللبوءة اصطدمت هناك بعقبة غير متوقعة وبقيت فترة طويلة تحاول تحرير العقيفة. ورأيتُ العصافير تطير وهي تُحدث أصواتها الصغيرة... "لقد اصبحتُ على مقربة منكِ أيتها القطة الضخمة".

وعلى رغم اني لم أسمعها أو اشم رائحتها، إلا أني كنتُ واثقاً من وجودها هناك، على ثلاث خطوات أو أربع مني. وركعتُ بهدوء على ركبة واحدة كيما يتسنى لي النظر عبر الأوراق. ورأيتُ تحت الأغصان المقطوعة جسماً بني اللون يتحرّك. وقلتُ لنفسي: "على مهلك يا جاك، لا تحشرها".

واهتزت الأغصان قليلا، ورأيتُ أذناً تتحرك خَلْفها. ثم رأيتُ خطمها الأسود واحدى عينيها، وبعد ذلك رأسَها كله. واستدارت نحوي فرأيتُ فكيها وأنفها، ووقفت تحدّق اليّ بعينيها من بين الأغصان.

ولم أرَ في تينك العينين غَضَباً ولا حزناً، بل رأيتُ استسلاماً تاماً مهيباً.

ورفعتُ البندقية الى كتفي ووجهتُ المنظار ليتوسط عينيها. وفكرتُ هنيهة وجيزة أَطلقتُ بعدها الزناد، فخرّ رأسها أرضاً.

ووقفتُ على قدميّ وسرتُ نحو الأغصان. وهناك رأيتُ الشرَك مطبقاً على اصبعين من قائمتها الأمامية اليمنى. لقد كانت لبوءة كبيرة تامة البنية، وقائمتاها الأماميتان بضخامة هراوتين. لكنها اضطجعت هناك وقد فارقتها الحياة.

ولم افكر تلك اللحظة في أنها قتلت نعاج مزارع هرم. وبقي الأمر المهم سراً بيني وبينها.

■ جاك كورتيس

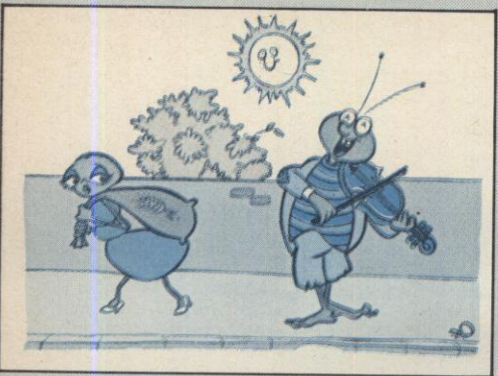

حديقة أفكار

■ نحن نمسح الغبار من غير ان ندري انه غبار النجوم الذي حملته الريح الينا. ونشرب الماء من غير ان ندرك انه عصارة الكون.
ايهاب حسن، من كتاب "نقدات جانبية"، مطبعة جامعة ايلينوي

■ العلاقات السياسية الخارجية، كالعلاقات الانسانية، لا تنتهي، لان حلّ مشكلة منها يفضي الى مشكلة أخرى.
ج.ز.

■ ما من شخص بلغت به الحماقة حداً بات يظنّ معه انه يستحق النجاح في أي حقل. لكن الجميع يظنّون انهم اهل للنجاح في حقل الزواج.
س.هـ.

■ فنّ التطبيب يعني المحافظة على معنويات المريض في حين تتولى الطبيعة ابراءه.
فولتير

■ أعظم المواهب هي عدم استعمال كلمتين اذا كانت كلمة واحدة تكفي.
توماس جفرسون

■ دع الآخر يكتشف من أنت. فهو عندئذ سيذكرك وقتاً أطول.
صحيفة "وول ستريت جورنال"

■ النجاح بلا كرامة كالطعام غير المتبل: انه يسد الرّمق، لكنه غير لذيذ.
ج.ب.

■ إنّ مقداراً ضئيلا من المعارضة عون كبير للانسان: انظر الى طائرة الورق كيف ترتفع ضد الريح.
ج.ن.

١٢ تمرينًا لتنحيف الوركين

اذا كنت لا تمارسين الرياضة فمن السهل جداً ان تستوعبي وحدات حرارية تفوق ما تحرقين منها · فما العمل، اذاً، للتخلص من الوزن الزائد؟ ان الغرض من التمارين الاثني عشر الاتية، والخاصة بالوركين والفخذين، هو حفز ٢٢ عضلة مختلفة في كل جانب من الجسم على التمدد والتقلص، من دون تعريض العمود الفقري لضغط لا لزوم له·

ان تقلص العضلات يمنح الجسد نشاطاً وقوة لمقاومة الترهل ولتحسين القوام· اما تمدد الياف العضلات والاوتار والاربطة المتعلقة بها فيزيد من المرونة عند المفاصل ويساعد، في الوقت نفسه، على احتراق الوحدات الحرارية· فتكون النتيجة قواماً رشيقاً متناسقاً، الى جانب ازدياد سلامة الاوعية الدموية· ذلك لأن عضلات الوركين والفخذين تضخ الدم من القدمين والاطراف السفلى، عبر الشرايين، الى القلب·

قبل بدء التمارين عليك مراعاة النصائح الاتية:

– راجعي طبيبك قبل الشروع في اي برنامج تمريني· واذا سبق لك ان تعرضت لمشاكل في الظهر فقد ينصحك الطبيب بعدم ممارسة التمارين ٦و٧و١٠·

– مارسي التمارين يومياً·

– خصصي مكاناً معيناً للتمارين يشتمل على مساحة كافية لحركات الرفس وأرجحة الساقين· وستحتاجين ايضاً الى كرسي وبعض الملابس الخاصة مثل البيجاما وبذلة السباحة·

– كرري كل تمرين عشر مرات· واذا استعصى عليك احد هذه التمارين فيستحسن تكراره اقل من عشر مرات الى ان تقوى عضلاتك· ومع استقرار مستوى لياقتك البدنية وازدياد تناسق عضلاتك يمكنك ان تضاعفي تكرار التمارين الى ٢٠ مرة· وعندما يكتمل تكيفك مع كل تمرين واظبي عليه بنشاط من دون توقف او فترات استراحة· انتقلي من تكرار الى آخر ومن تمرين الى تمرين بسرعة وانتظام·

١• قفي وقدماك متباعدتان مسافة متر واحد، مرخية ركبتيك (تكون الساقان مستقيمتين ولكن غير مشدودتين)• ارفعي ذراعيك فوق رأسك على ان تمتد الراحتان في اتجاه السقف وتتشابك اصابعهما• تمطي الى أعلى مع ابقاء عقبي قدميك ملتصقين بالارض، على ان يقع معظم الثقل على النتوء المستدير عند قاعدة الابهام• انحني بارتخاء الى الامام والى اسفل مع ثني ركبتيك• حاولي لمس ظهرك عبر الساقين مقدار الامكان (راجعي الصورة) وارتفعي بجسمك فوراً الى وضعه الاول• تجنبي تقوس الظهر•

٢• قفي، وقدماك متباعدتان مسافة متر واحد، مرخية ركبتيك• انحني الى الامام انحناء شديدا تاركة رأسك والقسم الاعلى من جسمك مدليين الى اسفل، مع المحافظة على ارتخاء القسم الاعلى من الجسم، ومن دون اي ضغط على ظهرك• اديري كتفيك ومدي يدك اليسرى الى اليمين محاولة لمس الجانب الايمن من قدمك اليمنى•

٣• قفي خلف كرسي وملتصقة به• ضعي كلتا يديك فوق ظهر الكرسي متجنبة الاتكاء عليه• ولتكن الساقان متباعدتين نحو متر على ان تتجه الركبتان وأصابع القدمين جانبا• اثني ركبتيك والقسم الاسفل من جسمك ما استطعت (الصورة) ثم عودي الى وضعك الاول• تصوري ان ثمة جداراً امامك، فتجنبي مسح الجدار بركبتيك او رأسك او صدرك خلال هذا التمرين•

٤• ابقي ثانية ركبتيك مقدار الامكان من دون الرجوع الى الوضع الذي انطلقت منه في التمرين الرقم ٣ اعلاه، وتذكري وجود الجدار• "انزلقي" على الجدار الوهمي بوركيك والقسم الاعلى من جسمك الى اليسار، من دون تحريك قدميك ومع زيادة انحناء ركبتك اليسرى، الى ان تصبح ركبتك اليمنى مستقيمة تماما ويقع معظم ثقلك على قدمك اليسرى (الصورة) اثني ركبتيك من جديد ثم "انزلقي"

الى اليمين حتى تصبح ساقك اليسرى مستقيمة. كرري هذه الحركة بلا توقف على عدد المرات التي حددتها لهذا التمرين.

٥. ابقي قريبة من الكرسي ولا تستعمليه الا لحفظ توازنك. قفي مستقيمة وقدماك متلاصقتان وركبتاك مرتخيتان. ثبتي عقبي قدميك على الارض وركزي ثقلك على النتوء البارز عند قاعدة ابهامي القدمين. ارفسي باحدى رجليك جانبياً مع ابقاء القدم منبسطة وتوجيه الركبة ومقدم القدم الى الامام (الصورة). لا تدعي القسم الاعلى من الجسم يميل في اي من الاتجاهين وتجنبي مسح "الجدار" بالركبة او بالفخذ. ارفسي الى اعلى ما استطعت. ابقي اصابع قدميك

متجهة الى الامام وكرري هذا التمرين بسرعة من دون التوقف عند وضعك الاول. كرري الحركة نفسها بالساق اليسرى.

٦. قفي مواجهة جانب الكرسي مع تباعد القدمين مسافة تراوح بين متر ونصف متر. انحني الى الامام عند الخصر وامسكي مقدم مقعد الكرسي بيد واحدة، مع الاحتفاظ باستقامة المرفق، على ان يكون وضع الكتف فوق اليد. استندي بساعد يدك الاخرى على ظهر الكرسي. ضعي ثقلا كافياً على الكرسي بحيث لا تشعرين بأي اجهاد في القسم الاسفل من الظهر. ابسطي قدم احدى ساقيك وارفسي تلك الساق الى اعلى، ومن الخلف، مقدار المستطاع (الصورة) شرط عدم تحرك الورك الى اعلى او جانبياً. اعيدي ساقك فوراً الى وضعها الاول. كرري هذه الحركة بسرعة ومن دون توقف، ثم انتقلي الى الساق الاخرى.

٧. قفي مستقيمة ومواجهة جانب الكرسي. وامسكي اعلى ظهر الكرسي باليد الاقرب اليه. ارفعي الركبة المقابلة قريباً من الصدر محاولة الاحتفاظ بتوازنك على قدم واحدة. امسكي رسغ القدم او ظهرها (المشط) واجذبيها نحوك بقوة. احتفظي بذلك الوضع واخفضي ركبتك الى ان تصبح في مواجهة الارض مباشرة. انحني الى الامام واسحبي الساق الى اعلى، من الخلف، ما استطعت (الصورة). في الوقت نفسه ادفعي الرسغ بشدة نحو يدك ثم سوي ركبتك مقدار المستطاع. حاولي الاحتفاظ بتوازنك على قدم واحدة ولا تستعملي

الكرسي الا في هذا السبيل. وبعد بلوغ قمة هذه الحركة -عودي فورا الى وضعك الاول. اعيدي الحركة نفسها بالساق الاخرى.

٨. قفي على مسافة متر أو ١٢٥ سنتيمتراً من مقدم الكرسي، ولتكن ساقاك مستقيمتين ومتباعدتين مع توجيه القدمين الى الامام وعدم شد الركبتين. انحني الى الامام وضعي ساعديك (المرفقين والراحتين) على مقعد الكرسي. سوي وضعك بحيث لا يميل الوركان الى الامام او الى خلف

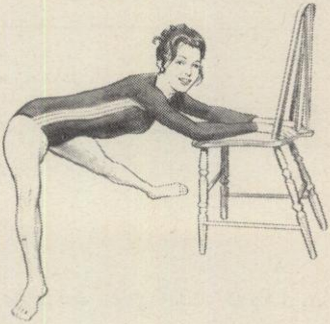

قدميك فلا تشعرين باي انزعاج. حركي الوركين الى اليمين مع توجيه الركبة اليمنى الى اليمين وثنيها ثنياً عميقاً (الصورة). خلال هذه الحركة يجب ان ترتكز القدم اليمنى على العقب كي تتجه اصابعها نحو اليمين فيسهل على القدم اليسرى ان تميل على جانبها الايمن. تمطي بثبات وعودي فوراً الى وضعك الاول. كرري هذه الحركة الى اليسار.

٩. تمددي على ظهرك وضعي يديك تحت الردفين مع تركيز الراحتين على الارض.

ولتكن احدى الساقين مستقيمة واصابع قدمها متجهة نحو السقف، بينما الركبة الاخرى مثنية والقدم منبسطة على الارض. ارفسي برجلك الى اعلى مقدار المستطاع بحركة واحدة سريعة ورفيقة (الصورة). كرري ذلك من غير ان تتوقفي عند وضعك الاول. اعيدي الحركة نفسها بالساق الاخرى.

١٠. تمددي على جانب واحد رافعة القسم الاعلى من جسمك ومستندة الى القسم الادنى من ساعد اليد العليا وراحتها، على ان تكون الساقان مستقيمتين ومتلاصقتين. اثني ركبتيك بحيث يمتد القسم الاسفل من كل ساق خلفك في زاوية قائمة. تجنبي تحريك الساقين الى

الامام عند الخصر. استرخي وحافظي على ظهرك في وضع مريح. ارفعي ساقك العليا بسرعة ثم اخفضيها (الرسم). كرري هذه الحركة بأقصى سرعة ممكنة رافعة ساقك الى اعلى المستطاع.

١١. اجثمي على يديك وركبتيك. ضعي ساعديك على الارض ضامة

يديك. انحني الى اسفل والقي رأسك على يديك. سوي ركبتيك مبقية قدمك على الارض ارفسي الساق المستقيمة الى الخلف والى اعلى مقدار المستطاع (الصورة) وانزليها فوراً مع الابقاء عليها مستقيمة. تجنبي التوقف عند وضعك الاول خلال الرفسات السريعة والتكرار المتواصل. اعيدي الحركة بالساق الاخرى.

١٢. قفي، وقدماك متباعدتان قليلا، مرخية ركبتيك. انحني الى اسفل لامساك مؤخر رسغيك. تمطي برفق الى اسفل محاولة "تقبيل" ركبتيك (الصورة). حاولي المحافظة على هذا الوضع بينما انت تعدين الى العشرة. كرري هذا التمرين مرة واحدة فقط، ثم استرخي وتنفسي على نحو عادي.

■ **جيم ايفررود ولونا موسوف**

جيم ايفررود مدرب رياضي سابق ومؤلف الكتاب الرائج "كيف تقوي عضلات معدتك".
لونا موسوف هي عضو في الكلية الامريكية للطب الرياضي. وتدرس اللياقة البدنية.

لدي فكرة جديدة بالنسبة الى الذين يحاولون انقاص وزنهم، وهي ابتكار ثلاجة تريك وزنك كل مرة تفتح بابها.

ر.ك.

البداية والنهاية

نلوم الشباب لأنهم يعتقدون ان العالم يبدأ بهم، وننسى ان الشيب يعتقدون على نحو أقوى ان العالم سينتهي بهم.

ف.هـ.

عبقرية المرأة

في أمستردام (هولندا) اقام رجل أعمال حفلة على شرف سكرتيرته الخاصة لدى تقاعدها بعد ١٢ سنة من الخدمة. ولشد ما فاجأه أن يرى سكرتيرتين خاصتين بدلا من واحدة. واعترفت الشقيقتان التوأمان بأنهما تقاسمتا العمل طوال ذلك الوقت. فكانت احداهما تعمل صباحاً والاخرى بعد الظهر، ثم تقتسمان الراتب.

ا.و.هـ.

سنديانة الشتاء

نزهة قصيرة وسط الغابة برفقة صبي صغير كشفت للمعلمة الشابة تلك البراءة التي تشد الانسان الى الطبيعة

كان ذلك الصباح من يناير (كانون الثاني) مشمساً ومنعشاً غمر المعلمة الشابة بالسعادة. ومع انها جاءت الى قرية اوفاروفكا، فور تخرجها في الجامعة، قبل عامين فانها باتت تعتبر افضل معلمي الروسية في المنطقة. كان الناس يعرفونها في اوفاروفكا وفي كوزمينكي وفي قرية السكين السوداء وفي المستوطنة النائية ذات البيوت المبنية من الخشب المتفحم. وكانوا يدعونها آنا فاسيلييفنا، مضيفين اسم عائلتها اظهاراً لاحترامهم لها.

Condensed from the Atlantic Monthly (September '79). (c) 1979 by the Atlantic Monthly Co., Boston, Mass.
Illustration: David Craig

كانت المدرسة مبنى قرميدياً مؤلفاً من طبقتين، ذات نوافذ واسعة مكسوة بالجليد، وتلقي جدرانها على الثلج ظلا ضارباً الى الحمرة.

"صباح الخير يا آنا فاسيلييفنا!" جاءت التحية من بعض الاولاد بأصوات واضحة مدوية، بينما خرجت من افواه الآخرين مكبوتة خلف شالات سميكة تلف الوجوه الفتية.

كانت الحصة الاولى من الدرس لاحداث في الثانية عشرة والثالثة عشرة من اعمارهم. نهض الاولاد وحيوها، ثم جلسوا في مقاعدهم. وقالت آنا: "سنواصل دراسة اقسام الكلام". وتذكرت كم كانت عصبية المزاج خلال هذه الامثولة السنة الماضية. اما الان فأحست بالثقة تتدفق في جسدها وبدأت تتكلم بصوت هادىء وثابت: "الاسم يشير الى موضوع ما، الى شخص او شيء او صفة. والموضوع هو اي شيء تستطيع ان تطرح حوله السؤال: ما هو؟ او من هو؟ من هو؟ - تلميذ. ما هو؟ - كتاب".

"هل تأذنين لي بالدخول؟".

صبي قصير القامة كان ينتعل جزمتين باليتين من اللباد ويقف في الباب. وتوهج الوجه المستدير الذي حمرته الريح كأنه سينفجر. وكان الحاجبان أبيضين من الصقيع.

- تأخرت ثانية يا سافوشكين.

كانت آنا متشددة مع الاولاد، الا ان صوتها الآن تخللته نبرة شبه حزينة. وانزلق سافوشكين بسرعة الى مكانه. كان تأخره في القدوم يزعجها لانه يفسد البداية الرائعة للنهار.

وسألت الاولاد: "هل كل شيء واضح؟" فأجابوا بصوت واحد: "نعم!".

- حسناً. اعطوني بعض الامثلة. وقال احد التلاميذ متردداً: "هر".

- صحيح.

واكمل التلاميذ: "نافذة، طاولة، منزل، طريق...".

- كفى. ارى انكم فهمتم الاسم.

وفجأة نهض سافوشكين كأنه استيقظ لتوه من النوم، وصرخ متلهفاً: "سنديانة الشتاء!".

فضحك الاولاد. وزجرتهم آنا: "سكوت!" وضربت راحة يدها بشدة على الطاولة.

وقال سافوشكين ثانية: "سنديانة الشتاء!" غير عابىء بالضحك حوله او بأمر آنا. تفجرت كلماته مثل الاعتراف، مثل سر مجيد لم يستطع الا ان يشارك فيه الآخرين.

وعيل صبر آنا ولم تفهم. فسألته: "لماذا سنديانة الشتاء؟ يكفي ان تقول: سنديانة".

"سنديانة وحدها اسم عديم الاهمية. اما سنديانة الشتاء فاسم جميل!".

- اجلس يا سافوشكين. هذا ما يؤدي اليه التأخر في الحضور. السنديانة اسم، ولم ندرس بعد ما هو "الشتاء" في هذه الحال. تعالَ الى غرفة المعلمين خلال فترة الاستراحة.

عالم مسحور - حين دخل سافوشكين غرفة المعلمين، بادرته آنا: "اجلس واخبرني لماذا تأتي متأخرا على الدوام".

فقال: "لا اعلم في الواقع يا آنا فاسيلييفنا. انا اغادر البيت قبل بدء الدروس بساعة".

ـ انت ساكن في كوزمينكي يا سافوشكين، اليس كذلك؟

"كلا، فأنا اعيش في مباني المصح".

ـ اذاً، الا يخجلك ان تخبرني انك تغادر بيتك قبل بدء الدروس بساعة؟ فالمصح لا يبعد عن الطريق الا ١٥ دقيقة، ولا تزيد مسافة الطريق على نصف ساعة مشياً!.

"لكنني لا اتبع الطريق العام ابداً، بل اسلك درباً مختصراً عبر الغابة".

ـ هذا ليس مقبولا يا سافوشكين. يجب ان اتحدث الى والديك عن الامر.

فقال سافوشكين برقة: "ليس هناك غير امي يا آنا فاسيلييفنا".

واحمر وجه آنا ارتباكاً. وتذكرت ام الصبي: امرأة ذابلة تجلى في وجهها التعب، تعمل في قسم العلاج المائي في المصح. زوجها قتل في الحرب فربت اولادها الاربعة على افضل ما تستطيع. ولديها ما يكفي من الهموم، فلا داعي الى اقلاقها في شأن سلوك ابنها. ولكن لا بد من ان تجتمعا. وقالت آنا: "علي ان اقابل امك. في اي مناوبة تعمل؟".

"تبدأ العمل في الثالثة".

ـ حسناً. انا انتهي من العمل في الثانية. سنذهب سوية بعد المدرسة مباشرة.

قاد سافوشكين معلمته عبر الدرب خلف المدرسة. وفيما دخلا الغابة وانغلقت خلفهما اشجار البيسية (★) الكثيفة المثقلة بالثلج، وجدا انفسهما في عالم ابيض مسحور من السلام والسكينة. ورافق الدرب جدول متجمد، وظهرت هنا وهناك آثار قوائم الارانب البرية وآثار اكبر حجماً في شكل ورقة البرسيم. وقال سافوشكين: "انه ظبي إلالكه".

وسألته آنا: "هل رأيت هذه الظباء يوماً؟".

فتنهد سافوشكين وقال: "الالكه؟ كلا، لم يحالفني الحظ ابداً".

الحارس الصغير ـ وبلغا فسحة شاسعة يغمرها نور الشمس، وفي وسطها انتصبت شجرة قديمة باسقة في حلة بيضاء متألقة. وملأ الثلج شقوق الشجرة فبدا جذعها الهائل كأنه مطعم بالفضة. وشهقت آنا: "سنديانة الشتاء!" واقتربت من الشجرة وتوقفت تحت اغصانها المتلألئة.

لم يدرك سافوشكين ما جاش في صدر معلمته من اضطراب، بل انشغل بشيء ما عند اسفل الجذع كأنما تربطه بالشجرة الرائعة صداقة قديمة العهد. ثم صاح: "تعالي يا آنا فاسيلييفنا وانظري!" ودفع جانباً كتلة كبيرة من الثلج علق بها تراب وعشب قديم، وفي التجويف تحتها رقدت كرة صغيرة التصقت بها اوراق بالية. فصرخت آنا: "قنفذ!".

وبكثير من العناية اعاد سافوشكين غطاء التراب والثلج الذي يحمي الدابة. ثم حفر في بقعة اخرى ليكشف كهفاً صغيراً تتدلى عند بابه كتل جليدية. وكانت تحتل الكهف ضفدع بنية اللون لا تتحرك. وقال الفتى: "يا لها من ماكرة! تتظاهر بأنها ميتة. أنظري كيف ستقفز حالما تدفئها الشمس قليلا".

(★) شجر من الفصيلة الصنوبرية

وتوغل الصبي ومعلمته في العالم الذي يحيط بخفاياه. في سنديانة الشتاء وحولها كانت السحالي والحشرات تمضي سبات الشتاء. واختبأ بعضها بين الجذور وبعضها الآخر عميقاً في اللحاء. وراحت آنا تراقب بافتتان.

وسمعت صوت سافوشكين القلق: "آه. لا بد أن امي بدأت العمل الان!".

نظرت آنا الى ساعتها، فاذا بها تشير الى الثالثة والربع. ورمقت السنديانة بخجل من يطلب المغفرة وقالت: "حسناً، يا سافوشكين. كل ما يثبته هذا هو ان الطريق المختصر ليس دائماً افضل الطرق. عليك ان تتبع الطريق العام من الآن فصاعدا".

وأطرق سافوشكين ولم يجب. ففكرت آنا: "يا للسماء! أليس هذا اوضح دليل على عجزي!" ثم قالت: "شكرا يا سافوشكين على هذه النزهة الرائعة. انا لم اعن ما قلته لك قبل لحظات. ولك ان تسلك درب الغابة الى المدرسة".

اراد سافوشكين ان يعدها بأنه لن يتأخر ثانية قط، لكنه خشي الا يستطيع الوفاء بوعده. فرفع ياقته وخفض قبعته وقال: "سأرافقك الى المدرسة".

- كلا، يمكنني ان اجد الطريق بنفسي.

ومضت في طريقها ملتفتة الى الوراء لتلقي نظرة اخيرة على سنديانة الشتاء قد اضفت الشمس الغاربة عليها لوناً ورديا خفيفاً. ووقف عند قاعدة الجذع صبي صغير. لم يذهب سافوشكين الى بيته، بل مكث ليحرس معلمته وان من بعد.

وأدركت آنا ان اروع ما في تلك الغابة لم يكن سنديانة الشتاء بل، هذا الفتى الصغير في جزمتي اللباد الباليتين والثياب الرثة، ابن عاملة مصح وجندي استشهد في الحرب.

■ **يوري نجيبين**

***

عندما يتحرر الاطفال

اعتاد أحد أندية مدينتنا ان يقيم حفلة للاطفال في بداية كل سنة. وصادف ان تعرفتُ الى رجل شبه مقعد في الستين من عمره يعيش مع زوجته وأولاده الخمسة حياة بائسة في بيت حقير يبعد ٣٠ كيلومتراً عن المدينة. وكانت أعمار اولاده تراوح بين الثالثة والثانية عشرة، فقررتُ ان ادعو الثلاثة الكبار منهم الى حفلة النادي المقبلة. وفي بداية السنة اخذتُ الاولاد الثلاثة معي بعد اقناع زملائي في ادارة النادي باستقبالهم. وكانت المرة الاولى التي يزورون المدينة.

ولبس الأولاد أفضل ما لديهم من ثياب، لكنهم كانوا بلا جوارب وأحذية. ولدى وصولي الى مكان الحفلة، تركتهم في السيارة ودخلت القاعة لارى الاولاد يلهون ويرتدون أجمل الملابس والجوارب والأحذية. وشرحتُ الموقف لمدير النادي الذي قال انه على استعداد لاستقبال الاولاد الثلاثة. ولكم كانت دهشتي كبيرة عندما دخلت وإياهم لارى نحو ثمانين طفلا يمرحون ويصخبون، وقد خلعوا جواربهم وأحذيتهم التي لم أُبصر أثراً لها.

د.ف.

رهان طبيب

كانت الشابَّة مهدَّدة بالموت ما لم تُجْرَ لها جراحة في الدماغ. لكن الجراحة نفسها لم تكن أقل خطَراً

عندما أدخلت كارمن شابارو غرفة العمليات على كرسي ذي عجلات صباح ذلك اليوم من يونيو (حزيران) ١٩٨٠، رأت الدكتور رودجر كاونتي ينظر اليها والبسمة تعلو وجهه الوسيم. وقال لها جراح الاعصاب الشاب: "كل شيء سيكون حسَناً". فأجابت: "أجل، أجل! إني أثق بك يا دكتور". وأومأ كاونتي برأسه لاختصاصي التخدير، اشارة الى ان الوقت حان.

وكارمن شابارو فتاة خجولة في السادسة عشرة، من قرية أغوادا الساحلية الصغيرة في بورتوريكو (أمريكا الجنوبية)، التي يعيش أهلها على صيد السمك. وقد عانت الفتاة، منذ ما كانت في الثالثة، نوبات صداع حادة جعلتها تُنْشِب يديها في رأسها وتفقد الوعي. وعاودتها تلك النوبات مرات عدة في الاسبوع خلال السنوات الخَمس الاخيرة. واضطر ذووها الى إبقائها في البيت، مما عزلها عن الناس وولَّد لديها روحاً من الكآبة والخوف. وقدَّر الاطبَّاء أنها مصابة بالصرَع، ووصفوا لها عقاقير لم تُجْدِ.

وعجزت ماريا، والدة كارمن، عن مساعدة ابنتها بأكثر من الصلاة

اليومية، وهي الأرملة التي تعيل اثني عشَرَ ولداً. وكان أن عاد ابن معلم القرية من أحَد المستشفيات الامريكية وقد شُفي من داء في قلبه. وقالت ماريا ان تلك علامة من الله على انها يجب ان تأخذ ابنتها الى الولايات المتحدة ليتحقّق لها الشفاء.

وباعت قطع الاثاث في منزلها المستأجَر بمبلغ ٦٠٠ دولار. وكان هذا كافياً لتغطية تكاليف سفرها مع كارمن واثنين من أولادها الصغار. أما الآخرون فحفظتهم لدى أنسبائها.

وحطّ آل شابارو رحالهم - وهم لا يعرفون اللغة الانكليزية - في منزل خوان، شقيق ماريا، وهو عامل مصنع في مدينة نيوارك من أعمال نيوجيرسي، حيث أُدخلت كارمن مستشفى قريباً. وقدّر الاطباء هناك أنها مصابة بورم خبيث في الدماغ، وأرسلوها الى رودجر كاونتي، وهو جراح أعصاب في مستشفى كلية الطبّ التابع لجامعة نيوارك.

وقصّت كارمن على كاونتي، عن طريق مترجم، تفاصيل محنتها وهي تتلعثم. وراحت عيناها تتحركان سريعاً يميناً ويساراً والى أسفل. لكنهما لم ترتفعا الى أعلى الا قليلا. وذلك جعل كاونتي يستنتج ان هناك ضغطاً على القسم الاوسط من الدماغ وطلب اجراء عدد من الفحوص بينها تصوير الاوعية الدموية داخل الدماغ. وحُقنت تلك المنطقة بصباغ يلون الاوعية الدموية لجعل تصويرها بالاشعة ممكناً.

قنبلة موقوتة - انتاب كاونتي الذعر وهو يفحص صور الأوعية الدموية. فقد عثر على كيس من الدم، وهو في حجم ثمرة برتقال، يتوسّط نصفي الدماغ لدى كارمن ويتدلى تحت الشريط الليفي. ولم يكن يعرف بوجود تمدّد في ذلك الحجم للاوعية الدموية داخل الدماغ، وهو انتفاخ يوشك ان ينفجر. وقال لنفسه: "هذه الفتاة تحمل قنبلة موقوتة في رأسها".

وفي اليوم التالي أخذ كاونتي الصوَر الى اجتماع اسبوعي للاطباء يتلاقى فيه جرّاحو المستشفى وطلابه المختصون وجراحو الاعصاب المحليون. وأجمع الاطباء على ان الحال مستعصية على الجراحة.

وانبرى كاونتي قائلا: "انها ستموت ما لم نفعل لها شيئاً. ولا بد من ان ينفجر ذلك الانتفاخ في الرأس في يوم أو شهر او خمس سنوات".

ووافقه الرأي أحد جراحي الاعصاب المجرّبين الذي أضاف: "ولكن احذر من ان تموت على يديك".

وغادر كاونتي قاعة الاجتماع وقد آلمه عدم امكانه اتخاذ قرار. وتذكّر انّ الصور بينت انه، فضلا عن مجرى الدم الطبيعي في الاوردة، كانت هناك شرايين مرضيّة كثيرة تمدّ الوريد المنتفخ مباشرة بالدم. وتلك الشرايين المعطوبة منذ الولادة يجب سدّها لخفض الضغط القويّ داخل الوريد قبل تفريغه من الدم واستئصاله. وعلى الجرّاح ان يحفر ١٥ سنتيمتراً داخل الدماغ لبلوغ المنطقة المريضة، حتى اذا وصل اليها بات ممكناً ان ينفجر كيس الدم بمجرد لمسه.

في تلك الليلة انتاب كارمن حس ّ مفاجىء بالغثيان وهي في غرفتها داخل المستشفى معزولة عن الانظار. وأدركت ان النوبة وشيكة. وشعرت بألم حاد ّ جعلها تغرق في النشيج، حتى اذا دخلت الممرضة غرفتها وجدتها غائبة عن الوعي.

وبعد وقت وصل الدكتور أدريان ليغاسبي، وهو طبيب مكسيكي - امريكي يتدر ّب في المستشفى، ليجد كارمن وقد استعادت وعيها. لكنها كانت ترتجف وبادرته بقولها: "إن ّ حالي تسوء باطّراد".

وربت ليغاسبي شعرها الاسود الكثيف وكلمها بالاسبانية، قائلا لها ان الدكتور كاونتي ذكي وسيجد الجواب لا محالة.

القرار الحاسم - لدى سماع كاونتي بتلك النوبة، لم يدرِ كيف ينقل الى كارمن وامها نبأ استحالة العلاج. فقد أرهقته الحالات المستعصية وكان شَغوفاً بإبراء المرضى، ولاسيما كارمن شابارو. وأصر ّ على ان هناك وسيلة للتقليل من حد ّة الخطرين الرئيسيَّيْن الملازمين للجراحة، وهما انفجار الانتفاخ وازدياد النزف الى حَد ّ يحجب الرؤية.

ثم ّ جاءه الجواب: ان ذلك يتم ّ بوقف قلب كارمن خلال اللحظات الحاسمة من الجراحة. وهكذا يتوقّف ضخ ّ الدم الى رأسها وتُذلّل العقبتان معاً، وتلك لم تكن بالطريقة الجديدة فقد توصلت مجموعة من الاطباء قبل سنوات، ومنها جراح الاعصاب جيمس ماكمورتري الذي أنجز كاونتي اختصاصه في اشرافه، الى ابتكار تلك الطريقة في مركز كولومبيا الطبي البريسبيتاري في مدينة نيويورك. واعتمد الاطباء تلك الطريقة الرائدة لاجراء جراحتين معقّدَتَيْن. وكان من أثر ذلك التعقيد ان ثنى بعض الاطباء عن اعتماد الطريقة المذكورة. لكن ّ كاونتي قر ّر ان يمضي في سَعْيه.

واتصل كاونتي هاتفياً باستاذه القديم ماكمورتري واصفاً القضية التي

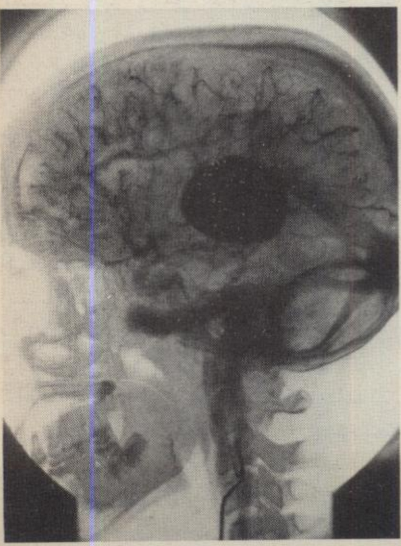

Josh Johnson.

صورة بالاشعة السينية تظهر كيس الدم في دماغ كارمن شابارو.

بين يديه، ليسأله بعد ذلك: "هل تجد ان طريقة وقف القلب ناجعة في هذا الوضع؟" فما كان من جراح نيويورك المرموق الا ان شجعه على المضي قدماً وأرسل اليه معلومات دقيقة حول وقف القلب واعادة تشغيله بأمان.

ومنذ تلك اللحظة أخذ رودجر

كاونتي على عاتقه اجراء الجراحة. وكاونتي من مواليد ١٩٤٢ وخريج كلية الطب في جامعة هوارد. ولم يكن مضى على تسجيله جراح أعصاب في واشنطن العاصمة أكثر من ثلاث سنوات.

ووقع اختيار كاونتي على الدكتور بول بولانوفسكي، جراح القلب والصدر الذي يكبره بثلاث سنوات وبضعة أشْهُر، لاجراء عملية وقف القلب. وهو زميل هادىء تربطه به علاقة عمل وثيقة. وأصرّ كاونتي على اجراء الوقف يدوياً، من غير اعتماد الآلة الخاصَّة بالقلب والرِّئة. ورفض بولانوفسكي ذلك أول الأمر إذ لم يسبق له ان استعمل يديه من دون آلة. الا ان كاونتي ذكَّره بخطر النزف السريع الناجم عن مادة الهيبارين المقاومة للتخثُّر التي يجب استخدامها مع الآلة. ففكر بولانوفسكي في الأمر ملياً وقال: "حسناً، سأنجز العملية كما تريد".

"يدنا في يدك" - لم يُضيع كاونتي أي لحظة بين الجراحات اليومية والحالات الطارئة والاستشارات، بل راح يدرس حال الفتاة شابارو بكل دقة. وأمضى ساعات عدة يشرح أدمغة الجثث، مقارناً صوَر كارمن الطبية بها. وقد شاء بهذا ان ينطبع تشريح الاوعية الدموية في ذهنه في ثلاثة أبعاد وان يعرف المسافات بدقة متناهية. وبعدما ايقن انه جمع كل المعلومات المطلوبة ولم يعد هناك شيء تعوزه معرفته، أرسل في طلب والدة كارمن.

وشرح لها حال كارمن وقال: "اني أقترح اجراء جراحة أساسية لا يتجاوز حظها في النجاح الـ٦٠ في المئة. وعلى رغم عدم تمكني من اعطائك أي ضمانات، الا اني واثق من نجاح العملية التي، ما لم نجرها الآن، فانها لن تتمّ إطلاقاً".

وتناولت ماريا قسيمة الاذن باجراء العملية بيدين مرتجفتين. ونظرت الى الدكتور ليغاسبي الذي عمل ترجماناً بينها وبين الدكتور كاونتي، ثمّ خاطبت هذا بقولها: "انك الشخص الاول الذي يعطينا الأمل. لذلك سنضع يدنا في يدك. وها أنا أُوَقّع على الورقة متوكلة على الله وعلى الدكتور كاونتي".

بعد ذلك استدعى كاونتي زميله بولانوفسكي قائلا: "أريد اجراء اختبار شامل للعملية بحضور الفريق كله: أنت وأنا وطبيب التخدير وأطباء الاختصاص الملازمون والممرضات والمعدات، وكل شيء آخر".

وحُدّد موعد الجراحة يوم الاثنين ١٦ يونيو (حزيران). وفي صباح يوم الجمعة السابق للموعد اجتمع الفريق المؤلَّف من ١٤ شخصاً في غرفة العمليات. وأمضى هؤلاء أربع ساعات يختبرون ما سيفعلونه. وأداروا جميع الاجهزة الكهربائية معاً للتأكُّد من أنها لن تؤدي الى تعطيل المولّد، كما أحضروا مولداً اضافياً وتحققوا من سلامته. وطلب كاونتي ان تكون هناك، الى جانب كل آلة، واحدة اضافية من نوعها.

وتقرر ان يتولى ليغاسبي معاونة بولانوفسكي. وأمضى ليغاسبي ليلة الأحد في الغرفة المجاورة لغرفة

كارمن. وعندما أيقظها في الخامسة صباحاً، رمقته بابتسامة، فقال لها: "ايتها الحسناء! إننا سنُدخلكِ طور النوم قريباً. وستستيقظين لتجدي كل شيء في خير حال".

جراحتان معاً - بعد تخدير كارمن وُضعت في شبه قعود بين غطاءين كثيفَين يمرّ عبرهما الماء المثلَّج. وخُفضت حرارة جسمها تدريجاً الى ٢٩ درجة مئوية. وهذا من شأنه ابطاء حركة الأيض، اي تمثُّل الطعام وانحلاله، لكي تتحمل توقف قلبها على نحو أفضل.

وبُعيد الثامنة صباحاً طُوي الغطاء الأعلى حتى أصبح تحت خَصْر الفتاة، فيما كان بولانوفسكي يستعدّ لعملية شَقّ الصَّدر التي تستغرق قرابة نصف ساعة. وفي الوقت نفسه بدأ كاونتي إعمال المبضَع والمنشار لازاحة جزء من عظم الجمجمة. وأكد جهاز قياس القلب للطبيبين ان التبرد لم يسفر عن أي انقباضات غير طبيعية في عضلات القلب من شأنها وقفه قبل الاوان.

واستعان كاونتي بالمجهر (الميكروسكوب) لفتح نسيج الدماغ الخارجي. وراح يشق طريقه ببطء نحو منتصف الحاجز الذي يفصل نصْفَي الدماغ. وتمكن من معرفة الأوعية واحداً واحداً بعدما سبق ان درسها ورقمها بدقَّة على الصُّورة. وتابع الطريق حولها بالكَلّاب، مخترقاً المسافة الى الشرايين الثلاثة المريضة التي كانت تغذي الوريد بالدم. وبعد أربع ساعات من العمل، استطاع ان يحكم ربط تلك الشرايين عند نقاط اتصالها بالوريد المنتفخ.

وانتصب كاونتي وألقى نظرة أخيرة على الصُّوَر المعلَّقة فوق الجدار، ثمّ هز رأسه لزميله بولانوفسكي ايذاناً بالمرحلة الحاسمة.

واضطرب بولانوفسكي عندما شاهد زميله يَسْبُر الدماغ من جديد. وتسارعت حركات يدي كاونتي. ووصل الى منتصف الدماغ وراح يُعمل آلاته حول الكتلة الليفية التي تصل نصْفَي الدماغ. لكنه كان يتحرك بحذر شديد، لان أقل خطأ من شأنه شق الدماغ.

وطلب المقصّ والمشبك، فوضعتهما الممرضة فلورنس وست حالا في يده. وعلى رغم انها لازمته مراراً خلال الجراحات، الا انها عاينت توتُّراً استثنائياً لديه هذه المرة. ولاحظ ليغاسبي الامر نفسه من خلال عيني كاونتي المحدقتين ونشاطه البالغ وعدم تردده.

وقال كاونتي "بول! أنا حاضر".

وأمسك بولانوفسكي القطبين الكهربائيَّيْن المثبتين على جانبي قلب المريضة المكشوف، وأوقفه عن العمل، فتوقفت الحركة أيضاً في جهاز تخطيط القلب. وكان لدى كاونتي أربع دقائق لانجاز مهمته، وهو الوقت الاقصى الذي يمكن فيه وقف الدورة الدموية من غير ايذاء دماغ المريض.

"لقد أنجزنا العمل" - مع توقُّف القلب سال الدم من الوريد المنتفخ حتى بدا أملس تحت مجسّ كاونتي. وانتقل الى أسفل لخنق آخر الشرايين المتعطلة، منعماً النظر لالقاء المشابك

في موضعها الدقيق. وانقضت دقيقة، وراح الدم ينزّ حول الوريد، مهدداً بحجب الرؤية اذا استمر تَسَربُه. لكنه قبض على الوريد المفرَّغ وشدّ على عنقه، ثم ثبته باحكام. وكان ذلك بعد ٩٧ ثانية من وقف القلب.

وقال كاونتي: "لقد أنجزت العمل. والآن، أعد القلب الى خفقانه".

وأمسك بولانوفسكي القلب الاعزل بواسطة مقبضين مشحونين بالكهرباء، متضرعاً لكي تعود الحركة اليه، لكن القلب بقي ساكناً. وكان بولانوفسكي يخشى شيئاً من هذا، وهو عدم تمكّنه من اعادة تشغيل القلب في غياب آلة خاصة بالقلب والرئة وتحت تلك الدرجة المنخفضة من حرارة الجسم. وحاول مرة أخرى، فاذا بالنبض يعود من جديد الى القلب وتعود الحياة الى الجسد كله!

وتلاقت أعيُن الجرّاحيْن فترة وجيزة. ثم راح كل منهما يعمل جاهداً على رتق جروح المريضة. وفرغا من عملهما المضني في الثالثة والنصف، وحُملت كارمن بعد ذلك الى غرفة العناية الفائقة.

وأخيراً استرخى كاونتي وانفرجت أساريره وراح يشكر جميع أعضاء الفريق. وقال وهو يقبض على يد بولانوفسكي: "لقد حققنا المهمة". ورمق أحدهما الآخر بنظرة انتصار.

وبعد اسبوع واحد غادرت كارمن شابارو المستشفى مع أمها. وفي آخر ذلك الصيف الحاسم، بعد انقضاء شهرين، تلقى رودجر كاونتي مخابرة هاتفية من صديقة لعائلة شابارو تقول: "تريد ماريا ان تعرف اذا كان يجوز تلقيح كارمن لانها على وشك الالتحاق بالمدرسة".

وأجاب كاونتي أنه لا ضير في ذلك. وكانت تلك اسعد لحظة في حياة جراح الاعصاب الشاب.

■ بيتر مايكلمور

لن تحيا سوى مرة!

إنّ اوروبا وأمريكا أبدعتا اسطورة جديدة جعلت "مبشري الشؤم" ينذرون يومياً بانتهاء الحضارة. فهم يعلنون ان دخان المصانع يخنق الناس والقاذورات تغرقهم ومشاريع العمران الجديدة، مهما عظمت نتائجها، تشوه جمال الارض وتلوث الطبيعة. والقبول بهذه الاسطورة يعني وقف شقّ الطرق وسط الغابات وتوليد الكهرباء من الأنهار وحفر الأرض لاستخراج المعادن وتحويل الكلس خرسانة مسلحة واستعمال النفط لتدفئة المنازل وتشغيل الآلات واغناء التراب بالمواد الكيميائية وابادة الحشرات ومكافحة الجراثيم.

الا ان التقدم الذي هو، في النهاية، تحويل قطعة أرض لتناسب مصلحة الانسان ورفاهيته، لا يمكن صَدّه. ولولا التطعيم الزراعي، مثلا، لحملت الاشجار ثمراً صغيراً وقاسياً ومراً وغير قابل للهضم. وهذا ما يحمل الناس، في أنحاء العالم، ليس على التغني الخانع بالطبيعة بل على محاربتها ومحاولة اخضاعها.

ان الأخذ باسطورة مبشري الشؤم يعني اختيار البؤس المحتّم عوضاً عن الرفاهية التي قد يلازمها بعض خَطَر.

ب.ش.

وودي الن يقصّ علينا، بأسلوبه الساخر، حكاية السندويش الذي حرَّر الناس من الغداء التقليدي الساخن

مَن اخترع السَندويش؟

رحتُ أقلّب صفحات مجلة بينما كنتُ أنتظر خروج جوزف، كلب الصيد الذي أملكه، من جلسة العلاج النفسي التي تستغرق ٥٠ دقيقة كل ثلثاء وتبلغ كلفتها ٥٠ دولاراً. والطبيب البيطري الذي يُعنى به مختص بالتحليل النفسي على طريقة عالم النفس السويسري كارل يونغ. وهو يعمل بجد لكي يقنعه بأن الفك الاسفل المتدلي ليس نقيصة اجتماعية.

وفجأة لفتتني جملة في أسفل الصفحة كأنها انذار من المصرف بأني سحبتُ مالا يفوق رصيدي. وهي من نوع الجمل التي تنطوي عليها التعليقات الصحافية المألوفة والتي

Reprinted in full and without change, by permission
(c) 1966 the New Yorker Magazine, Inc., New York, N.Y.

تحمل عناوين مثل "سجل تاريخي" أو "هل تعلم؟". الا ان ضخامتها هزت مفاصلي كما لو كانت افتتاحية السيمفونية التاسعة لبيتهوفن. وهي تقول: "ان السندويش هو من اختراع ايرل سندويش".

وصعقني ذلك النبأ، فقرأته مرة بعد مرة حتى انتابتني قشعريرة. وأخذ رأسي يدور، مستحضراً الاحلام والآمال والعراقيل التي لازمت ابتكار أول سندويش. وابتلت عيناي وأنا أنظر من النافذة الى ناطحات المدينة المتلألئة، وانتابني شعور بالانعتاق من الزمن فيما كنت أفكر في مكان الانسان الثابت في الكون... الانسان المخترع! ولاحت أمامي دفاتر ليوناردو دا فنشي بحروفها النافرة التي تخطط لاعلى طموحات الجنس البشري. وفكرت في ارسطوطاليس ودانتي وشكسبير ونيوتن وهاندل ومونيه والانطباعية واديسون والتكعيبية وسترافنسكي واينشتين.

واستحضرت في ذهني صورة للسندويش الاول موضوعاً ضمن غلاف في المتحف البريطاني. ولم تبارحني تلك الصورة طوال أشهر ثلاثة أمضيتها في العمل على سيرة مختصرة لمبدع السندويش العظيم، صاحب السمو الايرل سندويش. وعلى رغم ان فهمي للتاريخ يخالطه بعض ضعف ومقدرتي على التخيل تفوق، الى حد بعيد، مقدرة ذوي التفكير الواقعي، الا اني ارجو ان أكون اكتشفت جوهر عبقريته المغمورة، وان تكون هذه الخواطر المتفرقة حافزاً لمؤرخ اصيل على البدء حيث انتهيت.

١٧١٨: وُلد ايرل سندويش لأبوين من الطبقة الرفيعة. وابتهج الأب لدى تعيينه بيطاراً اول لدى جلالة الملك، وهو مركز استمتع به سنوات عدة قبل ان يتبين له ان وظيفته الحقيقية في البلاط الملكي هي الحدادة. واستقال على الأثر، والمرارة تملأ نفسه. أما الوالدة فكانت ربة منزل ذات نسب الماني. وكان طعامها المعهود يتألف من الشحم والعصيدة (طحين يمزج بالسمن ويطبخ). لكنها كانت تتمتع ببعض الخيال الطهوي اذ كانت تعدّ أحياناً قشدة محلاة متوسطة الجودة.

١٧٢٥ - ١٧٣٥: في تلك الاثناء ذهب الايرل الى المدرسة حيث تعلم ركوب الخيل واللغة اللاتينية. وفي المدرسة تعرف الى اللحوم الباردة للمرة الاولى وأبدى اهتماماً غير عادي بقطع اللحم الرقيقة. ولدى تخرجه كان ذلك الاهتمام قد استحوذ عليه. وعلى رغم ان دراسته المسماة "تحليل المآكل الخفيفة والظواهر الملازمة" أثارت اهتمام الاساتذة، الا ان زملاءه اعتبروه غريب الاطوار.

١٧٣٦: دخل الايرل جامعة كامبريدج، بناء على أمر والديه، لدراسة الخطابة والميتافيزيقا (الماورائيات). لكن كلا الموضوعين لم يروقاه. ولم تتقطع ثورته ضد كل شيء اكاديمي، الى حد انه إتُّهم بسرقة أرغفة الخبز واجراء اختبارات شاذة عليها. وطُرد من الجامعة بتهمة الهرطقة.

١٧٣٨: أبحر الى البلاد الاسكندينافية بعدما تنكر له ذووه. وهناك أمضى ثلاث سنوات وقفها على بحث مكثّف حول الجبن. ودهشته صنوف

Bakhour
العطر الساحر
بخّور
باريس

السردين الكثيرة التي رآها، وسجل في وثائقه: "اني مقتنع بأن ثمة حقيقة تفوق كل ما ابتكره الانسان حتى الآن، وهي موجودة في وضع الاطعمة بعضها فـــــوق بعض... التبسيط! التبسيط! هذا ما نحتاج اليه". ولدى عودته الى انكلترا تعرف الى نل سمولبور، وهي ابنة بائع خضر، وتزوجها. ومنها تعلم كل ما يعرفه عن الخَس".

١٧٤١: بينما كان يعيش في الريف في بيت انتقل اليه عن طريق الارث، راح يعمل نهاراً وليلا ويقتّر في مأكله مــن أجل شـراء الطعام لاهـداف اختبارية. وكان أول عمل تام انجزه شـريحة خبـز تعلوهـا شـريحة خبـز أخرى، وفوق الاثنتين شريحة ديك رومي (حَبَش). لكن عمله ذاك مُني بالفشل الذريع.

١٧٤٥: بعد أربع سنوات من العمل الدَّؤوب، بات الايرل مقتنعاً أنه على عتبة النجاح. وعرض على أقرانه شريحتـيـن مــن الـديـك الـرومـي تتوسطهمـا شـريحة خـبـز. ورفـض الجميع عمله باستثناء ديفيد هيوم الذي تحسس انطواء العمل على شيء عظيم وشجع الايرل على الاستمرار.

١٧٤٧: أصابه الفقر الى حد لم يعد يتمكن من اجراء الاختبارات على لحم الدجاج الرومي او البقر.

١٧٥٠: في الربيع عرض ثلاث رقاقات مـن اللحـم موضـوعة احداهـا فـوق الاخرى. وهذا أثار اهتمام بعضهم، خصوصاً في الاوساط الفكرية. لكن سـواد النـاس بقـوا غيـر مبالـين. وازدادت شهرته بعدما عرض ثلاث رقاقات مـن الخبـز، احداهـا فـوق الاخرى. واستدعاه المفكر الفرنسي فولتير قبل ابتكار اسلوبه الأخير.

١٧٥١: أبحر الى فرنسا حيث كان فولتير حقق بعض النتائج الشائقة بالخبز والمايونيز. وقامت صداقة بين الرجُلين استمرت عبر المراسلة. الا انها انقطعت بعدما نفدت الطوابع البريدية لدى فولتير.

١٧٥٨: أدّت شهرته النامية لدى صانعي القرارات الى حد ان الملكة كلفته تحضير "شيء خاص" لمناسبة غداء رسمي مع السَّفير الاسباني. وبعد عمـل مضـنٍ وتمزيـق مئـات المخططات، توصـلَ اخـيـراً - في الرابعة والدقيقة السابعة عشرة من ضحى ٢٧ ابريل (نيسان) ١٧٥٨ - الى جمع شرائح رقيقة من اللحم وسط شريحتين من خبز الزؤان. وفي فورة مـن الالهام، راح يـزخـرف الخـبـز بالخردل. ولقي عمله اعجاباً جعل القصر الملكي يعهد اليه في اعداد غداء السبت طوال تلك السنة.

١٧٦٠: كان يسير من نجاح الى نجاح. وانـتـهى الــى ابـتكار "السندويـش"، الـذي سُمـي هكذا اكراماً له، من شرائح البقر والدجاج واللسان وكل ما يمكن التفكير فيه من لحوم باردة. ولم يشأ تكرار تجاربه السابقة، فأخذ يسعى الى ابتكارات جديدة توصل بعدها الى السندويش المركَّب الذي نال عليه وسام "ربطة الساق" البريطاني.

١٧٦٩: زاره عظام ذلك القرن في بيته الريفي، ومنهم هايدن وكانت وروسو وبن فرانكلن. واستلذ بعضهم بمآكله بينما طلب آخرون ان يحملوها معهم.

١٧٧٨: على رغم ان جسمه كان

يشيخ، الا انه استمر يبحث عن أشكال جديدة. وكتب في يومياته: "اني أعمل حتى وقت متقدم في الليالي الباردة. وبت أحمّص كل شيء لكي يبقى جسمي دافئاً".

١٧٨٣: اخترع الهمبرغر احتفاء بعيد ميلاده الخامس والستين. وجال عواصم العالم الكبرى يحضر الهمبرغر في قاعات الاحتفالات أمام جمهور ضخم يقدر مواهبه. وفي المانيا، اقترح غوته تقديم الهمبرغر على خبز محلى قليلا. وراقت الفكرة سمو الايرل الذي قال في صاحب "فاوست": "غوته هذا؟ انه شخص رائع حقاً!" وسُرّ غوته بالتعليق. لكن صداقتهما الفكرية فُسخت في السنة التالية لخلاف على معنى هذه الكلمات: "قليل النضج"، "متوسط النضج"، "تام النضج".

١٧٩٠: خلال عرض لجميع انجازاته السابقة في لندن، شعر بألم في صدره وظَنّ انه على وشك الموت. لكنه تعافى بعد ذلك وأمكنه الاشراف على صنع سندويش عملاق نفذته جماعة من أتباعه الموهوبين. وأثار ذلك السندويش ضجة لدى انزاله الى السوق في ايطاليا. وهو ما زال غير مفهوم الا لدى قلة من النقاد.

١٧٩٢: ظهر لديه تقوس في الساقين توانى عن معالجته في الوقت المناسب. وما لبث ان توفى وهو نائم. فحُملت جثته الى كنيسة دير وستمنستر حيث شيّعه آلاف المعجبين. وخلال دفنه، ألقى الشاعر الالماني الكبير هولدرلن كلمة لخص فيها انجازاته باجلال لا مواربة فيه: "لقد حرر الجنس البشري من الغداء الساخن. ولاجل ذلك نحن مدينون له بالكثير".

■ وودي ألن

شهية الغد

أهمّ ما يحتاج اليه العالم هو الشهية للغد التي تكمن وراء جميع الاعمال الكبيرة. وما لم تكن لنا هذه الشهية، فلا يمكننا أن نمنح العالم شيئاً حكيماً أو شريفاً".

س.ب.س.

سبب وجيه

علّقت الملاحظة الآتية على واجهة مقهى ريفي: "الرجاء ان تأكل هنا، وإلا جعنا نحن الاثنين".

غ.م.

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة.

بنك الكويت الوطني البنك الذي نما مع الكويت لتلبية التطور الاقتصادي والانمائي.

بنك الكويت الوطني يقوم بجميع الخدمات الاقتصادية والتجارية والاستثمارات المصرفية.

بنك الكويت الوطني شبكة من المراسلين في جميع انحاء العالم. قبل اقدامك على اي عمل في الكويت او في الخليج استعمل المفتاح الذهبي واستشر جهازنا المصرفي العالمي.

القسم المصرفي الاستثماري والتجاري
تلفون ٤٢٣٠١١، تلكس ٢٠٤٣/٢٤٥١/٢٧٠٤ كويت،
قسم السوق المالي، تلفون ٤٤١٠٠٨/٩،
تلكس ٣٢٢٧/٣٣٢٧ كويت.

بنك الكويت الوطني ش م ك
ص ب ٩٥، تلكس، ناشيونال ٢٠٤٣ كويت، تلفون ٤٢٣٠١١ (الفرع الرئيسي)

Graphics–McCann

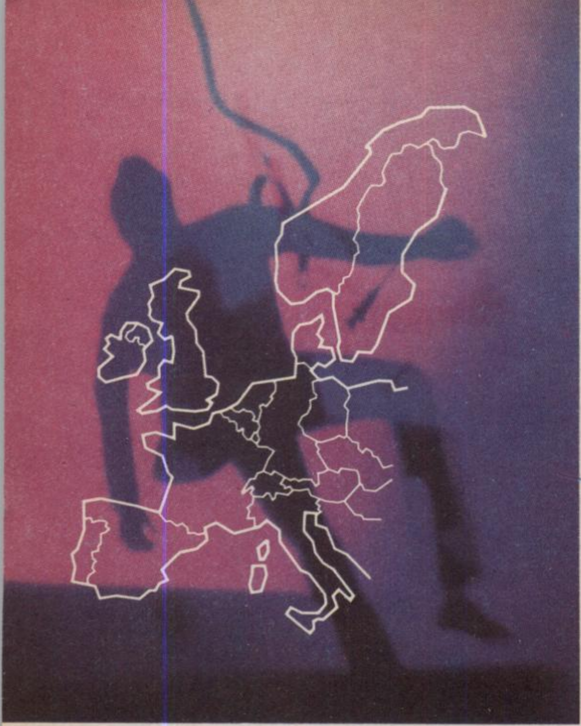

الطاعون الأبيض

طالما قال الاوروبيون: "انها مشكلة امريكية لا يمكن أن تحدث عندنا"....
لكنّ الهيروويين بات اليوم مشكلة خطرة تتهدّد اوروبا وغيرها وربما كانت بداية لما هو أشد هولا

● في ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٩ ، سمع عابرُ سبيل في برلين الغربية أنيناً منبعثاً من مرحاض عامّ في ساحة بايريشر. واستدعى الشرطة التي أرسلت سيارة اسعاف الى المكان، وتبيّن لرجالها أنّ الفتى ذا الاثنين والعشرين عاماً كان ميتاً على أرض المرحاض القذرة، على أثر تناوُله جرعة كبيرة من الهيروويين سببت قروحاً في ذراعيه. وكانت المسألة، بالنسبة الى رجال الشرطة، أمراً معتاداً. وعلق أحدهم بالآتي: "هكذا يموت عدد" كبير" منهم".

● قبل يومين من ذلك الحادث، أقامت طالبة فرنسية ذات ١٧ عاماً حفلة في شقة أهلها الانيقة في مدينة نيس، بينما كان والداها خارج المنزل. وتوفى أحدهم، وهو مدمن في التاسعة عشرة اسمه جان - مارك، بعد تناوُل جرعة كبيرة من

الهيروويين مسجلا الوفاة السادسة والعشرين بالمخدرات في منطقة الجنوب الفرنسي (الريفييرا) عام ١٩٧٩.

● **في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩، دخل جوليو (٢٢ سنة) خلسة بيت الخلاء في حضانة الاطفال في روما حيث كان يعمل. وقلق زملاؤه عليه، فخلعوا باب المرحاض بعد ساعة ليجدوا رفيقهم ذا الشاربين الكبيرين فاقد الوعي، والى جانبه علبة ثقاب وملعقة وابرة استعملها لاعداد جرعة هيروويين. وما لبث أن مات على أثَر نوبة قلبية.**

أنّ عشرات الوفيات من هذا النوع تحصل اسبوعياً في اوروبا لتؤكد انتشار وباء الهيروويين الفتاك الذي تشير الاحصاءات الرسمية الى أنه قضى على أكثر من ألف شاب عام ١٩٧٩. ويذهب الخبراء الى أنّ الرقم الحقيقي يتجاوز الألف اذا أخذنا في الاعتبار الوفيات الناجمة عن الامراض التي يسببها تعاطي المخدر، مثل الالتهابات الكبدية والرئوية. وصحّ توقُّعهم ١٩٨٠، اذ بلغ عدد الوفيات ٢٥٠٠.

هذا كله قد يكون البداية. ويقدر جون وورنر، مدير مكتب اوروبا والشرق الاوسط في وكالة المخدرات الامريكية، أنّ عدد مدمني الهيروويين في اوروبا بات يقارب الخمسمئة ألف. ويزداد الادمان بمعدّل ٥٠ في المئة سنوياً، علماً أنه زاد على المئة في المئة في ايطاليا.

وقد فاق ادمان الهيروويين، في بلدان اوروبية عدة، المعدّلات المسجّلة في الولايات المتحدة. وتأتي في رأس القائمة الدانمرك، تلك البلاد الهادئة المزدهرة التي سجّلت مئة وفاة بالهيروويين عام ١٩٧٩ في حين لا يتجاوز عدد سكانها الملايين الخمسة. وفي ايطاليا، حيث لم يتنبه المسؤولون الى الامر الا منذ أربع سنوات، بلغ عدد الوفيات ١٢٩ في العام نفسه، بينما سجّلت سويسرا الرصينة الرقم اثنين فوق المئة. وسُجل أعلى رقم للعام ١٩٧٩ في ألمانيا الغربية، وهو ٦٢٤.

الجانب الآخر – هذه الارقام تُظهر جانباً واحداً من قصة البؤس والتراجُع. وفي جولة استطلاعية قمتُ بها حديثاً على مُدن اوروبا، شاهدتُ علامات واضحة لذلك السمّ الذي يُسَمّونه "هـ" أو "البطل" (هيرو): وجوه بيضاء شاحبة تقنع ظلالا خضراء مخيفة، وأعين حُمر غائرة، وأسنان متعفنة. ففي فرنكفورت (المانيا) وقع نظري على شابّ في العشرينات يبدو عليه الثراء، يحضر جرعة هيروويين بهدوء أعصاب وهو جالس في سيارة "مرسيدس" متوقفة الى جانب الطريق. وفي روما شاهدتُ مراهقين منبطحَيْن في وسَط المدينة القديم، وهما يتناولان علناً جرعة صباحية. وفي روما الجديدة بلغ الادمان حداً حمل بعض المقاهي على احداث ثقوب في الملاعق لئلا يحملها المدمنون معهم لتحضير جرعات الهيروويين.

وبعد تحوّله مدمناً، يحتاج الشاب، في معظم البلدان الاوروبية، الى ما يعادل ٢٠٠ دولار يومياً لتلبية حاجاته. والطريقة الوحيدة لتأمين المال هي الجريمة. ونتيجة لهذا الادمان، يشهد عدد الجرائم، التي تراوح بين الاختلاس والسرقات المسلحة، ازدياداً كبيراً في اوروبا.

وتتضافر عوامل عدة لتوليد هذا

الوضع، أحدها الثراء النسبي الذي يجعل المخدرات في متناول قطاعات كبيرة من المجتمع. ومن العوامل أيضاً خيبة الامل التي اجتاحت عدداً كبيراً من الشباب بعد الجوّ الثوري الذي خيم على نهاية الستينات ومطلع السبعينات. الا أن أهمّ العوامل هو توافُر الهيرويين الجيد النوعية والرخيص الثمن على نحو لم يسبق له مثيل، ومصدره الشرق الاوسط.

وحتى وقت قريب، كان الهيرويين يصدَّر الى اوروبا من "المثلث الذهبي" في جنوب شرق آسيا، أي لاوس وكمبوديا وتايلاند. وكان المهربون الآسيون المسافرون جواً في رحلات تجارية يحملون المخدرات الى أمستردام (هولندا)، حيث يتولى صينيون من دُوَل "المثلَّث" - وهم المعادل الصيني للمافيا - توزيعه على مختلف البلدان الاوروبية.

وحدث جفاف عام ١٩٧٩ أنقص محصول "المثلث الذهبي" من الافيون الى ما دون النصف، بينما زاد هذا المحصول بنسبة ضخمة في أفغانستان وباكستان وايران على أثر طقس غير متوقَّع. وبلغ انتاج هذه البلدان الثلاثة ١٢٠٠ طنّ من الافيون الخام. وكُرِّرت تلك الكمية لتعطي ١٢٠ طناً من المورفين، ثم حُوِّلت هيرويينا فاق مقداره ضعفي ما تستوعبه الاسواق الاوروبية حالياً. وهكذا اجتاح طوفان من الهيرويين القارة الاوروبية.

العَسَل التركي - انّ الخطر الملازم للهيرويين المصدَّر من الشرق الاوسط لا يأتي من وفرته فحسْب، بل من نقائه أيضاً. وجدير بالذكر أنّ الهيرويين الذي بيع في شوارع الولايات المتحدة لدى ارتفاع موجته خلال العقد الممتد من نهاية الستينات حتى نهاية السبعينات لم يحتوِ الاّ على ٦ - ٨ في المئة من عنصر الهيرويين الاصلي. أما المخدر الذي تستورده الاسواق الاوروبية من آسيا ففيه ٣٥ - ٥٠ في المئة من الهيرويين الاصلي. وقد أخبرني مسؤول في وكالة المخدرات الامريكية أنّ "الهيرويين الآتي من الشرق الاوسط يحوي قرابة ٩٠ في المئة من العنصر الاصلي. وتكفي جرعة واحدة منه لقتل أيّ مدمن أمريكي". والهيرويين، حتى في أنواعه الاصلية، تجارة رابحة. فالكيلوغرام الواحد منه، الذي يدفع التاجر ثمنه مبلغاً يراوح بين ٣٠ ألف دولار و٥٠ ألفاً، يدر عليه ٣٠٠ ألف دولار ربحاً بعد خفض كمية الهيرويين فيه بنسبة ٤٠ في المئة.

انّ هيرويين الشرق الاقصى يصل الى اوروبا جواً. أما هيرويين الشرق الاوسط فيبلغها براً عبر تركيا، مما أكسبه اسم "العسل التركي". واذا كانت مراقبة المطارات الاوروبية مسألة سهلة نسبياً، فأن تسيير دوريات الشرطة على امتداد طُرق السيارات والقطارات أمر شاقّ للغاية. وفي خريف ١٩٧٩، ارتاب مفتشو الجمارك الايطالية بعدد النسوة الحوامل غير المعتاد اللواتي استقلَلْنَ القطارات من اسطنبول الى باريس، وبعضهنّ تجاوز سنّ الحمل. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) من العالم نفسه، أُوقفوا خمس نساء تركيات تبين أنّ انتفاخ بطونهنّ ناجم عن ثلاثة كيلوغرامات مورفين أُلْصِقَت الى بطن كل منهنّ.

صَبَاحَ الخَيْر!

نسكافه

كوبٌ من نسكافه مع الحليب ، في الصباح
وفي أي وقت ، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقا.
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة ، تملأك حيويةً ونشاطا.
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية ، سريعة التحضير.

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

PI 2959

غير ان معظم الهيروويين الوارد من الشرق الاوسط يُرسل في سيارات صُممت خصوصاً لهذه الغاية، أو يُخبأ في الشاحنات الكبيرة التي تذرع الطريق الرقم ٥ من تركيا الى اوروبا الشمالية مروراً باليونان أو بلغاريا. ويسهل نظام "النقليات الدولية" عملية التهريب، وهو يقضي بتفتيش الشاحنة قبل انطلاقها واعفائها من التفتيش بعد ذلك. وقد وجدت شرطة الحدود اليوغوسلافية، في ابريل (نيسان) ١٩٧٩، ثمانين كيلوغراماً من الهيروويين في مخبأ خاصّ داخل شاحنة متجهة الى المانيا الغربية. وكانت تلك أكبر كمية من هيروويين الشرق الاوسط يتمّ كشفها في اوروبا حتى ذلك الوقت. وقال لي أحد رجال الشرطة الالمان: "هناك نحو مليون شاحنة عبرت الحدود بين النمسا والمانيا العام الماضي. ولو فتشنا كلا منها لخلقنا اضطراباً كبيراً، خصوصاً خلال الاجازات السنوية".

جحافل النمل – المشكلة الرئيسية التي خلفها هذا النوع من التهريب بالنسبة الى رجال القانون هي أنهم باتوا يواجهون آلاف المتجاوزين الافراد عوضاً عن مواجهتهم منظمات محدودة العدد مثل "المثلث الصيني". وهؤلاء الافراد، الذين يعمل كلّ منهم لحسابه الخاص، لا ينقل واحدهم أكثر من ثلاثة كيلوغرامات كل مرة. لكنّ حصيلة أعمالهم مروعة. ويعسر التفتيش الدقيق، اذ أن المهرّب قد يكون جدّة رزينة أو عاملا مهاجراً يعيل عشرة أفراد. ويقول اريك شتراس، رئيس شعبة المخدرات في شرطة المانيا الغربية الجنائية: "انّ عملنا يشبه محاربة جحافل من النمل".

انّ المانيا الغربية هي أكبر مستورد للهيروويين اليوم. واذا كنت تريد الحصول على جرعة في برلين الغربية، فعليك التوجّه بالمترو (قطار تحت الارض) الى محطة كورفورشتندام أو محطة حديقة الحيوان. وما أن تنزل من القطار حتى يقترب منك شاب يعرض عليك شراء الهيروويين بسعر معقول. واذا تمت الصفقة، فعليك أخذ القطار التالي الى المحطة التي يختارها البائع، حيث تسلّم المال وتتسلّم المخدر.

وفي مدينة فرنكفورت، التي غدت أكبر مركز اوروبي لبيع المخدرات، يكلف الغرام الواحد من الهيروويين ١٥٠ ماركاً المانياً (نحو ٨٠ دولاراً). وهذا أقلّ من نصف الثمن الرائج في زوريخ (سويسرا) أو أمستردام، حيث أفلحت حملات الشرطة الصارمة في حمل بائعي المخدرات على مغادرة الشوارع ورفعت بالتالي سعر الغرام الواحد من الهيروويين الى ٤٠٠ دولار. ومن نتائج هذه التدابير أنّ المدمنين الفرنسيين والايطاليين باتوا يسافرون الى المانيا لشراء الهيروويين.

وقد نالت بريطانيا حصتها من هذا "الطاعون الابيض" الذي يجتاح اوروبا. فهناك بوابة خاصة تربطها بالشرق الاوسط هي ايران. وقد صادرت الجمارك البريطانية عام ١٩٧٩ اثني عشر كيلوغراماً ونصف كيلوغرام من الهيروويين الايراني، أي أربعة أضعاف ما صادرته عام ١٩٧٨، واعتقلت ١٧٠ ايرانياً بتهمة التهريب.

وتعود مشكلة بريطانيا، في جانب منها، الى عدد الايرانيين الكبير فيها، وكثيرون منهم يتعاطون الهيروويين. وقد تضخم هذا العدد بعد سقوط حكم الشاه وتدفّق الايرانيين على بريطانيا طلباً للّجوء السياسي. وبما أن الكيلوغرام الواحد من الهيروويين يكلف عشرة آلاف دولار في طهران ويباع بـ١٦٠ ألفاً في لندن، فقد آثر بعض اللاجئين تحويل ثروته الى هيروويين ونقلها على هذا النحو. وتشير المعلومات الرسمية الى أنّ الادمان في بريطانيا يرتفع بنسبة ٢٠ في المئة سنوياً.

قطع الطريق – ترى ما العمل لمواجهة هذه الحال؟ اذا شاءت الحكومات الاوروبية أن تكسب حربها ضدّ المخدرات، فعليها أولا أن تنظر واقعياً الى الامر. وقد صرّح مسؤول في وكالة المخدرات الامريكية بالآتي: "ظلت الحكومات الاوروبية طوال سنوات تخبرنا أنّ الهيروويين مشكلة أمريكية لا يمكن مطلقاً أن تحدث في اوربا". والمؤسف أنه ليست هناك دلائل على الاهتمام الرسمي المتزايد بالامر الا في المانيا الغربية، حيث أصدرت وزارة الداخلية أخيراً بياناً تقول فيه انها تعتبر مشكلة المخدرات في البلاد "مساوية لمشكلة الارهاب". ويرى رئيس شعبة المخدرات اريك شتراس أنّ حلّ المسألة يكمن في اتفاق جميع المعنيين على قطع الطريق على المهربين ابتداء من تركيا. ويضيف: "لا يمكن أن نضيع وقتنا في تعقّب مئات المهربين في اوروبا. وينبغي التركيز على مخططي العمليات المتسترين".

ومن أهمّ طرق التصدي للمسألة انتهاج خطة موحّدة لمعاقبة باعة المخدرات ومستهلكيها ولاعادة تأهيل المدمنين. ويلاحظ جون وورنر من وكالة المخدرات الامريكية أنّ معاقبة مدمني الهيروويين وتجاره بالسجن في المانيا لن تجدي كثيراً اذا تساهلت الحكومة الايطالية، مثلا، مع متعاطي الهيروويين في ايطاليا.

لكنّ فرض القوانين الصارمة، كما تبين للامريكيين، لا يمكن أن يكون وحده حلا للمشكلة. وفي رأي فرنسوا لو مويل، رئيس فرقة مكافحة المخدرات في فرنسا، أنّ العلاج الوحيد الثابت هو القضاء على الطلب: "أنّ تهريب الهيروويين لن يتوقّف ما لم تُقْفَل سوقه". وهذا يعني، في المدى البعيد، تغيير الظروف الاجتماعية التي تولد لدى الاحداث حاجة الى خلق فردوس اصطناعي. ويمكن بدء التغيير باحداث برنامج لاعطاء معلومات حول المخدرات وسوء استعمالها.

ومهما قرر الاوروبيون فعله، عليهم أن يدركوا، قبل كل شيء، أن الوقت قصير. ان الهيروويين ينفث سمومه وينتشر كالسرطان في جسم القارة الهرمة. وما لم تتخذ تدابير حاسمة لمكافحة هذا المرض، فلن تعود السيطرة عليه ممكنة.

■ **كريستوفر ماتيوز**

ان عدم التعاون مع الشرّ هو واجب لا يقلّ أهمية عن التعاون مع الخير.

غاندي

دائرة المعارف

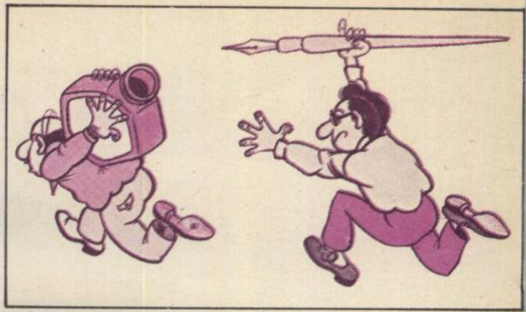

اعتادت "المختار" ان تقدم الى قرائها تفسيراً لكل كلمة جديدة، اما لانها اعجمية واما لان استخدامها يقتصر على اقاليم في الوطن العربي دون اخرى. وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

٠١ **سنسكريتية:** مذهب ديني ـ لغة هندية ـ جنون ـ لغة صينية.

٠٢ **طماطم:** يقطين ـ ابل سريعة ـ بندورة ـ سيوف.

٠٣ **فيتو:** عزلة ـ قرار بالحرب ـ نَقْض ـ خطاب سياسي.

٠٤ **مَحارة:** سمكة ـ حظيرة الغنم ـ فراشة ـ صَدَفة.

٠٥ **ميناء:** مادة زجاجية ـ حقل طيران ـ ساعة ـ فتاة حسناء.

٠٦ **جيولوجيا:** فن العمارة ـ علم طبقات الارض ـ مساحة ـ علم الحياة.

٠٧ **مَرمَر:** حجر كريم ـ رُخام ـ ثمر مر ـ زجاج.

٠٨ **أيْض:** تزاوج ـ صفار البيض ـ فأر ـ تفاعل كيميائي.

٠٩ **نابض:** رفاص ـ قفل الباب ـ حيّ ـ شجاع.

١٠ **لُبان:** علكة ـ لبن الماعز ـ حلوى ـ شراب.

١١ **سَمّور:** صديق ـ هرّ بري ـ قُنْدُس ـ محدّث لبق.

١٢ **مِقْراب:** وعاء ماء ـ مجهر ـ عصا الراعي ـ تلسكوب.

١٣ **رَبّوط:** ذئب ـ رجل آلي ـ قيد ـ حبل متين.

١٤ **خِلاسي:** اسود وابيض ـ سارق ـ ابن عاقّ ـ اثيوبي.

١٥ **سُدّ:** حَوَر العين ـ خزان ـ اعتام العين ـ سكتة دماغية.

١٦ **احافير:** قوائم ـ متحجرات ـ نبش الآثار ـ ثقوب.

١٧ **آجُرّ:** اسمنت ـ خشب الارز ـ قرميد ـ عربة جياد.

١٨ **انتروبولوجيا:** علم الانسان ـ جغرافية ـ علم النفس ـ فلسفة.

١٩ **صنبور:** قدر كبيرة ـ لئيم ـ من الفاكهة ـ حنفية.

٢٠ **حافلة:** طائرة مروحية ـ دراجة ـ قاعة رقص ـ اوتوبيس.

٢١ **جِير:** زيتون ـ جبل جليد ـ جِصّ ـ صوان.

٢٢ **عُنّة:** صوف ـ لجام الفرس ـ انين ـ عجز جنسي.

٢٣ **كابح:** حاجز ـ فرامل ـ حظ سيىء ـ محرّك.

٢٤ **غَرَين:** صمغ ـ فتى ـ مياه معدنية ـ طمي.

٢٥ **زُحار:** اسهال ـ تفتت ـ شخير ـ سعال.

٢٦ **اهليلجي:** ازرق سماوي ـ بيضيّ ـ متقلب المزاج ـ كروي.

٢٧ **باليونتولوجيا:** شعوذة ـ لغة قديمة ـ جراحة ـ علم المتحجرات.

٢٨ **رابّ:** رجل آلي ـ صيرفي ـ زوج الام ـ من الزواحف.

٢٩ **كُزاز:** حقنة ـ تشنج ـ بسمة ـ غيبوبة.

٣٠ **شطيرة:** سندويش ـ سكين حادة قطعة لحم ـ سترة.

الأجوبة الصحيحة

١٠ **سنسكريتية:** لغة الهند الادبية القديمة. وهي ما زالت سارية في شمال البلاد.
٢٠ **طماطم:** بندورة. طَمْطام: وسط البحر. جواد طموم اي سريع.
٣٠ **فيتو:** حق النقض او الرفض. ويقصر استخدامه في مجلس الامن الدولي على الاعضاء الدائمين فيه اي، على الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي والصين وفرنسا وبريطانيا.
٤٠ **مَحارة:** صَدَفة. مَحارة الاذن: جوفها.
٥٠ **ميناء او مينا:** مادة زجاجية صلبة يطلى بها المعدن خصوصاً. ايضاً: مرسى السفن. جمعها موانٍ وموانىء.
٦٠ **جيولوجيا:** علم طبَقات الارض.
٧٠ **مَرمَر:** رُخام. ايضاً: رمان كثير الماء. مَرمَرة: مطر كثير.
٨٠ **أيض:** مجموع النشاطات الكيميائية المتعلقة ببناء المادة الحية في الجسم واندثارها.
٩٠ **نابض:** رفاص او زنبرك. يقال نَبَض نابضه اي هاج غضبه.
١٠٠ **لُبان:** علكة. ايضاً: صنوبر وصمغ يتحلب من الشجر.
١١٠ **سمور:** قندس. حيوان ثديي احمر اللون، تتخذ من جلده فراء ثمينة.
١٢٠ **مقراب او مِرقَب:** تلسكوب. منظار يستخدم لرؤية الاجسام البعيدة.
١٣٠ **ربوط:** رجل آلي.
١٤٠ **خِلاسي:** ولد من ابوين اسود وابيض. خُلْسة: فرصة مناسبة.
١٥٠ **سَد":** إعتام في عدسة العين ينتج منه عمى جزئي او كلي".
١٦٠ **احافير:** بقايا حيوان او نبات من عصر جيولوجي سالف مستحجرة في الارض.
١٧٠ **آجر":** قرميد. طين مشوي يبنى به.
١٨٠ **انتروبولوجيا:** علم يبحث في اصول الجنس البشري وتطوره وعاداته.
١٩٠ **صنبور:** حنفية. ثقب الحوض الذي يخرج منه الماء.
٢٠٠ **حافلة:** اوتوبيس او باص.
٢١٠ **جِير:** جص". الجيّار: الكلس قبل ان يطفأ.
٢٢٠ **عُنّة:** عجز جنسي. ايضاً: الحبل. عَنان: سحاب.
٢٣٠ **كابح:** فرامل. ايضاً: ما استقبلك مما يُتطير منه.
٢٤٠ **غرين:** طمي. طين يحمله السيل.
٢٥٠ **زُحار:** اسهال يرافقه دم وألم ويسمى "ديزنطاريا".
٢٦٠ **اهليلجي:** بيضي" الشكل. الاهليج شجر ينبت في الشرق الاقصى، ثمره يشبه حب الصنوبر.
٢٧٠ **باليونتولوجيا:** علم المتحجرات واشكال الحياة في العصور الجيولوجية الغابرة.
٢٨٠ **راب":** زوج الام. رابة: امرأة الاب. ربيب: ولد من زوج آخر.
٢٩٠ **كُزاز:** تشنج عضلات العنق والفك. ايضاً: رعدة من شدة البرد.
٣٠ **ـ شطيرة:** سندويش. شطير: نصف.

المستوى

٢٥ ـ ٣٠: ممتاز

١٩ ـ ٢٤: جيد

١٣ ـ ١٨: مقبول

كتاب الشهر

الرسالة الأخيرة

قصة بطولية من الحرب الثانية

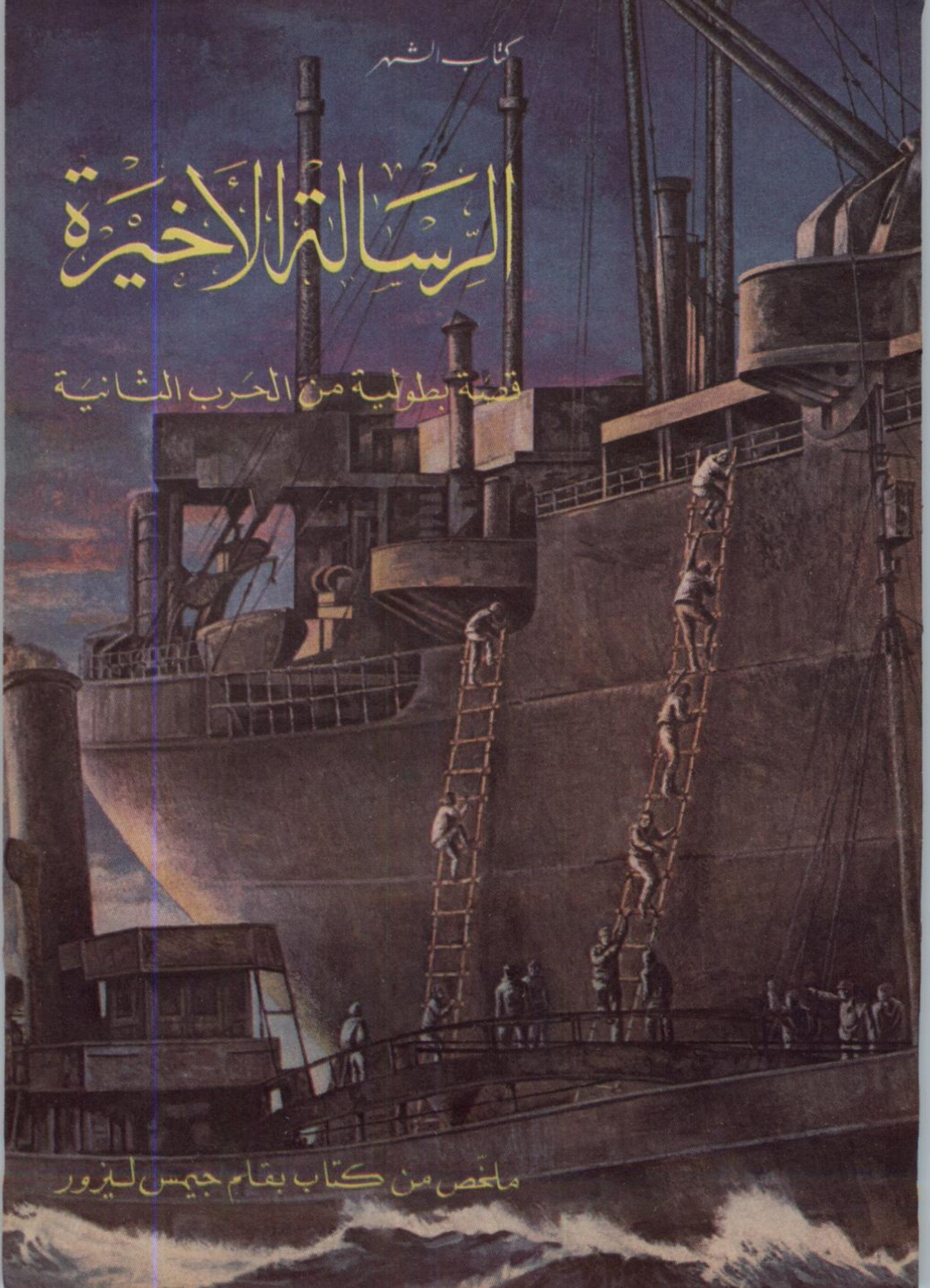

ملخص من كتاب بقلم جيمس ليزور

الرسالة الأخيرة

في مطلع العام ١٩٤٣، كانت الحرب على أشدها في الشرق الاقصى، وراحت الغواصات الالمانية في المحيط الهندي تقصف سفن الحلفاء الى حـَد عجزوا معه عن التعويض.

ومن أجل وقف تلك الاعمال، كان على الحلفاء ان يقضوا على حلقة للتجسـّس وينقضـّوا على إحدى السفن الالمانية لاسكات جهاز سري للارسال مخبوءٍ فيها.

والوحيدون الذين كان في امكانهم تنفيذ تلك المهمة هم حفنة من رجال الاعمال البريطانيين المرموقين في كلكوتا (الهند) الذين بقوا خارج الخدمة العسكرية لتقدمهم في السن او لاسباب صحية مختلفة. غير ان اولئك المدنيين المتوسطي العمر نفذوا المهمة الدقيقة والخطرة الموكولة اليهم على خير وجه حتى استحال عملهم البطولي رواية مثيرة في حقل الاستخبارات.

وقد سجل جيمس ليزور أخيراً تلك الرواية التي بقيت سنين طويلة طي الكتمان لما تنطوي عليه من أسرار، في كتابٍ شهد رواجاً كبيراً وسيحوّل قريباً فيلماً سينمائياً (★).

(★) بناءً على طلب عدد من الاشخاص الذين لعبوا دوراً في الاحداث المسجـّلة هنا، حـُذف بعض الاسماء وبـُدّلت أسماء أخرى وأ ُدخلت تعديلات معيـّنة على أدوار بعضهم.

«Boarding Party», Copyright (c) 1978 by James Leasor,
publisheb by William Heinmam Ltd., 15 Queen Street, London.

مع هبوط المساء أخذ الموج يرتفع في عرض المحيط الهندي. وكانت الموجة تلد الموجة وقد بلغ طول الواحدة كيلومتراً. وهكذا، عندما حاولت الغواصة الالمانية "يو - ١٨١" أن ترفع عدستها الكاشفة فوق الماء، طغت عليها الامواج العاتية فلم ترتفع أكثر من مستوى زعانف سمكة القرش.

وفي غرفة المراقبة ثبَّت الحارس عينه على العدسة وهو منحنٍ نصف انحناءة، ونظر ليرى حجاباً أخضر قاتماً وفقاقيعٍ من الزَّبَد المالح. ولاحت له بقَعٌ من السماء هنا وهناك بين جبال المياه. وأخذ يحرك مقبض المنظار بتؤدة ولا يزيحه أكثر من درجتين كل مرة، حتى ظهرت له، على بعد ٥٠٠ متر، سفينة تجارية يتقاذفها الموج ويخطط الصدَّأ هيكلها الرمادي البالي. واستدار الحارس نحو قائد الغواصة قائلا: "انها في مكانها يا سيدي".

ونظر الملازم فولفغانغ لوث عبر العدسة فرأى السفينة على قمة موجة مزبدة. وكانت تلك السفينة البريطانية، "دورينغتون كورت" التي تزن ٥٢٨١ طناً، متجهة من كلكوتا غرباً الى لورنسو ماركيس ودوربان في افريقيا.

ان معرفة قيادة الغواصة بوجود السفينة هناك في ذلك الوقت لم تكن مصادفة. فقبيل طلوع الضوء صباح ذلك اليوم، ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٢، ارتفعت "يو - ١٨١" الى سطح الماء في وقت متَّفق عليه لتتبلَّغ رسالة بالراديو من محطة مجهولة.

وقد حَدَّدت الرسالة للملازم لوث الاتجاه الذي يمكنه من اعتراض سفينة الشحن البريطانية في حدود الثامنة والنصف من ذلك المساء. ومنذ مطلع ذلك الشهر حتى تلك الساعة، تلقى الملازم لوث رسائل مماثلة حول سفينة يونانية واثنتين نروجيتين وثلاث سفن امريكية، وهي كلها للشحن. وقد أغرقها جميعاً. وهو سيضيف الى القائمة السفينة البريطانية "دورينغتون كورث".

ودُهش لوث لدقة المعلومات التي تلقاها. فمن أجل حساب نقاط التقاطُع على هذا النحو المضبوط، لا يكفي ان يعرف جامع المعلومات اتجاه السفينة المحدد، بل يجب ان يعرف ايضاً سرعتها ووقت مغادرتها الميناء وتفاصيل أخرى حول حمولتها وطاقتها. وجعلته الوجهة التي جاءت الرسالة عبرها وقوة اشاراتها يظن ان جهاز الارسال موجود في مكان ما على ساحل الهند الغربي، جنوب بومباي. ولكن كيف يتسنى لجاسوس الماني ان يعمل بهذه الفاعلية ورباطة الجأش في الهند التي تحكمها بريطانيا، علماً ان العدو يحيط به من كل جانب وهو لا يتوانى عن ارسال معلوماته كل مساء من غير ان يكتشفه أحد؟

وأدار حارس الغواصة مقبض المنظار دورة كاملة عله يرى سُفُناً أخرى في الجوار. لكنه لم يشاهد سوى البحر يمتد الى اللانهاية. وبعدما أدرك لوث ان الغواصة في مأمنٍ من نار الحلفاء، أصدر اوامره باطلاق قذيفتي طوربيد وتتبُّع أثرهما. وارتفع جدار أخضر من الماء

عندما أصابت القذيفتان "دورينغتون كورث". واندلع اللهب البرتقالي في مؤخَّرها. وفي تلك الاثناء ارتفعت "يو - ١٨١" فوق الماء وفتحت النار على بحارة "دورينغتون كورث" الذين كانوا يحاولون انزال زوارق النجاة.

وغرقت السفينة بسرعة ابتداء من مؤخَّرها. وأخيراً ارتفعت فقاعة هواء عملاقة، ولم يعد على سطح الماء سوى صوار وصناديق عائمة ورؤوس الناجين تبرز من وقت الى آخر وهم يبذلون قصارى جهدهم للسباحة نحو زوارق النجاة. وضبط لوث ساعة يده على آلة قياس الوقت، فاذا بها الثامنة والدقيقة الرابعة والثلاثين.

اللجنة السرية

في البحرية البريطانية في لندن جلس اثنا عشر رجُلا بوجوه كالحة حول طاولة مستديرة يكسوها قماش أخضر قاتم، في غرفة على عمق ٥٠ متراً تحت الارض. وكان لون وجوههم الرمادي ينمّ عن أناس حُجبوا طويلا عن الشمس والهواء النقي. اولئك الرجال هم أفراد لجنة سرية تابعة للبحرية، اوكلت اليها مهمة العمل على وقف اغراق السُفُن في المحيط الهندي.

وكانت الحرب تسير على نحو سيىء بالنسبة الى الحلفاء. فالقوات اليابانية استولت على هونغ كونغ والملايو وبورما وعقدت العزم على اجتياح كلكوتا. ورأى الحلفاء ان جهودهم الحثيثة لاقامة تحصينات حربية على الحدود الشرقية للهند ذهبت أدراج الرياح عندما ادركوا ان سُفُن الشحن التجارية كانت تُقْصَف بسرعة لا يمكن تعويض شيء معها. ففي ستة أسابيع أَغْرقت الغواصات الالمانية ٤٦ سفينة في المحيط الهندي، بحمولتها التي تتجاوز الـ٢٤٠ ألف طن. وعُرف من روايات البحارة الناجين ان الغواصات المغيرة كانت كلها المانية، وليس يابانية كما في الماضي. ولكن كيف يستطيع الالمان ان يعملوا بتلك الجدارة وسط مياه تفصلها عن بلادهم مسافات كبيرة.

وكان ربابنة سفن الشحن الحليفة التي تنقل حمولات مهمة يُسَلَّمون أوامر مختومة يُطْلَب منهم فتحها وهم في عرض البحار. وهي تحتوي على معلومات لتبديل وجهة السفينة عبر منعطفات تبعد مئات الكيلومترات عن الخط الاصلي. وعلى رغم ذلك، كانت تبرز غواصة المانية من الماء لتعترض تلك السفن. وهذا لم يدع مجالا للشك في ان لدى الالمان شبكة تجسُّس على الارض الهندية تعمل بدقة لامتناهية.

وقال عميد بحري في اجتماع اللجنة السرية: "لقد أرسلتُ طلباً الى الحكومة الهندية يحثّ استخباراتها على وجوب اكتشاف المصدر الذي تتسرب منه المعلومات".

وأعرب أحد ضباط اللجنة عن شكه في أن يسفر ذلك الطلب عن نتيجة: "لقد اوقفوا اعتقال الاشخاص الذين يؤلبون الرأي العام علينا ويصفون حربنا بأنها امبريالية... ترى كيف تكون استخباراتهم الخاصة بالبحرية؟".

- انهم لم يستنفدوا امكاناتهم بعد. غير انهم بذلوا جهوداً قوية بالنسبة الى اليابانيين.

وكانت تلك اللجنة السرية التي تحمل اسم "منفذية العمليات الخاصة" - واختصارها "سو" - تعمل إسمياً في إشراف وزارة الاقتصاد. وكانت طرقها ناجحة، وان تكن غير تقليدية، ومنها الخطف والاغتيال السياسي وتزوير الوثائق الرسمية. وكانت "سو" افتتحت لتوّها فرعاً في الهند لتنفيذ بعض العمليات السرية مثل إرسال مخربين محترفين الى بورما والملايو اللتين كانت تحتلهما اليابان. ووافق أعضاء اللجنة في لندن على الايعاز الى فرع "سو" في الهند بالعمل فوراً على حلّ مسألة تسرّب المعلومات حول السُّفُن.

وكان مقر "سو" في الهند آنذاك بيتاً ريفياً من طبقة واحدة يقوم في بلدة ميروت القريبة من العاصمة دلهي. وهناك، بعد أيام قليلة، اجتمع الرجال الخمسة الذين يمثلون قيادة "سو" في الهند.

وكانت أجهزة مراقبة الراديو تحرت عن الاذاعات غير الرسمية، فلم تعثر على اي جهاز ارسال يعمل على الساحل الغربي للهند. الا ان المسؤولين اكتشفوا، منذ ديسمبر (كانون الاول)، محطة ارسال تبث رسائل ليلية من مكان على الساحل يبعد ٤٠٠ كيلومتر جنوب بومباي ويقوم على المستعمرة البرتغالية الصغيرة "غوا". والواقع ان مصدر تلك الاشارات حُدِّد بدقة وتبين انه ميناء مارماغاو، وهو مرفأ غوا الرئيسي. وكانت الاشارات تبدّل كل مرة. لكنها كانت كلها بالالمانية، وهي تتعلق بتفاصيل حول مواقع السفن الحليفة والاماكن المتجهة اليها وحمولاتها.

هل يعقل ان يكون وُضع جهاز ارسال في احدى السفن الراسية هناك؟ وهي أربع سفن تجارية تنتمي الى دول المحور، وقد وجدت في ميناء مارماغاو أقرب مرفأ محايد تحتمي به عند اندلاع الحرب. والسفن ثلاث المانية: "أهرنفلس"، "دراكنفلس"، "براونفلس"، وواحدة ايطالية: "أنفورا". وقد طلبت السلطات البرتغالية نزع جهاز الراديو من كل سفينة ترغب البقاء في الميناء. ولكن ربما كان في احداها جهاز آخر لم تعرف السلطات شيئاً عنه.

وقال الكولونيل لويس بيو، ذو الشعر الرملي والجسم الناحل: "أظنّ ان جهاز الارسال موجود في السفينة اهرنفلس". وكان بيو، الذي ضاق ذرعاً بالترقيات العسكرية البطيئة أيام السلم، انضم قبل سنوات الى دائرة الاستخبارات التابعة لشرطة البنغال وعُيِّن قرب كلكوتا. وهو الآن في أواسط الثلاثينات من العمر.

وأضاف: "لقد عرّجت "اهرنفلس" على كلكوتا، وهي مقبلة من طوكيو، قُبيل اندلاع الحرب. وبلغتنا معلومات ان على متنها جاسوساً متمرساً يُعرف باسم ترومبيتا. وتمنينا ان ينزل الى الشاطىء لنعتقله بحجة ما. غير انه لم ينزل البتة، بل زاره بعض الهنود والالمان

من مؤيدي النازية وهو على ظهر السفينة. وقبل ساعات من اعلان الحرب، غادرت "اهرنفلس" كلكوتا وسط الظلام، من غير اعلام سلطات الميناء، وأبحرت توا الى غوا حيث لا تزال منذ ذلك الوقت. أما ترومبيتا فأقام فيها ثلاث سنوات، وهناك درّب عدداً من الجواسيس وهو الآن يستعملهم.

"لقد خُطِفْنا"

ترى كيف يمكن اسكات تلك الحلقة التجسُّسية؟

درس جماعة "سو" فكرة شن هجوم على السفينة وهي راسية في الميناء، لكنهم وضعوا الفكرة جانباً على مَضَض. وعلى رغم أن غوا أرض صغيرة تمتد مسافة ١٠٥ كيلومترات على الساحل الهندي ولا تتجاوز مساحتها الـ٣٦٠٠ كيلومتر مربع، الا انها معتبرة ارضاً برتغالية. ومعلوم ان البرتغال بلاد محايدة بالنسبة الى الحرب الدائرة. وكان حياد البرتغال أمراً بالغ الأهمية في أعيُن الحلفاء، وحظرت وزارة الخارجية البريطانية أي عمل من شأنه انتهاك ذلك الحياد.

أيعقل، اذاً، وضع قنبلة موقوتة داخل السفينة؟

لا شك في ان بحارة "اهرنفلس" ينزلون الى الشاطىء لابتياع الطعام والخضر. وليس من الصعب اخفاء قنبلة في سلة مانغو او برتقال يحملها أحدهم معه. لكن بيو تنبه الى أنها "من الراجح أن تنفجر على ظهر السفينة، فلا تؤذي جهاز الارسال المخبوء في الداخل.

وبُحث موضوع الرشوة. وفي أواسط ديسمبر (كانون الأول)، أرسلت "سو" عميلا هندياً الى غوا لمحاولة اقناع الكابتن روفر، قائد اهرنفلس، بالابحار بالسفينة خارج مياه غوا الاقليمية حيث يتسنى للحلفاء القبض عليها، وذلك في مقابل مبلغ ٢٠ ألف جنيه استرليني، يمكن ان يرفَع الى ٣٠ الفاً ويُدفَع في أيّ عملة وأيّ مكان في العالم.

إلاّ انّ المهمة أخفقت. فقد اتصل العميل بالكابتن روفر. لكن هذا رفض العرض على نحو قاطع ولم يشأ الخوض فيه.

وكان بين قادة "سو" الكابتن غافين ستيوارت، وهو عملاق يبلغ طوله ١٩٠ سنتيمتراً ويتمتع ببنية قوية وطبعٍ متحمس. وقد راقته جرأة بعض خطَط "سو"، وقال: "سبق ان أعربتُ عن رأي سأكرره الآن وهو أنه اذا عجزنا عن اخراس جهاز الارسال نفسه، فعلينا اخراس الرجُل الذي يقبع وراءه". واقترح خطة لخطف ترومبيتا كانت تحفّها أخطار جسيمة. لكن الجماعة أقرّتها إذ لم تجد سبيلا آخر.

وتوجه بيو أولا الى كلكوتا حيث قابل صديقه القديم بيل غرايس، الذي يعمل مديراً لشركة كيميائية كبيرة ذات فروع متعددة، وحصل منه على رسالة تحمل خاتم شركة "ميدنابور زيميندازي" المعنية بأحد مشاريع الفول السوداني في غوا، وتفيد ان بيو وستيوارت موظّفان لديها. ومن ثم سافر بيو غرباً للقاء ستيوارت في بومباي. وهناك ابتاعا

سيارة فورد مستعملة طُليت باللون الطحيني (البيج) الشائع لئلا تلفت النظر. وارتدى الاثنان ثياباً مدنية وانطلقا في السيارة عبر الطريق المغبرة جنوباً الى غوا. وعندما بلغا الحدود فتحا الرسالة أمام أحد المسؤولين هناك. لكنه سمح لهما بالعبور من غير ان يتحرك من كوخه.

وفي غوا حصلا من القنصل البريطاني على عنوان البيت الريفي في بانجيم، عاصمة المستعمرة، الذي يقيم فيه ترومبيتا ويستقبل ضيوفه الآتين من الهند. وكان ترومبيتا رجُلا فظاً، عريض الكتفين، ممتلىء الجسم، في مطلع الأربعينات من عمره، وأَحَد أهم جاسوسَيْن الالمانيَّيْن في الشرق. وكان الجاسوس الآخر، ريتشارد سورج، يقيم في طوكيو، وقد عمل الاثنان معاً الى ان نُقل ترومبيتا الى كلكوتا ثم الى غوا. وفي غوا اختار ترومبيتا منزله في شارع بي اغنيلو، قرب تقاطُع يقف عنده أحد رجال شرطة السير نهاراً وتبقى حوانيته مفتوحة بعد غياب الشمس. وهذا من شأنه تعقيد أي عملية يقوم بها العَدُو لاغتياله أو اختطافه.

وفي الثامنة من صباح اليوم التالي وقف رجُلان على شرفة منزله. وقال أحدهما بالألمانية: "لدينا رسالة عاجلة لك. دعنا ندخل بسرعة". وما أن أصبحا في الداخل حتى تناول بيو، وهو أقصر من زميله، مسدسه الاوتوماتيكي.

وقال ترومبيتا: "كنتُ اتوقع أمراً من هذا النوع". وبعد دقائق أُرغم وزوجته، بقوة السلاح، على مغادرة منزلهما والتوجُّه نحو سيارة الفورد المنتظرة هناك. وعند وصولهما الى الشارع صرخ ترومبيتا فجأة بالانكليزية: "النجدة! لقد خَطِفْنا". وشرع يركض نحو شرطي السير. فقبض ستيوارت على قميصه ورماه داخل السيارة في الوراء. وأخذت زوجة ترومبيتا تولول بانفعال جنوني وتضرب سطح السيارة بقبضتيها. فأخذها بيو ورماها في الداخل، ثم قفز ستيوارت الى السيارة ووضع مسدسه في صدر ترومبيتا قائلا: "اذا لم تخرس فسأقتلك في هذه اللحظة".

وأدار بيو المحرّك. وركض شرطي المرور نحوهم ملوحاً يده، ونفخ في صفارته مشيراً اليهم بالتوقُّف. فرد عليه بيو بتلويح يده هو الآخر. وزاد سرعة السيارة.

وعندما بلغ بيو وستيوارت طريقهما نحو الحدود مبتعدَين عن بانجيم، أوقفا السيارة وحقنا ترومبيتا وزوجته بالبنتوثال ليشعرا بالنعاس والاسترخاء، واسدلا ملاءة فوقهما. وتسلق بيو أقرب عمود للتلغراف وقطع أسلاك الهاتف.

ولدى بلوغهما الحدود لم يجدا اي صعوبة في العبور. فقد ألقى المسؤول نظرة لامبالية على السيارة الطحينية وأطلقهما في طريقهما وراء الحدود.

وأسفر استجواب ترومبيتا عن القَبْض على جاسوس هندي، وهو كاتب مستاء من وظيفته يعمل في مكتب للسفن، وعبره على جاسوسين آخرين. ولكن ما ان مضى اسبوعان

حتى عادت الرسائل الى سابق عهدها من ميناء مارماغاو. وفي الاسبوع اللاحق أُغرقت خمس سُفُن حليفة.

وعقد قادة "سو" اجتماعاً آخر في ميروت، شمال الهند، قال فيه بيو: "من المستحيل القبض على جميع الجواسيس. واذا اعتقلنا الشخص الذي حلّ مكان ترومبيتا، فهناك ثالث سينوب عنه، ويليه آخر فآخر. لذلك دعونا نحصر أفكارنا في تحطيم الجهاز نفسه".

وأصدرت السفارة الألمانية في لشبونة احتجاجاً شديد اللهجة على خطف المواطنَين الالمانيَّيْن (ترومبيتا وزوجته) من غوا. واتهمت البريطانيين بخرق الحياد البرتغالي، فيما كررت لندن تحذيراتها الشديدة لدلهي حول الأمر. لذلك اقترح بيو الآتي: "اذا عجزت القوى النظامية المحترفة عن العمل، فلماذا لا نلجأ الى الهواة؟ لماذا لا نكلف مجموعة من المدنيين المخلصين، مؤلفة من ١٥ أو ٢٠ شخصاً، التوجّه الى السفينة وتعطيل جهاز الارسال؟".

نادي "الحصان السريع"

وكان بيو يفكر في صديقه بيل غرايس، رجُل الأعمال الذي يقيم في كلكوتا والذي يقود فرقة فرسان رديفة أبلت بلاء حَسَناً في عدد من المهمات الاجتماعية والرياضية، كما كانت تتمتع بامكانات عسكرية بارزة. واذا أخفقت تلك المجموعة في احدى محاولاتها، فيمكن القول ان أفرادها ذهبوا الى غوا لقضاء عطلة كما يفعل كثيرون سواهم، وهناك راودتهم فكرة الصعود الى السفينة الالمانية. وستطلق السلطات البرتغالية بعض التهديدات الفارغة، لكنها لن تتعدى ذلك، إذ لا يمكن القول ان اولئك الرجال يحاربون في صفوف الحلفاء.

وسُئل بيو: "من هم اولئك الرجال؟"

فأجاب: "إنّ معظمهم مديرو شركات ومحامون ومحاسبون وتجار قنّب، وهم جميعاً ينتمون الى "نادي الحصان السريع" في كلكوتا".

ويعزى تأسيس النادي الى روبرت كلايف الذي حكم مقاطعة البنغال مرتين. وهو أنشأ عام ١٧٥٩ قوة صغيرة من الفرسان غير النظاميين، وهم اوروبيون مقيمون في كلكوتا، لقمع التهديدات العسكرية الهولندية للوجود البريطاني في المنطقة. وفي السنوات التالية انضم عدد من الشبان الانكليز الى النادي، وكانوا يقومون برحلاتهم التجارية والمهنية الاولى خارج بريطانيا، للعيش بثمن زهيد في بيت النادي ولقاء مواطنين لهم هناك. كما أغراهم بالانضمام الى النادي ان في امكانهم ركوب الجياد في مقابل أجر من حكومة الهند يبلغ ٣٢ روبية (نحو ستة دولارات) شهرياً للفارس الواحد، شرط رعاية حصانه. وفُرض على كل منهم الانضمام الى مخيم سنوي يدوم اسبوعين خلال الصيف، اضافة الى عدد من العروض المسائية على مدار السنة. وكان في عداد نشاطاتهم الفروسية امسيات يقضونها في مقصف النادي. وكانت الصداقة واللهو أهم ما يشدهم الى "الحصان السريع".

ومع اعلان الحرب تطوع جميع رجال النادي. وباشر كثير منهم الخدمة الفعلية خلال أسابيع. لكن عدداً من أعضاء النادي لم يلتحق بزملائه لسبب أو آخر. فمنهم من كان متقدماً في السن أو يحتل مركزاً حساساً في شركته أو يرى الأطباء عدم أهليته.

وقال بيو: "إلاّ انهم شديدو الحماسة لأي مهمة من شأنها تعزيز أهداف الحرب".

المتطوّعون النبلاء

وتدخل أحد رجال "سو" قائلا: "لقد سمعتُ بهم وحضرت بعضاً من حفلاتهم. وهناك من يدعوهم "حصان كلكوتا الثابت". أنهم جميعاً رجال بيض من ذوي المكانة الاجتماعية. وهم بارعون في البولو وسباقات الركض ولعبة "الأرانب وكلاب الصيد".

وأضاف بيو: "لا شك في أنه ليس من السهل بالنسبة الى ١٥ رجلا، معظمهم في منتصف العمر، ان يتفوقوا على قرابة ١٢٠ شاباً من البحارة الألمان والايطاليين. غير أني آمل ألا يكون جميع اولئك البحارة على متن "اهرنفلس". وفي امكاننا تمويل حفلة لهو على الشاطىء من أجل انقاص عدد البحارة".

وهنا ارتسمت ابتسامة شاحبة على وجه كولن ماكنزي، مدير "سو" في الهند، الذي قال: "هذه الفكرة لا تروقني أكثر مما راقتني فكرة خطف ترومبيتا. لكن عملية الخطف كانت ناجحة. وهذه العملية يمكن ان تنجح أيضاً، وكما تقولون، ليس هناك من بديل".

في مقرّ نادي الحصان السريع في كلكوتا، وقف بيل غرايس، الرجُل الاربعيني الممتلىء الجسم والناحل الوجه الذي خدم في البحرية خلال الحرب العالمية الاولى، على صندوق حَوّل منصّة. وكانت الساعة تجاوزت السادسة والنصف عصراً بدقائق قليلة. وجلس قبالته جميع أعضاء النادي الذين تمكن معاونوه من الاتصال بهم ذلك اليوم.

الكولونيل بيل غرايس.

وخاطبهم غرايس قائلا: "تعرفون، أيها السادة، أن هذا النادي لم يعمل كجمعية منظمة منذ حرب البوير عام ١٩٠٠. وها أنذا في هذه الأمسية أدعو الى التطوّع. فهناك حاجة الى ١٨ رجلا لانجاز مهمة خاصة وسرية ضد الالمان. ولا يمكنني الافصاح بشيء عن العملية الا انها ستستغرق نحواً من اسبوعَيْن وتنطوي على رحلة بحرية قصيرة. فهل يشاء أحد منكم التطوع؟".

وللحال ارتفعتْ أيدي الرجال الثلاثين جميعهم٠

وكان غرايس نفسه وافق على اقتراح لويس بيو فور سماعه به٠ وقد وصف له بيو العملية بأنها "دقيقة وعسيرة"٠ وكان على المتطوعين مواجهة أخطار انتحارية وتحمّل تبعتها وحدهم، من غير أي دعم رسمي في حال اخفاق العملية٠ فليس هناك تعويض لوفاة او اصابة٠ أما اذا نجحت العملية فلن تكون هناك مكافآت، بل سيُمنَع الرجال من قص" أخبار مغامرتهم على أَحَد٠

وكان عليهم الاستعداد لبدء المهمة بعد عشرة أيام٠ وعلى رغم ان بيو أفضى الى غرايس بهَدَف العملية، إلا أن رجاله لم يعرفوا أي" تفاصيل عنها٠ وطُلب اليهم كتمان الأمر عن عائلاتهم ومكاتبهم والاكتفاء بالقول انهم ذاهبون الى رانشي لحضور مؤتمر خاص قد يستغرق عشرة أيام أو ١٢ يوماً٠ أما رانشي هذه فموقع عسكري يبعد ٣٠٠ كيلومتر شمال غرب كلكوتا٠

ان نصف اعضاء النادي الذين رفعوا أيديهم بالموافقة لم يقبل غرايس تطو"عهم لأن صحتهم لم تسمح بذلك، مما قد يجعلهم عالة على الآخرين٠ أما الذين قَبلوا فكان عددهم ١٤، وأكمل تشكيل الفرقة باستقدام أربعة متطوعين من لواء رديف آخر هو نادي كلكوتا الاسكوتلندي٠ وبقي هؤلاء الرجال يحضرون في السادسة من صباح كل

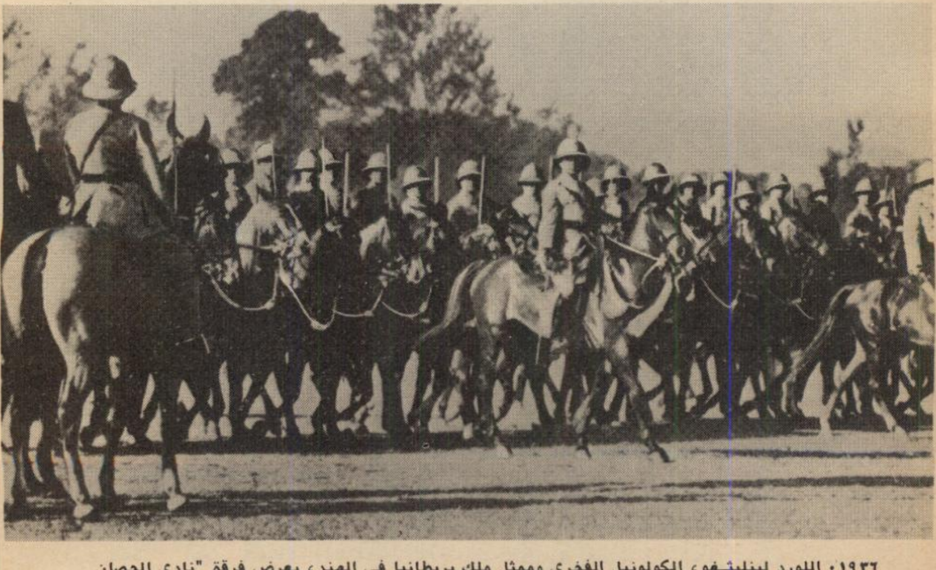

١٩٣٦٠ اللورد لينليثغو، الكولونيل الفخري وممثل ملك بريطانيا في الهند، يعرض فرقة "نادي الحصان السريع" في كلكوتا٠

يوم، طوال الاسبوع اللاحق، الى مركز عسكري بريطاني للتدريب في بلدة باليغنج، احدى ضواحي كلكوتا، حيث تدربوا على المسدسات والرشاشات الآلية التي كانوا يطلقون نارها على أهداف متحركة. وقد تم تدريبهم في اشراف رقيبين نظاميَّيْن من الجيش.

وكان المتطوعون في منتصف العمر، ويدير بعضهم مزارع للشاي، ويحمل بعضهم الآخر من المال ما يفوق موازنة دُوَل كثيرة. وها هم الآن يركضون لاهثين كجزء من مناورات عسكرية أُعدت لجنود في مثل أعمار أبنائهم، ويتسلقون الحبال كما يفعل البطل الخيالي طرزان، ويقفزون من السطوح الى السفوح تحدوهم الثقة بالنفس. كما تدربوا على الهجوم غير المسلح: كيف يتغلبون على خصم أكبر وأقوى... كيف يخنقون رجلًا بعد تجريده من سلاحه... كيف يسقطون أرضاً بين رجلي الخصم ثم يوقعونه ويقفون فوقه.

ولما رأى الهنود في ذلك الموقع العسكري رجالا في تلك السن يؤدون مناوراتهم الصاخبة، هزّوا رؤوسهم عجباً. لكنهم ما لبثوا أن تذكروا أن اولئك الأشراف الآتين من وراء البحار كانوا كلهم مجانين بمعنى أو آخر.

واستسلمت الزوجات للساعات المنبهة التي كانت تطلق رنينها في غرف النوم في الخامسة او الرابعة كل صباح. وسألت السيدة جاك برين زوجها، وهو شريك رئيسي في مؤسسة للضمان: "ولكن ماذا يمكن ان تفعل في حقل التدريب في تلك الساعة الباكرة؟ ألم تكْفِ السنون العشر التي أمضيتها في النادي لمعرفة جميع التدريبات؟".

فأجابها برين بمرح: "هناك دائماً خدَع جديدة يجدر بالكلاب الهرمة تعلّمها".

وكان متطوع آخر، هو مايك كروفتر الذي يعمل محاسباً، يعلم أنّ خطيبته ماريون ستُقلقها فكرة تمضيته مدة اسبوعين مستعملا السلاح، وان للتدرب. فقرر ألا يبوح لها بالامر. وصرف وقتاً يكتب مجموعة من الرسائل اليها واصفاً فيها زيارته الوهمية لمزرعة شاي. وكان مزمعاً على ترك الرسائل مع صديق ليرسلها تباعاً بالبريد الى ماريون خلال غيابه.

أما ديك ملبورن، وهو رجل قويّ البنية يدير مزرعة للشاي داخل البلاد، فأقام في كلكوتا لمتابعة التدريبات، لكنه كان يخابر زوجته هاتفياً باستمرار. وعندما اعلمها بأنه سيغيب اسبوعين آخرين، قالت له على الفور: "قل الحقيقة: هل هناك سواي؟ وأنا لا أعني بهذا نادي الحصان السريع، بل أمرأة اخرى".

وأجاب ديك: "صدقيني أنه ليس هناك شيء من هذا". غير أن غيرة زوجته منحته شعوراً بالرضا.

وأتى دور ملبورن عندما تسلم من غرايس لائحة بالعدة المطلوبة. فقد طُلب من جميع المتطوعين الذاهبين الى رانشي ارتداء ملابس مدنية، على أن يحملوا معهم ثياباً كاكية خشنة وأحذية عالية ذات نعال جلدية لا تنتأ منها المسامير، وان يلصقوا

قطعة لباد سماكتها ١٥ مليمتراً على كلّ نعل. وعلى كلّ منهم كذلك حمل فراش قابل للطيّ ومعدات للاكل والغَسْل وبيت الخلاء، فضلا عن مسدس و١٨ لفيفة من الذخيرة، مع خنجر للقتل الصامت وزوجين من الاغلال.

ترى أين سيجدون عدواً لطعنه بالسكين أو تقييده بالاصفاد؟ وما الذي يخبئه القدر لهم؟

أما بيو وستيوارت فانصرفا لمعالجة أمور اخرى. فهما سيقودان حفلة السَّمر بمساعدة شخص ثالث من "سو" هو جون "يوغي" كروسلي، وهو تاجر حطب في كلكوتا سبق أن دُرب في معهد ساندهيرست العسكري في بريطانيا على استخدام المتفجرات.

وكانت المواصلات من المشاكل التي واجهوها. فمن ناحية نظرية، يمكنهم جميعاً أخذ القطار الى غوا. ولكن ما أن يصبحوا هناك حتى تواجههم الحاجة الى قوارب خاصة تتولى نقلهم الى "اهرنفلس". ولا يعقل استئجار مركب ملائم أو شراؤه من أحد مرافىء الساحل الغربي القريبة من غوا، لان ذلك من شأنه أن يولد ريبة لدى روفر. ولم يكن أمامهم، اذاً، سوى ركوب سفينة في كلكوتا والابحار مباشرة من هناك. الا أنّ جميع السفن الصالحة للاستعمال صودرت خوفاً من تعرضها لغارات يابانية.

وأخيراً قر الرأي، بمساعدة عضو سابق في النادي يعمل في ادارة المرفأ، على شراء مركب نهري قديم يدعى "فيبي". وهو بطول ٦٣ متراً وعرض ١١،٥ متراً، ويتحرّك بسرعة تقارب العقد التسع (نحو ١٧ كيلومتراً في الساعة).

ولم يكن ذلك المركب سوى هيكل سفينة أو مغطس حديد عائم يديره محرّك. وكان يُستعمل آنذاك لرفع الطمي من حوض نهر هوغلي. وحار مخططو "سو" كيف يحشرون رجالهم على ظهر "فيبي" الضيق، علماً أن عليها عشرين بحاراً وعنبرها مملوء فحماً استعداداً لرحلة الـ٢٥٠٠ ميل البحرية جنوب الهند. وتقرر أن يذهب أعضاء النداي الى كوشين، التي تبعد ٦٥٠ كيلومتراً جنوب مارماغاو، وينضموا الى "فيبي" هناك. وحسبْهم أنّ لديهم الآن سفينة، مهما يكن نوعها.

ووافق برنارد ديفيس، وهو ضابط بحري متقاعد، على تولي قيادة السفينة لكي تبدو من بعيد ناقلة نفط صغيرة أو قارب ماء، "لئلا يعجب الناس لرؤية هذه السفينة النهرية الصغيرة على مسافة بعيدة جداً عن موطنها الاصلي". وابتسم ديفيس وأضاف: "لقد توليتُ امرة سفن كثيرة في السلم كما في الحرب. ولكن هذه هي المرة الاولى التي يوضع قارب نهري من هذا النوع في الخدمة الفعلية".

"لا هوادة"

هناك ثلاث من سفن المحور الاربع الراسية في ميناء مارماغاو لا تتعدى كونها مراكب قديمة وبطيئة. لكنّ "اهرنفلس" ليست احداها. لقد أُنزلت هذه السفينة الى البحر عام ١٩٣٥ وزودت بمحركي ديزل قويَّيْن من النوع الذي يستعمله الالمان في

"مع لوفتهانزا أنت بين أيد أمينة"

هذا تقرير حقيقي ومعتمد لأحد الركاب

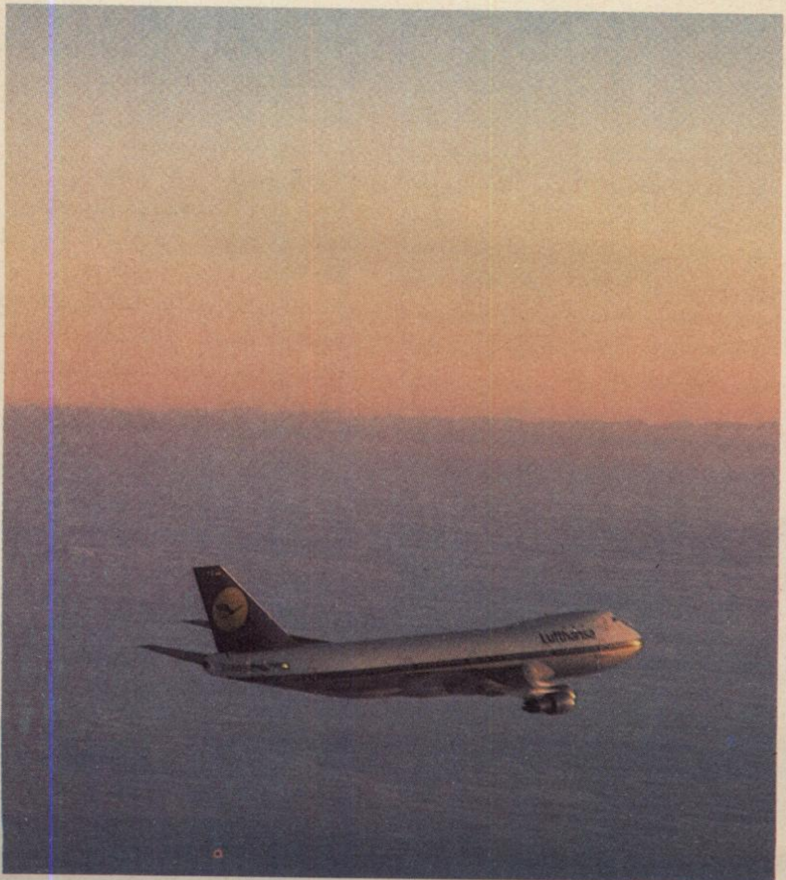

Lufthansa

الخطوط الجوية الالمانية

بوارجهم الصغيرة المبنية وفقاً لقيود فرضتها المعاهدات على التسلّح. وتبلغ سرعتها ٢٠ عقدة (٣٧ كيلومتراً في الساعة). وبُني سطحها بالفولاذ المقوّى وجُعلت على حافتها أماكن مستورة لتركيز المدافع بغية تحويلها سفينة حربية رديفة عند الحاجة. وجدير بالذكر أنّ السفينة المماثلة "بنغوين" أغرقت ٢٨ سفينة للحلفاء قبل أن تُغْرق هي نفسها.

الاّ أنّ الكابتن روفر لم ترقه الاوامر المفاجئة التي أرغمته على اللجوء الى تلك الميناء الحارة والرطبة، علماً أن سرعة السفينة كانت تكفل له الذهاب الى ميناء أخرى صديقة. لكنه أطاع الاوامر دونما اعتراض. وقدّر روفر أن يكون ترومبيتا، أحد ركاب سفينته، عميل استخبارات، وان لم يدرك مدى نجاح عمله أو خطورته. ولم يكن في غوا سوى شخص واحد يعرف ذلك، وهو فريتز بولر. أما بولر هذا فهو الضابط الاول على متن "اهرنفلس". وهو مهندس بارع للراديو وخبير في الارسال، يتكلم سبع لغات. وقد تدلى من حزامه المفتاح الوحيد لغرفة تقع في قلب السفينة كان جهاز الارسال السري مخبوءاً فيها.

ودعا روفر قادة السفن الاخرى الى الاجتماع به. وكان خطف الشخصين الالمانيَّيْن من بانجيم أفصح عن مقاصد الحلفاء تجاه السفن الراسية في مارماغاو. وخاطب روفر زملاءه قائلا: "أيها السادة، يجب أن احيطكم علماً بأن شخصاً هندياً أتى اليّ قبيل عملية الخطف بناء على تعليمات بريطانية، وعرض عليّ مبلغاً من المال في مقابل الابحار بالسفينة والاستسلام. أنّ البريطانيين اليوم في حاجة الى سفن تجارية. وهذه السفن الاربع الراتعة على رمية حجر منهم تشكل لهم اغراء كبيراً. وأنا أخشى أن يحاولوا القبض علينا".

صحيح أنّ البريطانيين كانوا حذرين جداً من أن يفعلوا شيئاً يؤدي الى ارباك البرتغال. لكنّ في امكانهم أن يرسلوا ليلا عدداً كبيراً من الجنود في غواصة أو بضعة زوارق بخارية، يفوق عدد البحارة على سفن المحور الاربع كما يبزهم تسلّحاً. وهذا يكفل مغادرة السفن الاربع الميناء قبل طلوع الفجر، ويمكن البريطانيين من الادعاء أنّ الالمان والايطاليين أبحروا بسفنهم.

وأضاف روفر: "من الآن فصاعداً دعونا نضاعف الحراسة". وراح يعرض بعض الخطط لمقاومة أيّ محاولة اعتداء. واقترح توزيع أكياس الالغام الموجودة في "دراكنفلس"، ووزن الواحد منها ٥٠ كيلوغراماً، على السفن الاربع، ووضْعها على سلم كلّ سفينة وبابها الارضي المؤدي الى العنبر وعلى ظهرها حول الحافة. وينبغي سترْ هذه المتفجرات بألواح من المعدن والمرمر وأكياس طحين، أضافة الى قصاصات معدنية وخشبية يؤتى بها من الشاطىء. وفوق ذلك كله، يجب اعداد فتائل التفجير "لكي نتمكن، بلمسة يد، من اشعال القذائف في السفن عندما يطأُها العدُوّ".

ونال اقتراح روفر قبولا لدى زملائه. ورأى الجميع أنّ التفجير على ظهر السفينة لا يوقع فيها سوى

أضرار طفيفة، لكنه يردّ المغيرين حتماً على أعقابهم. وهذا التدبير لا يشكل خَرقاً لحياد مضيفيهم البرتغاليين كما يفعل استعمال السلاح الناري.

وقال يوهان بيت، قائد "براونفلس": "أودّ أن أقترح اقامة خطّ دفاعيّ ثانٍ. وهذا يقتضي أن يحمل بحارتنا كلّ برميل زيت فارغ يجدونه على الشاطئ، ويملأوا البراميل بالكاز ويضعوها في أمكنة حساسة، ثم يزوّدوها بمضخات يدوية وخراطيم. وعند وصولَ المعتدين، يمكننا رشّ ظهور السفن بالكاز واشعال النار فيها".

وأضاف الربابنة اقتراحاً آخر وهو أنه، تمشياً مع أوامر القيادة العليا، ينبغي اغراق السفن وعدم تركها تسقط في أيدي الاعداء. لذلك يجب تشحيم الصمامات الخاصة ليمكن فتحها بسرعة. وهذه الصمامات موجودة في العمق تحت الظهر.

وأضاف أحدهم: "اذا شاهد أيّ حارس قارباً مجهولا يقترب من الميناء، فليعلم قائد سفينته فوراً بالامر، وان لم يكن ذلك القارب الغريب مثيراً للشبهات. وعلى قائد السفينة اعلام زملائه فوراً".

القلب الرّقيق

وختم روفر الاجتماع بقوله: "اننا موافقون على هذه الامور جميعاً. وسنحارب من أجل سفننا وحريتنا وحياتنا وبلادنا، مدافعين عن هذه القيم كلها دونما رحمة أو هوادة أو استسلام".

كان جوك كارترايت أحد أعضاء نادي الحصان السريع الذين لم يُقبل تطوّعهم بحجة اعتلال القلب. وهو مدير شركة تتعاطى تجارة القنب، وأبٌ لولد في الجيش سُجل على لائحة المفقودين بعد الانسحاب من رانغون (بورما). غير أنّ كارترايت كان متقداً حماسة لاخذ دور في تلك العملية. وأخيراً وافق بيو وغرايس على تسليمه مهمة خطيرة، وهي تنظيم حفلة اللهو على الشاطىء لاغراء أكبر عدد ممكن من بحارة المحور على مغادرة سفنهم في احدى ليالي مارس (آذار) تسهيلا لاجتياح "اهرنفلس".

وابتاع الفارس كارترايت سيارة مستعملة بثمن زهيد من بلدة بلغاوم التي تبعد ٤٠ كيلومتراً عن حدود غوا، وقادها الى مارماغاو. وهناك نزل في فندق "غران بالاسيو" تحت اسم عائلة زوجته. وخرج من الفندق للمرة الاولى الى عنوان حصل عليه من "سو"، وهو منزل مسؤول حكومي في غوا لديه صبيان يدرسان في الهند، وهذا قاصم للظهر في تلك الحال من التضخُّم التي تعانيها غوا.

وقال له كارترايت: "يسرني أن أتعهد تأمين جميع رسوم ابنيك اذا اتفقنا على الامر الآتي: اني أطلب اليك استخدام نفوذك الكبير لاقناع الحاكم العامّ أو أحد كبار المسؤولين بتنظيم حفلة استقبال. وأريد أن يُدعى جميع ضباط السفن الراسية في الميناء الى هذا الاحتفال. كما أود تنظيم مهرجان يغري البحارة بالحضور".

وأجاب المسؤول: "المهرجان ليس مشكلة يا سيدي. أما الاستقبال فمن

امنح اولادك المزيد من الفائدة كل شهر

إنه العَدَد الأول من مجلّة الفتيان الشهرية الرفيعة المستوى باللغة العربية تصدر بعد أن وضعت فيها مؤسّسة "والت ديزني" أفضل ما لديها من خبرة في عَالم الصّغار.

ثمانٍ واربعون صفحة بألوان "ديزني" الجذابة تغمر حياة فتيانكم بالفائدة والمتعة والسرور.

علاوة على ذلك، فان ادخال شخصيات "والت ديزني" على العديد من مواضيع المجلة يجعل اولادكم ينجذبون نحو اشياء يحبونها ربما تعجز المدرسة عن توفيرها لهم في كثير من الاحيان.

فالعدد الاول من سمور يحتوي على مواضيع متنوعة شيقة مثل اختراع الدراجة الطائرة، وقصة كرة القدم وقوانين هذه اللعبة الشعبية مزدانة برسوم جميلة، والقيثار الكهربائي والاصوات القوية التي يحدثها وغيرها من المواضيع في التاريخ الطبيعي والتسلية. كل ذلك كي تضفي جوّا مليئا بالسرور والمتعة والفائدة على جميع الاولاد الذين تتراوح اعمارهم بين ٩ - ١٥ عامًا.

الأكثر من كل هذا هو انهم يتعلمون أشياء جديدة دائمًا.

فإن كان مبتغاك الحصول على الافضل لأولادك فما عليك سوى الحصول لهم على سمّور الآن.

الصعب اقامته، وهو يكلف كثيراً".

- أني أترك لك حلّ المشكلات وألتزام الناحية المالية. فهل هذا يوافقك؟

وبعد تفكير قصير قال المسؤول: "موافق يا سيدي". ولم تكن تلك المرة الاولى التي يُرشى، وهو تمنى ألاّ تكون الاخيرة.

وبسط كارترايت أمامه رزمة صغيرة من أوراق الدعوات كانت "سو" أعدتها وعليها خاتم غوا الرسمي واللونان الاخضر والاحمر اللذان يحملهما علم البرتغال.

وعلق المسؤول: "انها بطاقات أنيقة".

- أرجو أن تؤمن استقبالا أنيقاً أيضاً. وهو سيبدأ، كما ترى، في العاشرة من ليلة الاثنين ٨ مارس (آذار). وفي امكانك ذكر اسم المضيف على البطاقة. ومن الضروري جداً أن يتولد لدى المدعوين انطباع بأنّ الدعوة تعبير عن ضيافة بلادك وحيادها. واذا لم ينفّذ هذا الشرط، فسيكون لديّ ملء الحرية في فَسْخ الاتفاق من جانبي. وهذا يعني - مع الاسف - أن ولديك سيدفعان الثمن. ومن أجل أتعابك الاولية، اليك هذا المبلغ الآن.

ولدى سماعه عبارة "انّ ولديك سيدفعان الثمن" تذكر المسؤول اختفاء المواطنين الالمانيَّيْن المحيِّر والاشاعات التي انتشرت حول كون البريطانيين دبروا ذلك العمل. وشعر بالارتباك. ثمّ طوى المغلّف الذي سلمه اياه كارترايت، فعاوده المرح لدى سماعه خشخشة الاوراق النقدية.

أما الزيارة الاخرى التي قام بها كارترايت في مارماغاو فكانت الى شخص يدير بيتاً للدّعارة. وأخبره أنّ زيارة المدنية أثارت لديه ذكريات الايام الخوالي عندما كان بحاراً هو نفسه. أما وقد بات رجل أعمال ثرياً في منتصف العمر وقصد المدينة لتمضية عطلة على غرار بعض مواطنيه الانكليز، ففي وده ان يقيم حفلة لهو يُدعى اليها جميع بحارة الميناء الذين يعملون بعيداً عن اوطانهم. وهو مستعد لدفع جميع التكاليف اذا شاء اولئك البحارة من مختلف الجنسيات - وهم انكليز وألمان وهولنديون وبرتغاليون وأمريكيون وايطاليون وهنود - أن يقصدوا أياً من بيوت الدعارة الخمسة في المدينة ويقضوا أوقاتاً ممتعة. وسيدفَع ثلثا المبلغ الذي يُتّفق عليه الآن، على أن يدفع المصرف المحلي الثلث الباقي في نهاية الاسبوع.

وأجابه مدير المواخير وقد راقته الفكرة: "انك ذو قلب رقيق حقاً يا سيدي. هلا شربت معي كوباً من الشاي ونحن نتفاوض حول الكلفة؟"

سفينة الاحلام

استقلّ فرسان كلكوتا القطار الى مدراس على ثلاث دفعات خلال ثلاثة أيام. ومن تلك المدينة التي تبعد ١٦٠٠ كيلومتر الى الجنوب، تابعوا طريقهم الى كوشين في الساحل الغربي. وهناك انتظروا ثلاثة أيام بنفاد صبر حتى الخامس من مارس (آذار)، حين ألقت سفينة هزيلة مراسيها على الشاطىء. وعندما قيل لهم انها سفينتهم، ارتسمت على

وجههم امارات الخيبة وعدم التصديق. وما أن بلغت الساعة الرابعة والنصف عصْراً حتى بدأ اسطول من قوارب التجذيف الصغيرة ينقل المتطوعين، اثنين أو ثلاثة معاً، الى "فيبي".

وتلقى غرايس أمراً من ديفيس بأن يوزع الرجال على طرف العنبر ويحذر الذين يسيرون في نومهم من الوقوع في الماء.

ورمى الفرسان الفرش التي يحملونها في أمكنة حُددت بالطبشور. وكان العنبر مليئاً بالفحم كأنه الجحيم. أما الجانب الآخر من السفينة فكان يلاصق مياه الميناء.

وأحدثت سلاسل "فيبي" الصدئة أصواتاً حادة وهي تفلت من مراسيها لتقع فوق هيكل السفينة المعدني. وانطلق محركها محدثاً رجة عنيفة على السطح. وتحرّكت "فيبي" ببطء خارج الميناء. ونظر رجال غرايس أحدهم الى الآخر بوجوه كالحة عندما غاب الشاطىء عن أبصارهم. وتذكروا أنّ ذلك وقت احتساء الشاي لو كانوا في بيئتهم المتحضرة، يتلوه وقت يستمتعون فيه بحمام منعش قبل تبديل ثيابهم وتناول وجبة العشاء.

أما الحماسة التي تطوعوا بها من أجل مهمة مجهولة فقد خبت سريعاً مثل الشمس الغاربة. فهم كانوا يصورون لانفسهم مركباً أنيقاً يمخر عباب اليمّ ليقف على ساحل العدو عند الفجر. وها هم، عوضاً عن ذلك، يتقلبون ضمن حوض حديد يتقدم متعثراً وتتصاعد منه رائحة الفحم والطمي الذي يملأ قاع نهر هوغلي، بينما لا تتجاوز سرعته العقد الثماني. (١٥ كيلومتراً في الساعة) وسرعان ما خيم الظلام عليهم كجسم ثقيل.

في تلك الاثناء كان فريتز بولر، وهو شخص وسيم وممتلىء الجسم، يغادر الغرفة السرية في "اهرنفلس" عبر غرفة المحرك. وبحذرٍ أقفل الكوّة الفولاذية التي تؤدي اليها، والتي رسم عليها جمجمة وعظاماً وكتب عبارة "خطر الموت ـ خط توتر عالٍ" للتمويه. ثم تسلق السلم الى ظهر السفينة، وكان الليل في أوّله. وبدأت الانوار تسطع على رصيف الميناء.

وبينما هو متكىء على حافة السفينة، هبَّت صوب البحر رائحة الهند المسائية، وهي مزيج من التوابل والغبار العطري المتصاعد من ملايين المدافن. وفي التاسعة ليلا التمع ضوء كهربائي في كابو فورت، وهي موقع عسكري برتغالي على قمة تلة شمال الميناء. وأخذ الضوء ينحدر ببطءٍ نحو الميناء ساقطاً على السفن وجانب الرصيف وناقلة نفط بريطانية راسية قرب صهاريج شركة "شل بورما" المنارة بالضوء الغامر. ثم انقطعت اصبع الضوء الطويل. **وقد اعتاد البرتغاليون ان يوجهوا الانوار الكاشفة الى الميناء مرتين كل ليلة. وكان بولر سعيداً لذلك، خصوصاً بعدما أعلمه الكابتن روفر بالهجوم المتوقع.**

وتولى الضابط الاول فحص احدى **الدّارات الكهربائية التي تصل البطاريات بفتائل التفجير الموضوعة تحت أكياس المتفجرات المغطاة بأكوام من القصاصات المعدنية على**

صديق العمر

اشتركوا في المختار

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

تملأ القسيمة ـ بالعربية او الاجنبية ـ وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:

اشتراك في مجلة "المختار".

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت. لبنان

النهار العربي والدولي

الأسبوعية النهار

سياسية جامعة، مستقلة
نخبة الكتاب لنخبة القراء
تصدر الآن بحلة جديدة

اطلبها صباح كل سبت

في كل لبنان، في كل العالم العربي
في كل عواصم ومدن العالم الكبرى

الوكلاء المعتمدون للاعلان
تمام ش.م.ل.
الشركة العربية لأنماء الاعلانات
ص.ب ٦٨٨ - ١١ بيروت - لبنان الهاتف ٣٤١٤٥٧ - ٢٥٢٥٢ - ٣٣

ظهر السفينة. وتبيَّن له أنها تعمل على خير وجه.

وبعد ذلك نزل الى حجرته واضطجع على سريره وراح يقرأ في صحيفة محليّة قبل ان يوقت المنبه على الحادية عشرة والنصف ليلا، اذ كان عليه توجيه رسالة قبل منتصف الليل بتسع عشرة دقيقة تماماً. فهو أراد ارسال اخبارية حول ثلاث سُفُن حليفة في طريقها من دوربان الى بومباي واثنتين أخريين على وشك التوجُّه من عدَن الى كراتشي.

ووضع يديه وراء رأسه، مصوراً لنفسه قادة الغواصة الالمانية وهم يستعدون للصعود الى سطح الماء ويتوقون الى فَتْح الكوى الصغيرة للتخلُّص من ... نقرع المراجل ... لجهاز اللاقط

... اح القراءَ ...

مظلة من قماش القنَّب في ذلك الجزء من السفينة لاتقاء الشمس المحرقة التي تحوّل "فيبي" مشواة مع حلول الظهيرة. وتجمع المتطوعون بحماسة تحت المظلة الخضْراء.

وخاطبهم غرايس قائلا: "اننا نجتاز المرحلة الاخيرة من رحلتنا. وفي امكاني الآن إعلامكم بوجهتنا ومهمتنا. إننا ذاهبون الى ميناء مارماغاو المحايد حيث ترسو السفينة الالمانية "اهرنفلس". وهي صُمّمَت بحيث يمكن تركيب مدافع على سطحها بعد ازاحة العوارض الخشبية الثقيلة، مما يجعلها من أخطر السفن التجارية. وقد بلغتنا معلومات تقول ان ربان السفينة قد يحاول الهرب الى سنغافورة (جنوب ماليزيا) من أجل تلك الغاية الحربية. ومهمتنا الاستيلاء على السفينة او اغراقها في ... كان ... ها".

... س على عدم ذكر جهاز ... فالافضل عدم اطلاع ... ى أمره خوفاً من ... مهمة في حال وقوع

... ال مجموعات صغيرة ... ها في مهمة معينة. ... جموعة بيل مانرز – ... ة مبصرة – ان تنسف ... تي تصل "اهرنفلس" ... وكل الى مجموعة ... حتلال جسر السفينة ... راديو واحضار دفاتر ... وجودها، على ان ... غرايس في تحطيم ... خرى المتعلقة

كيل الاصلي
وايت
وستنجهاوس
القاهرة • المحافظات
٦٤٣٢١٧٠/٢٤١٩٢٣

مكانس
T.V. فيلبو
٥٩٠٤٦٤

ساقية مكى - الجيز
٠٨٤٩٧/٥٧٠٨٤٩٦

جنرال اليكتريك
ضمان ٥ سنوات
قطع غيار أصلية - خدمة فورية بالمنزل
المحافظات
٣١٢٩٨٦٦

مراكز
ية المعتمدة
فون:
٧٨٦٣٦٣ / ٥٧

الخدمة والصيان
٥٧٨٦١٣٠/٥٧٨٦

بالراديو. وهناك متطوع اسكوتلندي ذو لحية ووجه أحمر هو الاستير ماكفرلين (رد ماك)، عُهد اليه في قيادة مجموعة مختصة باطفاء الحرائق في حال لجوء البحارة الى اضرام النار في سفينتهم.

أما كرين سانديز لمسدين، وهو رجل في الثلاثين من عمره طويل ومرح ويضع نظارتين، فقد عُهد اليه في قيادة مجموعة تردع البحارة الالمان عن التدخّل. وأوضح غرايس مهمة تلك المجموعة بقوله: "هنا يأتي دور الاغلال. فمتى أسرتم شخصاً، عليكم ان توثقوا يديه وتربطوه بحافة السفينة". وأوكل الى متطوعين آخرين الوقوف على متن "فيبي"، حاملين رشاشاتهم لصد أي هجوم من سفن المحور الاخرى او من الشاطىء أو من "أهرنفلس" نفسها.

واذا استمرت السفينة بالسرعة نفسها، فهم سيبلغون مارماغاو في الاولى بعد منتصف ليل الاثنين - الثلثاء، على ان يعودوا، اذا نجحت مهمتهم، عند الثالثة فجراً. أما اذا وقع خطأ ما، فانّ اطلاق ثلاث صفرات إنذار من "فيبي" يكون علامة الانسحاب. وفي حال إصابة أحدهم بجروح وعدم تمكّنه من العودة الى "فيبي"، فعليه ان يروي القصة الوهمية الآتية: بينما كان يبحر مع رفقاء له الى بومباي، اقنعوا الربان المتردّد وهم في عرض البحر بأخذهم اولا الى ميناء مارماغاو. وهناك وجدوا انفسهم فجأة في محاذاة "اهرنفلس"، فقفزوا اليها بعد رهان جرى بينهم وهم تحت وطأة السكر. وسرعان ما انقض البحارة عليهم.

أما الذين لا تمكنهم العودة الى "فيبي" في الوقت المناسب، فعليهم القفز الى البحر والسباحة الى الشاطىء. وقد قال لهم غرايس: "توجهوا نحو صهاريج الخَزن الخاصة بشركة "شل بورما". انها ذات لون فضي يتألق تحت الانوار الساطعة ليلا. وهناك ستجدون الفارس جوك كارترايت في انتظاركم ومعه سيارته ومبلغ" كاف من المال. وهو سيفعل كلّ ما في استطاعته لتأمين نقلكم وراء الحدود".

وبعد ذلك عرض بيو عليهم رسوماً وخرائط للسفينة "اهرنفلس". وأشار الى غرفة المحرك والجسر المدرّج وحجرات الضباط والبحارة والسلالم المؤدية الى أسفل والابواب الارضية التي يمكن ان تعترضهم. وبدت السفينة أضخم مما توقع معظمهم.

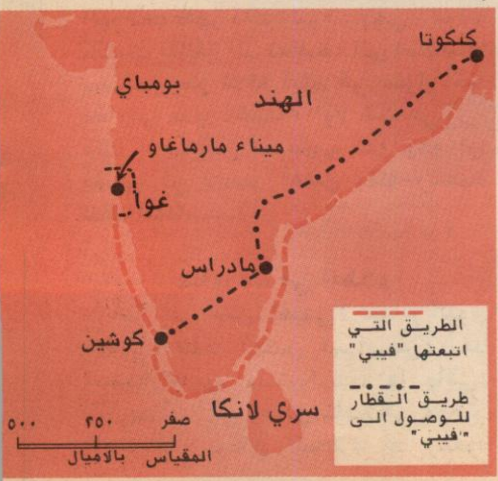

وكان عليهم تغطية مساحة كبيرة على ظهر السفينة وداخلها وعبر السلالم المعدنية والممرات الضيقة، وذلك كله وسط الظلام وتحت خطر مقاومة العدو وفي أقصر وقت ممكن. فأدركوا اخيراً لماذا قصر غرايس قبول التطوع على أكثرهم نشاطاً. وجلس بعض المتقدمين في السن بينهم صامتاً، وهو يرجو ان تعينه عضلاته ومعنوياته القوية على التصدي لتلك المهمة.

وقال مايك كروفتر: "لديّ سؤال واحد: هل يعرف جماعة "اهرنفلس" أننا في طريقنا اليهم؟".

فأجابه غرايس بحماسة: "لا شك في أنهم لا يعرفون... وكيف لهم ان يعرفوا ذلك؟".

وأمضى المتطوعون اليومين التاليين وهم يتدربون على الهجوم. وكان الوقت قصيراً جداً، ولكن على كل منهم ان يعرف المكان المحدّد له والعمل الذي يجب عليه تنفيذه.

واستمر التمرين بعد حلول الظلام. واسودت وجوههم وهم يركضون على ظهر السفينة كما لو كانوا يعبرون وَسْط النار. وأخذوا يستلقون على سواعدهم وينزلقون ويسقطون فوق الصفائح المعدنية الزّلقَة التي رُشّت بالرذاذ. أما اللبَّاد الذي أُلصق على نعال أحذيتهم فقد وضع لمساعدتهم على العمل بهدوء وثبات ولعزل أقدامهم في حال شبوب حريق. ومع اعتياد أعيُنهم الظلام، بات في امكانهم معرفة موقع حافة السفينة والسلالم المفضية الى أسفل والدائرة البيضاء المثبتة على ظهر الزميل الواقف أمامهم. وراحوا يذرعون السفينة متعثرين حتى سال عرقهم فوق الصباغ الذي طُلوا به للتمويه وجرف معه الفحم الذي كَسا وجوههم. وفي النهاية جُرحت أيدي عدد منهم وكُسرت أظافر آخرين، فضلا عن الخدوش في ركَبهم وسواعدهم. غير انهم غدوا أكثر ثقة بالنّفْس. ومع الثقة زادت سرعة أرجلهم وباتوا أشد احتمالا للصمت.

وأنجزوا المزيد من التمارين على اطلاق النار، مستعملين أهدافاً متحركة فوق عنبر السفينة أو علباً من التّنَك بعد حلول الظلام. وشرح لهم كروسلي طريقة استخدام المتفجرات اللدنة (البلاستيكية) لنسف باب معدني او قطع سلسلة مرساة. وفي البداية حمل قادة المجموعات تلك المواد المرنة ذات اللون الرمادي الضارب الى الاصفر ببعض الخوف، لان اي ضربة حادة من شأنها تفجير المواد التي في أيديهم.

وراح الرجال في مجموعة بيو يتدربون في الظلام على تفكيك رشيشاتهم اليدوية واعادة تركيبها في حال توقف الرشاشات العادية عن العمل. ووُزعت عليهم أمشاط ذخيرة صودرت سابقاً من الالمان، ويمكن استعمالها في الرشيشات اليدوية. "حتى اذا فتح البرتغاليون تحقيقاً حول الامر، لن يجدوا غلافات ذخيرة بريطانية على متن "اهرنفلس"".

وهكذا اتضحت خطة العمل للمتطوعين.

وتقرر ان تبحر "فيبي" شمالا، بعيداً عن ثغر ميناء مارماغاو، خوفاً من ان تقع عليها عيون الحراس.

وبعد قطعها بضعة كيلومترات، تعود من حيث أتت تحت ستر الظلام وأنوارها مطفأة، على ان تحاذي "اهرنفلس"، بُعيد الساعة الاولى فجر الثلثاء. وستتحرك "فيبي" الى ناحية "اهرنفلس" المواجهة للبحر لئلا يراها الحراس الالمان تحت انوار الشاطىء.

وبما ان ارتفاع "اهرنفلس" يفوق ارتفاع "فيبي" بستة امتار حتى عشرة أمتار، فقد كان عليهم صنع سلالم من قضبان الخيزران وخيوط القنَّب، يبلغ طول الواحدة منها عشرة أمتار.

وطبيعي ان تكون "فيبي" معرَّضة للنار من فوق أو للكاز الذي قد يرميه الالمان عليها بواسطة المشاعل. لذلك كان على رجال "فيبي" رصف أكياس الرمل والعوارض الخشبية الثقيلة على الحافة المحاذية لسفينة العدو من أجل تأمين أكبر حماية ممكنة. كما كان عليهم التأكُّد من وضع المراسي ولفّ سلاسلها الطويلة والرفيعة بعناية.

في أول الامر بدت هذه الأعمال لأعضاء نادي الحصان السريع شبيهة ببعض ما كانوا يفعلونه في المخيَّم السَّنوي حين يؤدون مناورات حربية خفيفة. لكنَّهم سرعان ما أدركوا ان الذخيرة هذه المرة حقيقية وليست لفافة ورق مقوّى، وانه ما من حكَم الآن يفصل في نزاعهم. وكان مستقبلهم كله، بل بقاؤهم احياء، في أيديهم.

بعد ساعات من غياب الشمس كان الكابتن روفر يتمشى وحيداً على ظهر سفينته. وخرج ضابطان من حجرتيهما وتقدَّما نحوه. وسأله احدهما: "هل أنت ذاهب الى حفلة الاستقبال هذه الليلة يا سيدي؟".

وهزّ روفر رأسه. لقد بلغته الدعوة على بطاقة منمَّقة، لكنه اعتذر عن الذهاب. وقال للضابطين أمامه: "أرجو ان تذهبا وتمضيا وقتاً ممتعاً".

عندئذ قال له أحد ضابطَي المراقبة: "يَفيد الحارس بأنّ هناك قارباً مجهولا يبحر شمالا، على بعد ثلاثة كيلومترات من ثَغْر الميناء. وتدلّ مدخنته الطويلة على انه قد يكون ناقلة نفط. لكنه صغير جداً، ولا يتجاوز كثيراً حجم قارب صَيْد".

- من المحتمل انه متوجه الى بومباي. هل هناك اي شيء آخر؟

"أجل يا سيدي. هناك سفينتا شحن تبحران جنوباً، وهما أقرب الى الميناء من القارب الاول".

"يا إلهي! إنها ضخمة"

ولم يكن في تلك المشاهد ما يدل على أمر خطير. فالسفن الكبيرة والصغيرة تدخل الميناء وتخرج منه وتعبره باستمرار. وما يبعث القلق في نفس روفر هو بروز مقدَّم مركب يتجه نحو الشاطىء على حين غرة او صعود غواصة مفاجىء الى سطح الماء. وعاد الربان الى حجرته وصبّ لنفسه كأساً من الشراب وأخرج مجموعة الطوابع التي يقتنيها.

في تلك الاثناء كانت أبواب منزل مساعد مدير الميناء، فوق التلة خلف حصن برتغالي من القرن السَّابع عشر، مشرعة لنسائم المساء الحارَّة. وصوّبت انوار المصابيح

على أرضية الحلبة الحمراء حيث جلس مغنو "الفادو" البرتغالي التقليدي ينقرون أوتار قيثاراتهم من غير براعة وينشدون المراثي الحزينة. وحمل النادلون المرتدون سترات بيضاء الصواني الفضية وداروا بكؤوس الشراب على الضيوف، وهم أناس من علية القوم المحلّيين ترافقهم زوجاتهم وضباط جاؤوا ببزاتهم الرسمية من جميع السفن الرّاسية في الميناء.

وكان بين الحضور المسؤول الحكومي من غوا الذي أَعَدّ الحفلة كلها بايعاز من كارترايت. وكان، من وقت الى آخر، يرفع عينيه لينظر الى حافة الحديقة الكبيرة، وعبرها الى المنازل الصغيرة وأنوار المقاهي الملوّنة حيث كانت أصوات الغناء تتصاعد، ثم الى ظلمة الميناء. وهو لم يكن بالشخص المغفّل. وقد أدرك ان الانكليز دبّروا حفلة السَّمَر تلك من أجل تحقيق هدف سري خطير. ولكن ما هو ذلك الهدف؟ وكم من الوقت سيمضي قبل ان يعلم به؟

وكانت"فيبي "عادت نحو الشاطىء كما قُرِّر سابقاً. وحاول ديفيس ان يقرّبها الى المرفأ ما استطاع في وجه حركة قوية من المدّ والجزر. ورأى انوار البيوت القريبة من الشاطىء تتذبذب كضوء الحباحب، كما لاحت له أنوار السيارات الامامية على طريق السّاحل.

ولدى بلوغهم ثغر نهر زواري، وقف غرايس على ظهر السفينة وقال: "استعدّوا لمهمّاتكم. إنّنا ندخل الشاطىء. حظاً سعيداً لكم جميعاً".

وتجمع رجاله زُمَراً من اثنين او ثلاثة واحتلوا امكنتهم بهدوء على حافة ذلك المركب المسود". وأغلقت ابواب غرفة المحرك لئلا يتسرب وهج النار. وتغيَّرت وجهة الريح، فحملت معها اصواتاً ضعيفة من الموسيقى. وقال برين لنفسه: "انه صوت جماعة كارترايت الصّاخبة. آه لو كنتُ هناك!".

وأخرس ديفيس رنين أجراس المحرك. ونظر أمامه ليرى سفينة راسية. وأحدثت "فيبي" صوتاً قصيراً خافتاً وهي تعبر أمام مؤخَّر "أنفورا" المتدلي الى أسْفَل، ثم أصبحت قبالة الشاطىء. وهناك كانت "أهرنفلس"، الهَدَف الذي يَسْعون اليه.

وقال رد ماك بجزَع: "يا الهي! انها كبيرة جداً". وهذا الشعور راودهم جميعاً. ورأوا انفسهم مثل أقزام يحاولون الانقضاض على عملاق نائم. وارتفعت الاعمدة والصواري فوق جسر "أهرنفلس" المكون من أربع طبقات، وبدا أنّ حافتها تمتد الى اللانهاية. وبينما كانت "فيبي" تتحرك ببطء في محاذاة "اهرنفلس"، أعلن غرايس: "لدينا خمس دقائق للصعود اليها". وأخذ يعدّ الوقت: "أربع دقائق"... "ثلاث دقائق"... "دقيقتان". وعندئذ أتلع الرجال في مقدّم "فيبي" أعناقهم وهم يحملون السلالم، ونظروا الى فوق. وأضاف غرايس: "دقيقة واحدة".

وصرخ حارس "اهرنفلس": "من أنتم؟" فأجاب بيو بالالمانية: "سفينة

نقل من المرفأ". ثم احتكّ هيكل "فيبي" بجانب "اهرنفلس"، فكَشط بعض الصدأ عن السفينة الرثّة. وقال غرايس: "الآن! باشروا العمل".

وألقى الرجال سلالمهم على جانب "اهرنفلس" وتسلق بيو فوراً، فابتعدت "فيبي" قليلا عن مكانها. وخُيّل اليه ان السلم المائلة على وشك ان ترميه في الفسحة بين السفينتين. غير انه تمسك بدعامة عند حافة "اهرنفلس"، وكان أول الواصلين اليها.

وبينما كان كروسلي وغرايس يتسلقان، أمسكا بقضبان السلم خوفاً من ان تنحرف بهما. وقذف آخرون مراسي "فيبي" الى فوق وتسلقوا بقوة وثبات.

وسمعوا صوتاً قوياً يقول: "آكتونغ! آكتونغ!" وفجأة استحال الظلام نوراً ساطعاً وسُلطت أضواء "اهرنفلس" القوية على "فيبي" الصغيرة. وغطى الفرسان الذين كانوا على وشك اللحاق بزملائهم أعينهم لئلا يبهرها الضوء السّاطع، فيما أخذ الالمان يحدقون اليهم غير مصدقين ما يرون.

وانقضت لحظة لم يتحرك فيها أحد من مكانه. ثمّ رفع رد ماك رشاشه اليدوي وأطلق النار على مصدر الضوء، فانفجر المصباح القويّ محدثاً لمعاناً أزرق ما لبث أن انحلّ الى دخنة بيضاء. وخيم الظلام فوقها من جديد.

وصاح غرايس بهم: "تقدموا الآن! هيا اصعدوا السّلالم". ولم تعد هناك حاجة الى التسترّ. وكان الرجال لا يزالون تحت تأثير الانبهار. وراحوا يرفعون أنفسهم على سلالم الخيزران التي التوت تحت ثقلهم حتى كادت ان تنكسر، وهم الذين اعتادوا ركوب المصعد الكهربائي للتوجّه الى مكاتبهم في كلكوتا، وان تكن في الطبقة الاولى.

وكان الكابتن روفر قد لبس سرواله لتوه عندما فتح الحارس باب حجرته صائحاً: "هناك مجموعة عدوة اجتاحتنا يا سيدي، وقد عددتُ من أفرادها عشرين شخصاً أظنّ أنهم طليعة المغيرين".

وقال له روفر: "أطلق صفارة الانذار". وسحب الضابط حبلا متدلياً من السقف، فأصدر المحرك صوتاً قصيراً انطلقت بعده الصفارة تلعلع. وفوجىء الرجال الذين كانوا يتسلّقون بذلك الدويّ الهائل، فجمدوا مكانهم على السلالم. ثمّ صعدوا بوجوه كالحة، وتوجه كلّ منهم الى الهدف المعيَّن له.

وسمع الضباط والبحارة على متن السفن الثلاث الاخرى صفارة الانذار، فهرعوا الى ثيابهم وامتشقوا الخناجر والهراوات وقضبان الفولاذ وأسرعوا الى أماكنهم المحددة. ووقف بعضهم الى جانب المضخات اليدوية الموصولة ببراميل الكاز، فيما حمل آخرون أعواد الثقاب وأتجهوا نحو فتائل التفجير وأضاؤوا الشموع تحسُّباً لانقطاع التيار الكهربائي. واختبأ آخرون تحت الادراج لكي ينقضوا سريعاً على المغيرين.

اما في المنزل على قمة التلة فكان الاستقبال في أوجه والمغنون يصدحون بملء حناجرهم. غير أنّ ازيز صفارة الانذار التي أطلقتها "اهرنفلس" اخترق المكان كالسكين

وطغى على أصوات الموسيقى الصَّاخبة. وتوقف الجميع عن الرَّقص، وقال أحد الضباط الالمان لرئيس شرطة الميناء: "هناك هجوم علينا. فالصفارة لا تطلق الا في حال اقتراب العدو".

- العدو؟ لكنّ هذه الميناء محايدة يا سيدي، وأنتم في حمايتنا. ولا بدّ من أن يكون هناك خطأ ارتكبه أحدهم اذ ضغط زرّ الانذار عن غير عمد. ان البحارة يحضرون مهرجاناً في المقاهي هذه الليلة. ولا يستبعد أنيكون السكر تعتع أحدهم فأطلق صفارة الانذار خطأ. أليس كذلك؟

"انهم البريطانيون. ونحن نستمحيك عذراً للانصراف".

- ولكن ليس هناك سيارات اجرة في هذه الساعة. لقد أوصيتُ سائقي السيارات أن يأخذوكم من هنا في وقت لاحق. والمسافة طويلة اذا كنتم تفكرون في قطعها على الاقدام.

"لكننا سنركض".

واندفع الضابط الالماني وتبعه صحبه على نحو غريزيّ، من غير معرفة السبب. وأخذوا يحثون الخطى نحو الميناء وقد تبللت بزاتهم الرسمية بالعَرق.

جهاز الارسال

كان جسر "اهرنفلس" خالياً عندما وصل اليه بيو ودك ملبورن. غير أنهما سمعا حركة فوق، فصعدا الى أعلى. وكسر ملبورن مقبض أحد الابواب بجذع رشاشه، فوجد روفر والضابط الذي يشدّ الحبل في الداخل ينظران اليه بتعجُّب. واستدارا بحثاً عن سلاحهما، لكنّ ملبورن أطلق نار رشاشه وصرعهما معاً. وللحال توقفت الصفارة. وراح بيو يبحث عن دفاتر الاشارة، بينما قطع ملبورن أسلاك صفارة الانذار. ثمّ ركضا على الدرج حتى بلغا ظهر السفينة.

ومرا أمام كروسلي وجاك برين اللذين كانا يعبران بهدوء الى الجانب الآخر من سطح السفينة. وكان كروسلي رأى في الضوء الخاطف سلكاً يتدلى من الهوائي الرئيسي، نزولا الى عازل زجاجيّ خارج احدى الحجرات على ظهر السفينة. وقدَّر أن يكون راديو السفينة الشرعيّ في ذلك المكان. فاتجه مع برين الى باب الحجرة وأطلقا النار على قفله فانفتح.

وفي الداخل كان ضابط المانيّ منحنياً فوق قنبلة محرقة ومحاطاً بالاوراق وكتب الاشارات الكبيرة المغلَّفة بالرصاص لكي تغوص في البحر فور رميها اليه. ورمى الضابط أحد تلك الكتب على برين الذي ضغط زناد رشاشه على الفور. لكنّ الرصاص لم ينطلق.

وأطلق الضابط الالماني القنبلة المحرقة في اتجاه كروسلي، فانبثق منها خرطوم من اللهب في كثافة معصم اليد. وسال الدهان الذي يغطي الحواجز الفاصلة، وأُصيب كروسلي بجروح بالغة في وجهه واحدى يديه. وطوقت النار الاوراق وكتب الاشارة وجرى الرصاص الذائب كالفضة السائلة.

وتناول الضابط هراوة من تحت سريره، ونشبت بينه وبين برين معركة بالايدي. وفي تلك الاثناء ركض رد ماك أمام باب الحجرة،

راديو مونت كارلو

RADIO MONTE CARLO

الاذاعة الأكثر شعبيّة والأكثر فعالية في العالم العربي

الاسلوب الأحسن في الأعلام

أهم النشرات (بتوقيت غرينتش)

الساعة : ٤،٠٠ ■ ٥،٠٠ ■ ١٢،٠٠ ■ ١٧،٠٠ ■ ١٩،٣٠

---

٢٤٤ مترًا - ١٢٣٢ كيلو هرتز

فشاهد الجحيم في الداخل. واقتحم الغرفة منقضاً علىّ رأس الضابط الالماني بعقب رشاشه. وتعاون الرجال الثلاثة على جرّ الضابط الفاقد الوعي خارجاً، وأوثقوايديه وقيدوه بحافة السفينة.

وكان بيل مانرز وهاري سكواير في أعلى مقدم السفينة يستعدان لنسف سلسلة المرساة على الميمنة. وبعد عجن أداة التفجير اللدنة، ألصقاها بين احدى الحلقات والثقب العملاق الذي تتدلى منه السلسلةالىالمرساة. وبعد توقيت الآلة الموصولة بفتيل التفجير، غرسا الفتيل بالمادة الرطبة. وغاب عن بالهما،وهما يعملان بعجلة ودونما حَذر، أنّ أيّ تسرّع في ذلك العمل من شأنه أن يطلق المتفجرة بين أيديهما. لكنّ ذلك لم يحصل لحسن الحظ، وما أن ابتعدا قليلا عن المكان حتى دوت المتفجرة التي أصمت سمعهما وكسرت السلسلة. وأحدث معدنها الصدئ قرقعة قوية قبل أن تهوي الى قاع البحر.

وفيما هما متجهان لنسف سلسة المرساة الاخرى عند مؤخر السفينة، شمّ مانرز رائحة غريبة في الهواء. وحكّ سطح السفينة بيده فعرف أنها طُليت بالكاز. وصاح بزميله: "هيا من هنا". وفي تلك اللحظة أطلق أحد الالمان رصاصة اشارة. فضربت الرصاصة الخضراء الصافرة ظهر السفينة فأضرمت فيه النار. وأطلق مانرز النار على البحار الالماني وتلاه

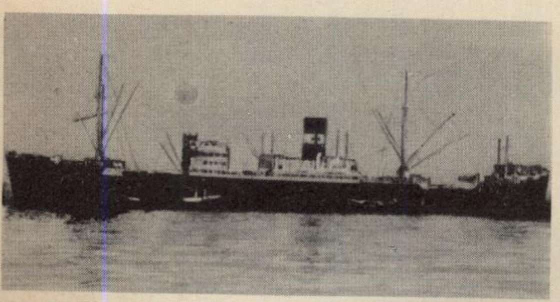

"اهرنفلس": سفينة تجارية تابعة لدول المحور، مزودة بمنصات مدفع مخفية وبجهاز ارسال لاسلكي.

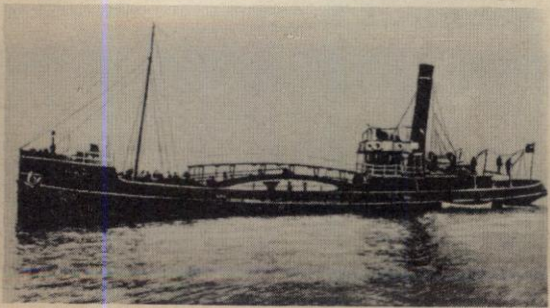

في العامين ١٩١١ و١٩١٢ بنى الاخوة فرغسون، من ميناء غلاسكو، سبع سفن من هذا الطراز. الا ان "فيبي" كانت الوحيدة التي استخدمت في عملية هجومية في الشرق الاقصى.

سكواير. فرفع البحار يديه واختفى وراء حافة السفينة.

وكان سانديز لمسدين ومارك هيليارد عثرا على لوحة المفاتيح الكهربائية في الطبقة السفلية. فأنارا غرفة المحرك وأخذا يتفحصان محرك الديزل المزدوج. وفي ذلك الوقت دخل غرايس الغرفة، فقال له هيليارد: "تستحيل ادارة المحرك لان آلات الحقن مفقودة. ويبدو أن الالمان أخرجوها من هنا".

فأجاب غرايس: "لا تضيعا الوقت في هذه الامور. ثمة جهاز ارسال يجب اكتشافه خلف أحد هذه الحواجز".

وقال لمسدين: "دعونا نفتش وراء ذلك الباب"، وأشار الى الكوة المعدنية التي تحمل رسم الجمجمة والعظام وعبارة "خطر الموت... خط توتر عال".

فأجابه غرايس: "انسف هذا الباب".

وألصق لمسدين المادة المرنة حول القفل والعرق يتصبَّب من وجهه.

وفي تلك الاثناء عثر ملبورن وهيليارد على باب آخر مقفل في الجانب المقابل من غرفة المحرك. ففجَّرا مقبض الباب وهرعا داخل الغرفة ليجدا جاك برين يقف مرتجفاً في طرفها الآخر. وقال بصوت ضعيف: "افتح يا سمم! أرجو أن تعطياني انذاراً قبل التفجير مرة اخرى. فأني لست مؤمناً ضد الموت".

وانفجرت العبوة التي وضعها لمسدين. وفتح الباب الثقيل ودخل

السفن الالمانية تشتعل في ميناء مارماعاو في ٩ مارس (آذار) ١٩٤٣ بعد غرق "اهرنفلس".

الغرفة الضيقة التي كان بولر يوجه رسائله منها. وكان جهاز الارسال الاسود ما زال مثبتاً الى الحائط وقد عُلقت عليه لائحة بطول الموجات. وانتزع هيليارد الورقة ووضعها في جيبه قبل أن يحطم الجهاز بعقب رشاشه. وأطلق برين النار من رشاشه فتصاعد اللهب من أجزاء الجهاز المتحطمة.

وبينما هما واقفان يسمعان دويّ الرشاشات، حدث انفجار في مكان آخر من السفينة أطفأ النور وجعلهما يقفزان عن الارض.

في ذلك الوقت وصل الالمان والايطاليون الى المرفأ لاهثين بعدما قطعوا المسافة من أعلى التلة ركضاً. وكانت ألسنة اللهب تتصاعد من "اهرنفلس" وعلى ظهرها أشباح اناس تتراكض. وسمع الضباط والبحارة الذين على الشاطىء أصوات الصراخ واطلاق النار. ثم دوّى انفجار قويّ امتلأ الهواء على أثره بالحطام. وتناثرت ألواح المرمر والحطب والمعدن وأكياس الطحين هباء.

وصرخ ضابط ألماني: "أحضروا قارباً!".

لكن مياه البحر كانت منخفضة والزوارق كلها ملقاة على جوانبها في الرمل من غير مجاذيف. ولم تكن هناك طريقة للوصول الى السُفُن. ولم يعرف أحد ما يحدث سوى أن هناك سفينة تحترق. ورفض رئيس شرطة الميناء الذي وصل في سيارته ووقف ينتظر زورقه البخاري، أن يقر بسماع اطلاق النار، وقال: "لقد جرت العادة على أن نطلق المفرقعات والألعاب النارية في الأعياد الدينية والمهرجانات". وبينما هو يتكلم راحت المفرقعات تدوي من احد المقاهي على الشاطىء. فأضاف: "ألا تسمعون؟".

ونظر الألمان بعضهم الى بعض بقلق وخيبة وهم يطلقون سيلا من الشتائم.

أما على متن "فيبي" فوقف برنارد ديفيس ينتظر بقلق ويده على مقبض المحرك. لقد انقضت نحو عشرين دقيقة منذ صعد الرجال الى ظهر "اهرنفلس"، ولكن ليس هناك ما يشير الى ان سلسلة المرساة الأمامية قُطعت. واذا سُلطت أنوار الموقع البرتغالي على ما يحدث عوضاً عن توجيه شعاع طويل خاطف، فلا بد من ان تقع أنظارهم على "فيبي". وبعد ذلك تكفي سلسلة طلقات من إحدى السفينتين البرتغاليتين الراسيتين في المرفأ، أو زورق بخاري واحد يستقله رجال مسلحون، لوضع حدّ سريع لذلك الهجوم.

الميناء المشتعلة

عند الصمامات التي تم تشحيمها سابقاً في عمق "اهرنفلس"، بدأ ثلاثة بحارة ألمان عملية اغراق سفينتهم. وانفتحت الدواليب الثلاثة الضخمة أخيراً تحت ثقل أجسادهم. وتسربت مياه البحر من احدى الفتحات، ثم من الثانية، قبل ان تنبجس بقوة من الفتحات الثلاث وتفيض في اتجاههم. وتسلقوا سلماً معدنية جانبية أفضت بهم الى فسحة تحت غرفة المحرك، ثم الى السلالم المؤدية الى فوق.

ولدى وصولهم الى ظهر السفينة شاهدوا، عبر حاجز من اللهب، رجالا يتحركون. واغتاظ البحارة الثلاثة الاقوياء وهرعوا في ثيابهم المبللة منقضين على بريطاني ملتح ومسود الوجه كان يحاول اطفاء النار بالماء.

أما رد ماك فَنَسِيَ جميع الدروس التي لقنوه اياها في القتال غير المسلَّح. ورفع خرطوم اطفاء الحريق ورشهم جميعاً بالماء في وجوههم. وصرخ بهم: "اذهبوا من هنا يا أولاد السوء". وكانت السفينة ترتفع وراءه لأن مقدمها بدأ يغرق. واستجمع رد ماك قواه، إلا انّ البحارة الثلاثة الأعداء انزلقوا عبر اللهب.

وفي طبقات السفينة السفلية كانت مياه البحر تتدفق بالأطنان عبر الصمامات المفتوحة. وراحت السفينة تعلو وتنخفض، وانطفأ المزيد من الأنوار. وصاح غرايس: "انها تغرق! هيا الى فوق".

وفجأة انحرف جانب "اهرنفلس" الضخم نحو "فيبي". ورش الرجال نثار الخشب على جسر "فيبي" منعاً للانزلاق، ودلّوا السلالم استعداداً للنزول. وصاح ديفيس بهم: "هيا انزلوا". وأطلق ثلاث صفرات انذار علامة على الاستعداد للانسحاب. وكانت "اهرنفلس" تغوص بسرعة كبيرة حتى كاد المركبان ان يلاصق أحدهما الآخر. وقفز بعض الرجال فوق الفسحة الضيقة. وحمل كل من سكواير ورد ماك وملبورن أسيراً معه بعد فك وثاقه من حافة "اهرنفلس".

وشاهد حراس سفن المحور الاخرى "فيبي" تتجه نحوهم. وظنوا أنها طليعة سفن بريطانية أُرسلت للاعتداء عليهم. وكان ضباط تلك السفن أحجمعوا عن إضرام النار في سفنهم ظناً منهم ان صفارة الانذار انطلقت خطأ من "اهرنفلس". أما الآن فقد ضغطت أصابعهم، على مضض، مقابض الطوارىء، فانطلقت الشحنات المتفجرة وتصاعدت ألسنة اللهب من السفن الثلاث. وأخذت تلك السفن تغوص في الماء واحدة بعد الاخرى وقفز البحارة الباقون الى الماء، سابحين نحو الشاطىء.

ولم يكن عمق الميناء كافياً لتغمر المياه السفن. وبينما غاص مقدم كل سفينة وبدنها في الماء، بقيت مداخنها وصواريها وأجزاؤها المرتفعة فوق السطح الرئيسي تحترق بشدة فوق الماء. وهذا الحريق سيستمر بضعة أيام.

وراح الرجال على متن "فيبي" يصفع أحدهم الآخر على قفاه وقد غمرهم الشعور بالفرح والانفراج. فها هم أحياء يرزقون بعدما كان الموت يقف لهم بالمرصاد. ولن تمر دقائق حتى يكونوا في مأمن وراء حاجز الميناء.

وفجأة صاح ملبورن بالربان ديفيس: "انتظر! هناك اشارة يوجهها أحدهم الينا".

وأوقف ديفيس المحرك. ووقف على حافة "اهرنفلس" المشتعلة شبحان أسودان يلوّحان بالمشاعل. وعادت "فيبي" الى جانب "اهرنفلس" من جديد ليقفز اليها الاثنان. وقال جاك برين: "لقد أغلق أحد الابواب

السفلية. ولو لم يعثر تشارلي ويلتون على مخرج آخر لنلنا جزاءنا نحن الاثنين".

وأدار ديفيس المحرك مرة أخرى بأقصى سرعته. وكان المرفأ كله في تلك اللحظة يتفجر كالمفرقعات النارية فيما أخذت النار تنتقل من برميل كاز الى آخر. وبدت مياه البحر تحت لهب النار متألقة كحقل من الذهب بينما اتجهت "فيبي" شمالا بعد عبورها مصب نهر زواري.

وفي غرفة المرجل في "فيبي" راح الوقادون يلقمون النار بقوة. وبقيت إبرة قياس ضغط المحرك ترتفع بثبات حتى توقّفت عند حدّها الاقصى. وصادف ان شاهد غرايس الوقادين يسترخون تعباً ويصمتون، فخلع قميصه وقال: "هيّا أيها الرجال! دعونا نساعدهم". وانبرى اولئك الاشراف يعملون بالتناوب على جرف الفحم والقام الفرن الهادر. وكان من الضروري الانطلاق بأقصى سرعة خوفاً من ان تكون الغواصات الالمانية في طريقها الى ميناء مارماغاو على أثر اخباريات يحتمل ان تكون تلقتها من جهاز الارسال في "اهرنفلس" قبل تحطيمه، او خوفاً من ان يكون أُرسل قارب برتغالي في أثر "فيبي".

ثم وجّه بيو رسالة على راديو "فيبي" مؤلّفة من كلمة واحدة هي: "لونغشانكس" التي اتّفق عليها سابقاً في اجتماع "سو" لتعني ان سُفُن المحور الاربع غاصت في مكان رسوها. وفي اليوم نفسه كان مكتب "سو" في بومباي مزمعاً على ارسال تقرير صحافي أعدّ سابقاً الى فرع "اسوشييتدبرس" في الهند، يصف الحادث بقوله ان معنويات البحارة على متن سفن المحور الراسية في ميناء مارماغاو كانت متدنية مما حملهم على اضرام النار في سفنهم. أما سبب ذلك كله فكان خلافاً نشأ بين البحارة المؤيدين للنازية والمعادين لها حول الهرب بالسفن الى سنغافورة.

وبقيت "فيبي" طوال الثلثاء تبحر شمالا بأقصى سرعتها. ولم تكن هناك أي اشارة الى أن أحداً يتتبعها. ومع حلول الظلام أدرك الفرسان أنهم سيعودون سالمين، وقد نفذوا مهمتهم ولم يُفْقَد أحد منهم. وراحوا ينشدون الأغاني التي طالما أنشدوها في احتفالاتهم أيام السلم حول نار المخيم وفي أعقاب المباريات الرياضية. وأخذت كلمات الأغاني القاسية والبذيئة تنجرف مع رياح المساء.

وعلى بعد ٢٥ كيلومتراً الى الغرب، رفع الملازم لوث الغواصة "يو - ١٨١" الى سطح الماء، وكانت الساعة الاولى والربع فجراً. وانتظر عامل الراديو الرسالة المعهودة في ذلك الوقت. لكن الرسالة لم تأت.

وبقيت الغواصات الألمانية المنتشرة في المحيط الهندي ترتفع الى سطح الماء مرة بعد مرة خلال الأسابيع اللاحقة انتظاراً لتبلّغ المعلومات ليلا. ولكن قُيض لرجالها ألا يسمعوا اشارات فريتز بولر المميَّزة بعد الآن. واستحالوا صيادين من غير أَعْيُن، يلاحقون عدُواً

وهمياً ضمن ٧٠ مليون كيلومتر مربع من المياه الخالية. ومع تناقُص الوقود، راح ربابنة الغواصات واحداً بعد الآخر يطلبون أوامر جديدة من قيادتهم، ثم قادوا غواصاتهم الى رانغون وسنغافورة وطُلب الى بعضهم التوجُه نحو رأس الرجاء الصالح.

وتجدر الاشارة الى أنه خلال الاسبوع الاول ونصف الاسبوع اللاحق من مارس (آذار)، قُبيل اسكات جهاز الارسال في "اهرنفلس"، تولت ثلاث غواصات المانية اغراق ١٢ سفينة (بريطانية وامريكية ونورجية وهولندية). وأُغرقت سفينة واحدة في ما بقي من ذلك الشهر. وفي ابريل (نيسان)، نجحت ١٣ غواصة المانية تعمل في المحيط الهندي في اغراق ثلاث سُفُن. وهكذا انفرج الحلفاء وبات في إمكانهم مباشرة تعزيز قواتهم البشرية والمادية على حدود الهند الشرقية. أما الجيوش اليابانية، التي كانت عاقدة العزم على الزحف الى كلكوتا ودلهي، فوجدت نفسها مضطرة الى تأجيل خطتها سنة كاملة. ولكن ما أن انقضى عام حتى وجدت أنها تأخرت كثيراً، وأن شمسها الساطعة آذنت بالأفول.

■ جيمس ليزور

الصغيرة والكبيرة

قال أديب مرموق لكاتب ناشىء: "لا تغرنك الكلمات الكبيرة لانها تصف اموراً صغيرة. أما الامور الكبيرة فتمثلها كلمات صغيرة مثل: حياة، موت، جوع، عطش، خوف، فرح، نهار، ليل، أمل، حُب".

م.١٠.

ثرثرة فوق الماء

بينما كان استاذ جامعي يعبر الميناء في زورق يسير بمجذافين، سأل صاحب الزورق:
"هل تقرأ وتكتب؟".
ـ كلا.
"أنت، اذاً، تفقد ٤٠ في المئة من مباهج الحياة... وهل تستمع الى الموسيقى؟".
ـ كلا.
"اذاً، تفوتك نسبة ٢٠ في المئة اضافية من هذه المباهج".
عندئذ جاءت موجة قوية قلبت الزورق. وتمكن صاحبه من اعادته الى وضعه واعادة الاستاذ اليه. وسأله صاحب الزورق: "هل تسبح؟".
ـ كلا.
"هذا يعني أنك كنتَ على وشك أن تفقد مئة في المئة من مباهج حياتك".

هـ.ف.م.

ذروة التسلية مع اي مسجل فيديو

كاسيتات "سوبر آفيلين" من تي· دي· كي متوافرة بشكلين: نظام "بيتا" ونظام الفيديو المنزلي· وكلاهما يؤمن اداء ممتازا·

The Future in Sound and Pictures.

TDK®

TDK ELECTRONICS CO., LTD.

تي دي كي

الفيديو كاسيت، "سوبر آفيلين"، تجد اقبالا عالميا لدى اصحاب مسجلات الفيديو· ان "سوبر آفيلين" يؤمن لك كل ما يجتذب هواة الفيديو المنزلي من ألوان جميلة وصور زاهية وصوت واضح وتسجيل واستعادة موثوق بهما في جميع الظروف·

ويكمن سر هذا الاداء المتفوق في "آفيلين"، وهو مادة فريدة تستعمل في التسجيل المغناطيسي طورتها "تي· دي· كي" بعد عشرات السنين من التخصص في مواد التسجيل وفي اعقاب ابحاث مكثفة تستند الى رغبات الزبائن·

وتعتبر كاسيتات "سوبر آفيلين" السمعية مقياساً عالمياً للتسجيل الـ "هاي فاي" كذلك كاسيتات الفيديو "سوبر آفيلين" التي تلاقي اليوم اقبالا مماثلا، حيث هي في الواقع، تستأثر بـ٧٠٪ من مبيعات الاشرطة المعروضة في اسواق الفيديو العالمية (نظام الفيديو المنزلي)·
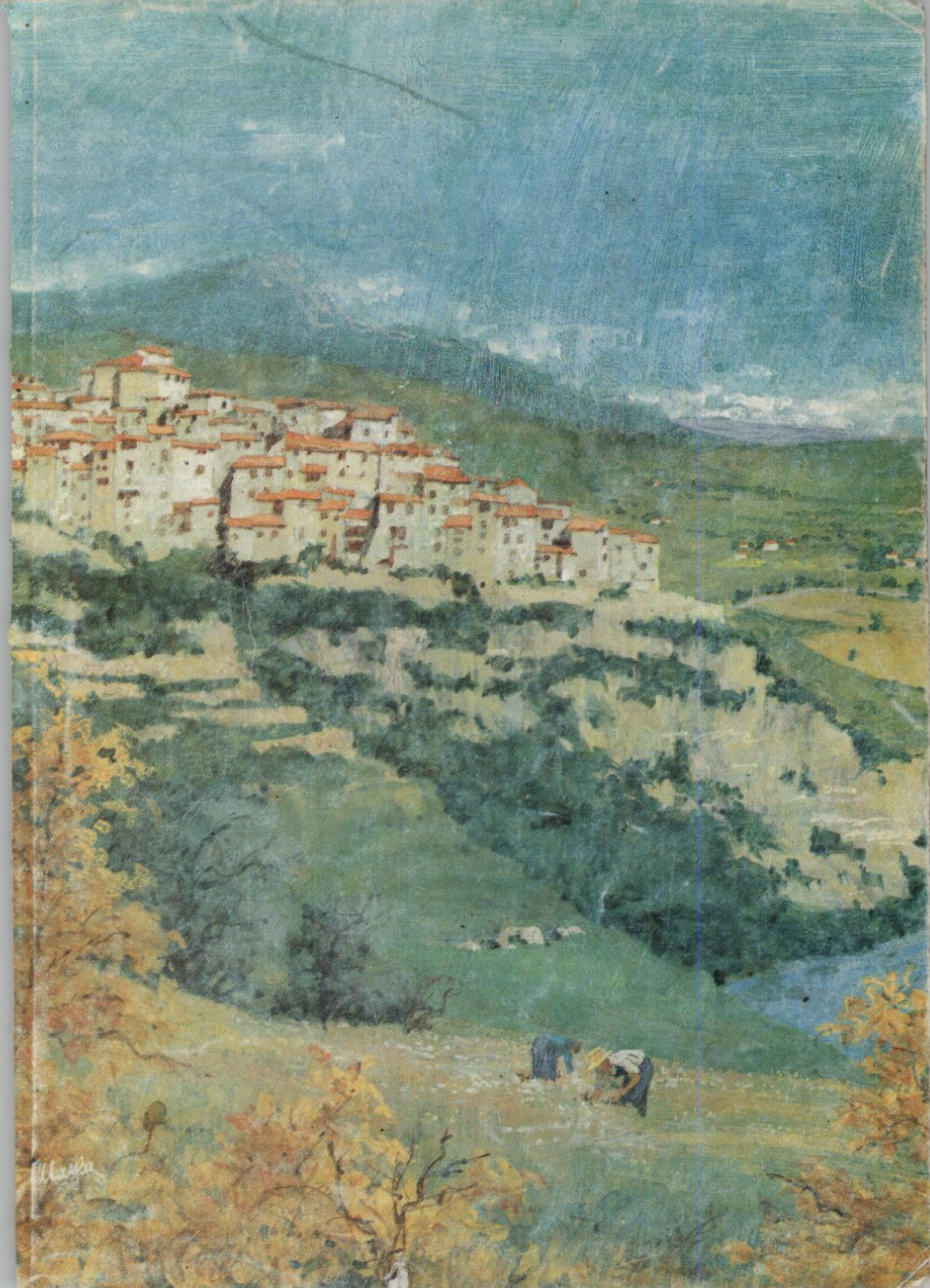
مهما يكن نوع مسجل الفيديو الذي في حوزتك، فان متعة المشاهدة تبدأ باختيار الشريط الذي يعكس أبرز ما تتميز به اجهزتك· أجل، انها أشرطة كاسيتات الفيديو "سوبر آفيلين" من تي· دي· كي··· وسوف يتبين لك لماذا نسميها "سوبر"!